

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية
رقم التصنيف: 392.9
رقم التسجيل: 11780

إحسان عبدالقدوس .. يتذكر

د. أميرة أبو الفتوح



General Organization of the Alexandria Library (G.O.A.L.)
General Administration



الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

١٩٨٢

احسان عبد القدوس • • أستاذاً

بقلم كامل زهيرى

بدأت مع احسان عبد القدوس فى روزا ليوسف منذ اكثر من ربع قرن •

وكان احسان اسما لامعا جدا • وكان اسمى مجرد اسم ثلاثى فى بطاقتى الشخصية • وتعلمت منه الكثير • واهم ما اكتشفته واحببته انه يؤمن بالحرية الفكرية والفنية • وانه لم يعرض على رأيا • ولذلك تعلمت منه وانا اتمتع • ومدرسة احسان هى مدرسة الكتابة فى الهواء الطلق • ولا يعرض فيها الاستاذ على تلاميذه استاذيته • والمتعة انه لا يضع مسافة بينه وبينهم • ولأن ذكاه من البدع العاطفى فهو يتسلسل الى قلبك وعقلك بموهبة ولطف • • تماما كما يفعل فى رواياته مع قرائه •

ولذلك لم يكن العمل مع احسان مجرد تلمذه • بل كان مشاركة ومتمعة •

ولهذا دخلت مدرسة احسان أسماء عديدة بدأت مجرد أسماء ثلاثية فى البطاقات الشخصية ، او شهادات الميلاد ، وتخرجت أسماء لامعة قوية •

واحسان عبد القدوس عاطفى الذكاء • لأنه فنان • مضطرم وجياش وهو عنيد لكنه لا يعرف العنف الا فى العاطفة • واستاذيته موهبة • وهى تختلف عن استاذية الذين يحبون وضع التقديرات لتلاميذهم • ويحبون أن يفرضوا أو يفترضوا استاذيتهم •

واحسان عبد القدوس استاذ لكثيرين دون فرض او فروض طاعة .
وهذا هو الفارق بين الأستاذ بطبيعته والأستاذ بوظيفته . وهو نفس
الفرق الدقيق بين الرجل الأنيق والمتأنق . فالأنيق ينتخب ألوانه الهامسة
دون أن يجرح النظر . أما المتأنق فهو الذى يصرح بالوانه الفاقعة أو
الملفتة .

وقد تعلم أكثر أبناء روز اليوسف من احسان عبد القدوس اثناء
العمل . ومن طريقة عمله . فقد كان يتخذ من روزا اليوسف محله الممتاز .
ويجنس الى مكتبه بالساعات . ويحضر كل صباح فى الحادية عشرة حتى
الثالثة . وينام القيلولة . ثم يعود فى الثامنة ليبقى حتى الثانية صباحا .
ولم أدخل عليه الا وجدته غارقا فى الكتابة أو بين اليقظة والاغماء كأنه
منذ لحظات قد انتشل نفسه عنوة من العمل .

وظللت عشرة اعوام متصلة أكتب فى روزا وصباح الخير - بعد
انشائها - فى وقت واحد وبكميات وفيرة . لان احسان لم يكن يحاضرنا
عن أهمية العمل . بل كان يعطينا القدوة . بأن يسبقنا فى الكتابة ، وفى
الوفرة ، وبموهبة اكثر معقلا .

واحسان يكره المواعظ . وهو لا يجيد كثيرا الحديث . لان لسانه فى
قلمه . وخلال عشر سنوات افشى لى ببضعة نصائح قليلة . وكانت
النصيحة الأولى التى قالها لى احسان قد حكاهما لى فى صورة قصة
قصيرة .

قال لى ان محمد التابعى الجد الأكبر لمدرستى احسان ومصطفى أمين
كان يشرف على تحرير آخر ساعة . وكان احسان قد ترك روز اليوسف
فترة ليعمل مع التابعى وكان لا يزال مجررا صغيرا . وكان التابعى يدق
الجرس ليطلب احسان من آخر الصالة . فيهرع احسان وقلبه يدق بعنف .
بخشى أن يكون ما قدمه الى أستاذه ركيكا . فيجد وجه التابعى الطويل
مطوطا .

ويقول التابعى :

- احسان .. لقد نسيت فى مقالك أن تضع نقطتين فوق التاء .
ونقطتين تحت الياء .

وصدقت قصة احسان .. لاننى كنت أعرف خطه .. وأرى مقالاته
تجبل ارسالها للمطبعة . ولعله الكاتب الوحيد الذى يعتنى بأن يضع
النقط فوق الحروف .. وهو لا يزال أكثر الكتاب أناقة فى خطه ،
وأشدهم عناية بما يكتب .

وهذه القصة القصيرة جدا مفزاها أن العمل فى الصحف - رغم السرعة يستلزم العناية . فالصحف كالحدايق تذبل من غير عناية مستمرة وهى كالزهور الرقيقة سريعة التلف أو كالثمار سهلة العطب . والأصل أن المجلة لسيت سلعة تبيعها لقارىء عابر . بل هى هدية لقارىء دائم يحبك أو يثق فى رأيك .

(٢)

ومن خلال عشرتى لاحسان فى روزا لم أحس كثيرا ودائما انه صاحب عمل . وأحسست أكثر انه صاحب مدرسة تحتاج الى الحرية والموهبة ثم الدأب .

وقد يرجع ذلك الى أن روز اليوسف لم تحفل أن تصبح مؤسسة رأسمالية كبرى . ولا أن تتحول الى صناعة ثقيلة ، تستند على الطباعة وتعتمد على الاعلانات . وظلت روزا كما بدأت مجلة رأى . تعتمد على الصناعة الدقيقة . أى على النقد فى الفن أو السياسة . ولذلك كانت وكرا رائعا لمواهب الكباريكاتير . وكانت عشا طبيعيا للموهوبين فى القصة والرواية . وأخرجت عددا لا يحصى من المواهب الفنية والشعرية والسياسية .

وكانت روز اليوسف من ١٩٢٥ الى ١٩٥٥ ضعيفة الادارة . وكان المدير « العام » محاميا غير متفرغ للادارة . وكانت أهم خزينة مالية فى حقيبة السيدة الجليلة فاطمة اليوسف . وأثبتت روز اليوسف خلال ثلاثين عاما معجزة أن تعتمد على القارىء أى على التوزيع . وهذا ما جعل احسان حساسا جدا لما يقوله القراء عن المجلة . وكان يؤمن أن ثقة القارىء هى أكبر جائزة يمكن أن يحصل عليها أى صحفى .

وقد ظهرت روز اليوسف عام ١٩٢٥ ، أى بعد دستور ٢٣ بعامين . وكان قد ظهر القارىء الناخب الوطنى والحزبى الذى يريد أن يشارك فى الحكم . وأن يضع الأمة فوق الحكومة . والحق فوق القوة . ومع ظهور هذا القارىء الجديد ظهرت مدرسة روز اليوسف الصحفية بقيادة محمد التابعى الذى أنزل الكتابة الصحفية من عرش الأدب والبلاغة . وخلصها من السجع السياسى ، وطنطنة الخطابة ، يظهر نوع جديد من الكتابة السهلة والسلسة .

واحسان هو الحفيد الفنى لهذه المدرسة الصحفية . وقد زاد عليها
بنفثه الساخط أو السافر . ومن نصائحه القليلة لى أن من الكتاب من
يعقد السهل . وهناك من ييسط الصعب . وقلت له أن الألمان يعتقدون
الفلسفة . وأن الفرنسيين يسهلون الأفكار المعقدة . فقال :

- أفضل الفرنسيين فى اسلوبهم .

وكان احسان عبد القدوس فى الخمسينات حريصا على أن تقسم
للمقارئ أصعب الكتب وأعقد المذاهب بأسلوب سهل وسلس . وفى
روز اليوسف قدمت مذاهب غربية كالسيرالية والفوضوية والعدمية
والوجودية ومذاهب القافيين والمغضوب عليهم فى الأدب والفن . وكان
احسان يشجعنى الى حد اننى لم أطلب فى حياتى منه علاوة . لأنه كان
يسبقنى بذكائه فيقترح الزيادة . وكان يقول :

- وستأخذ بالباقي « مجدا » .

ولم يكن أقدمنا يحس أن هناك أمجد من أن تكتب وتنشر ويحيطك
جو من حنانة العاقل .

(٣)

والحديث عن احسان قبل ثورة ١٩٥٢ وبعدها حديث طويل . .
تكشف اعترافات احسان فى هذا الكتاب كثيرا من أسراره . وهو يتحدث
باخلاص عن حملاته العنيفة على الفساد . فى الأدمغة والأسلحة . وعن
فشل الأحزاب والباشوات . وأزمة ١٩٥٤ التى قادت الى السجن .
وأزمات كثيرة قبل ١٩٥٢ قادت المجلة للمصادرة . ويحكى العلاقة الصعبة
مع ثورة ١٩٥٢ . واحسان من المؤمنين بهذه الثورة لأنه مهد لها مع غيره
عن كتاب الوطنية المستقصين فكرا وروحا . وقد ظل احسان حريصا مع
استقلاله الفكرى ، فتعرض لفكرة التجربة والخطأ . وكان نصيبه أحيانا
التكريم ، أو السجن ، أو الابعاد ، أو السماح له بالصمت .

واحسان سياسيا كاتب عقائدى لا مذهبى . لأنه لم يسجن فكره
فى مذهب أو حزب وهو حريص على استقلاله الفكرى لطبيعته الفنية ، وهو
موقف صعب ، لأن الحكومة لا ترضى عنه عادة ، وباستمرار ، وهو بين
سخط الحكومة وكيد الغلاة يشق طريقا صعبا .

ولحسن الحظ أن احسان عبد القدوس وجد نفسه في القصة والرواية . وكلما كانت تضيق أمامه الأبواب في السياسة كان يلجأ الى الرواية . ولأنه أيضا صحفى فهو الروائي الوحيد الذى كان يكتب مائشيتات لرواياته يضعها فى براويز بمجلته . وهو يشبه روائي القرن التاسع عشر فى فرنسا ، مثل زولا دومايسان ، والذين كانوا يكتبون فى الصحف الروايات النهرية وهو اسم يطلق على الروايات المسلسلة المتدفقة التى كانت ترفع التوزيع . وقد اصطدم احسان بنقاد ينتقدونه بمذاهب جامدة . وصدم نقاده برواجه الذى لا يتمتع به كاتب آخر .

ويستحق الحديث عن احسان قصاصا وفنانا حيزا أكبر . ولكنى آثرت أن أكتب عن احسان أستاذنا لكثيرين فى الصحافة . لهذا فانى أشكر الدكتورة أميره أبو الفوح أن اتاحت لى فرصة كتابة هذه السطور . فغد يكون فيها بعض الوفاء لاستاذى الذى علمنى متعة الكتابة فى الهواء !
الطلق !

احسان عبد القدوس الإنسان

احسان عبد القدوس - الإنسان - احسان عبد القدوس الإنسان - احسان عبد القدوس الإنسان

١ - احسان .. والتناقضات

احسان محمد عبد القدوس أحمد رضوان وهذا هو اسمه بالكامل - نشأ في بيت جده لوالده المرحوم الشيخ أحمد رضوان وكان من خريجي الجامع الأزهر ويعمل رئيس كتاب المحاكم الشرعية وهو يحكم ثقافته وتعليمه متدين جدا وكان يفرض على جميع العائلة الالتزام والتمسك بأوامر الدين وأداء فروضه والمحافظة على التقاليد بحيث كان يحرم على جميع النساء في عائلته الخروج الى الشرفة بدون حجاب ..

وفي الوقت نفسه كانت والدته الفنانة الكبيرة والصحفية الالامعة السيدة روز اليوسف سيدة متحررة تفتح بيتها لعقد ندوات ثقافية وسياسية يشترك فيها كبار الشعراء والأدباء والسياسيين ورجال الفن ...

وكان ينتقل وهو طفل من ندوة جده حيث يلتقى بزملائه من علماء الأزهر ويأخذ جرعته الدينية التي ارتضاها له جده وقبل أن يهضمها يجد نفسه في أحضان ندوة أخرى على النقيض تماما لما كان عليه .. انها ندوة روز اليوسف ..

فماذا كان يرى أستاذنا احسان في هذا التناقض ؟

يقول :

« كان الانتقال بين هذين المناخين المتناقضين يصيبني في البداية

بما يشبه الدوار الذهني حتى اعتدت عليه بالتدرج واستطعت أن أعد نفسي لتقبله كأمر واقع في حياتي ، لا مفر منه » .

ومن هنا يتضح لنا أحد المفاتيح الهامة في شخصية كاتبنا الكبير الأوهي المسالمة ، فالأستاذ احسان عبد القدوس انسان مسالم لأقصى درجة يؤمن بالقدر ويرضى به بل انه أكثر من ذلك يحاول دائما تطبيع الواقع طبعا لما يراه ويريدوه وهذه صفة تتناقض مع أهم صفاته على الإطلاق وهي الثورية وهذا التناقض يجعلنا نسلم منذ البداية أن الرحلة داخل احسان عبد القدوس ، هي ولا شك رحلة صعبة وشاقة حيث تتضارب وتتصارع المواقف وهذا التصارع والتضارب ربما ميز أستاذنا احسان عبد القدوس بميزات خاصة عن كل جيله ليس كأديب فحسب بل كسبأسي أيضا . . .

وربما لا يعرف كثيرون أن الأستاذ احسان عبد القدوس من أصل ريفي قح بعكس ما يعتقد الكثيرون عن نشأته الأرسقراطية !! فجدده كان أول من هاجر الى المدينة من عائلته والتي لا تزال تقيم بكفر ممونة التابع لقرية شبرا اليمين بمركز زفتى محافظة الغربية وكان يقضى أجازته الصيفية في القرية كأي تلميذ من أصل ريفي يعايش فيها الفلاحين معايشة كاملة من ركوب الحمار الى الصيد في الترع أو حتى الاستحمام فيها اذا اقتضى الأمر وكان جده يحرص أشد الحرص على أن يبعده خلال أشهر الصيف عن القاهرة حتى لا يتصل بوالده الفنان محمد عبد القدوس. الذي غضب منه وطرده من البيت بسبب اشتغاله بالفن !!

ومن هنا نستطيع أن نتصور مدى الحيرة التي يقع فيها طفل ينقره جده من الفن ويحبه والده فيه وتدفعه والدته للعمل العام . . .

وكانت هذه التناقضات هي السبب المباشر في صنع كاتب كبير أضاف الكثير للمكتبة العربية . . . وربما لو لم يعيش أستاذنا احسان عبد القدوس في هذا التناقض لما كنا استمتعنا به كاتبا روائيا وصحافيا قديرا وسياسيا لامعا . . .

وعن هذه الفترة التي شكلت حياة الأستاذ احسان عبد القدوس يقول :

« لقد استطعت التوفيق بين هذه المتناقضات في حياتي بحيث لم تفسد شخصيتي كإنسان ولم تقض علي مواهبي كفنان وأديب بالحب . . . الحب هو الذي أعانني على مواجهة كل هذه التناقضات في حياتي الأولى

بل وطوال مسيرتى بعد ذلك .. كنت أحب جدى وكان هذا الحب يفرض على كل أنواع الاحترام تجاه جدى العالم المتدين الزاهد فى الدنيا .. كنت أحب قيم جدى وأفكاره بل كنت أعشق تقاليده التى كان يفرضها علينا .. وعلى الجانب الآخر كنت أحب أبى وأمى مدفوعا أولا بعاطفة البنوة ، ولقد دفعنى هذا الحب الذى كنت أكنه للقطبين المتنافرين فى حياتى الى التعمق فى معرفة وادراك وجهة نظر كل منهما بحيث يمكننى الدفاع عنه فى مواجهة الطرف الآخر ، .

ومن هنا يبرز مفتاح آخر فى شخصية أدينا الكبير احسان عبد القدوس فهو يحترم وجهات النظر المختلفة ويحترم الرأى الآخر ويحاول أن يتعرف دائما على الدوافع التى تدفع الآخرين للاختلاف كما أن أستاذنا احسان حينما يعارض فانه لا يعارض لمجرد المعارضة وانما يعارض ليضل الى عيون الحقيقة .. وربما كانت هذه احدى العوامل التى دفعته لدراسة الحقوق ..

ومرة أخرى نعود للنشأة الأولى للأستاذ احسان عبد القدوس نتعرف على المنابع الأولى التى كونت حياته الاجتماعية والتي كان لها أكبر الأثر فيما بعد ، على فكر أستاذنا احسان ومعالجاته الأدبية وحتى نتعرف على هذه المنابع لابد أن نتعرض للنشأة والظروف الاجتماعية التى تربي فيها والدا الأستاذ احسان الفنان محمد عبد القدوس ، والفنانة الصحفية فاطمة اليوسف ..

..... ونعود لنذكر أن والده محمد عبد القدوس نشأ وتربي فى بيئة متدينة حيث كان والده أحد علماء الأزهر وكان يقطن فى حي العباسية ، وهو نفس البيت الذى نشأ وتربي فيه الأستاذ احسان ..

أما والدته السيدة فاطمة اليوسف فقد ولدت فى احدى قرى لبنان وعرفت اليتيم والغربة منذ بداية حياتها فقد توفى والداها ، وأدركت الوحدة فى هذا العالم المخيف واحتضنتها أسرة صديقة لأسرة الوالد الراحل وضمتها اليها كواحدة من بناتها وتقرر هذه الأسرة أن تهاجر الى أمريكا كما هو الحال دائما فى لبنان وتستقل الأسرة ومعها الطفلة اليتيمة فاطمة احدى البواخر متجهين الى المهجر ، المجهول . ولكن يبدو أن القدر رسم لفاطمة اليتيمة حياة أخرى .. فحينما رست الباخرة فى ميناء الاسكندرية لتتزود بالوقود والماء صعد الى سطحها صاحب فرقة مسرحية معروفة آنذاك هو « اسكندر فرح » لكى يودع الأسرة المهاجرة .. ومع

الأسرة شاهد الطفلة الصغيرة فأعجبه جمالها وحسن تصرفها ولاحظ نظرة الحزن والانكسار البادية عليها والتي كست الوجه الجميل الصغير بملامح مأساوية كبيرة واستطاع اسكندر فرح اقناع الأسرة بالتنازل له عن اليتيمة الصغيرة ليتولى هو تربيته في مصر ووافقت الأسرة بعد الحاحه ..

وانتقلت فاطمة اليوسف لعائلها الجديد (اسكندر فرح) وبدأت حياة جديدة ..

وفي القاهرة وفي بيت صاحب « الجوقة التمثيلية » اسكندر فرح تبدأ فاطمة اليوسف أولى خطواتها في عالم الشهرة والأضواء عالم الفن الى أن تلتقى « بعزیز عید » الذي استطاع أن يخلق منها نجمة كبيرة تجيد الوقوف على خشبة المسرح وايصال الفن المسرحي للجمهور .. أحس عزيز عيد بقدرات وامكانيات ومواهب فاطمة اليوسف فتولاها بالرعاية والاهتمام فعملها القراءة والكتابة ..

وتتعرف فاطمة اليوسف على المهندس محمد عبد القدوس المهندس بالطرق والكبارى في حفل أقامه النادى الأهلى وكان عبد القدوس عضواً بالنادى ومن هواة الفن . فصعد على المسرح وقدم فاصلا من المنولوجات المرحة . أعجبت به الفنانة الصاعدة روز اليوسف فأسرعت لتنهئته .. ومن هنا كانت البداية ، بداية اللقاء الذى جمع بين القلبين المتفقين على الفن وعلى الحياة واتفقا على الزواج .. ولكن « تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن » ..

فمحمد عبد القدوس هو ابن الشيخ أحمد رضوان العالم الأزهرى فكيف يتزوج ابن من زهد الدنيا واتجه بقلبه الى الآخرة من ممثلة 19 فثار الأب على الابن ثورة عارمة ، وحاول الأصدقاء والمعارف أن يوقفوا ما بين وجهتى النظر ولكن الأب أصر على موقفه .. وكذلك أصر الابن على موقفه . وتزوج محمد أفندى عبد القدوس من الممثلة التى أصبح اسمها روز اليوسف عام 1917 . ويتبرأ الأب من ابنه الى يوم القيامة ويطرده من بيته .. ويستقيل الابن المتخرد من وظيفته الحكومية ويتفرغ للفن ممثلاً ومؤلفاً مسرحياً ..

ومع بداية حياتهما معاً يتلمس كل منهما ما فى الآخر من تناقض لشخصيته ، محمد عبد القدوس انسان يسبح فى دنيا الخيال لا يحسب حساباً لفنانه ، بينما روز اليوسف تعيش فى دنيا الواقع تعد لفنانه قبل

يومها هكذا علمتها الايام وغدورها ، كل شيء عندها ارقام تحسب
وانتصارات تضاف لسجل حياتها ..

وتبدأ غيرة الزوج العاشق على زوجته الشابة الفاتنة التي تبحث
عن المجد وتجري وراء الشهرة والمال وتعمل كل هذه العوامل ما لم يستطع
عمله الشيخ رضوان فتحكم عليهما بالفراق ويتم الطلاق بينهما فى العام
الثانى عن زواجهما ، وكانت روز اليوسف حاملا فى شهرها السابع ..
وبعد شهرين تضع مولودها « احسان » فى مستشفى الدكتور سامى
بشارع عبد العزيز ..

فى مطلع عام ١٩١٩ عام ثورة سعد التى هزت وجدان الشعب
المصرى كله خرج الى الحياة ابن المتناقضات والثورات « احسان
عبد القدوس » .

وفى نفس اليوم ايضا قرر الجد الشيخ رضوان نزعه من بين احضان
امه التى رضيت مرغمة أن تتركه للجد حيث تتوفر له سبل الرعاية التى
لن تستطيع هى أن توفرها له ، وقررت المضى فى طريق الفن حيث
الشهرة والأضواء ..

وفى مذكرات الأستاذ احسان الخاصة التى يكتبها ليحتفظ بها
انفسه فقط ولا يطلع عليها احدا ٠٠٠ كتب عن يوم مولده عام ١٩٤٦
يقول :

اول يناير ..

فى مثل هذا اليوم منذ سبعة وعشرين عاما ، وفى منتصف الليل
تماما ، وبينما كان التاريخ يقلب صفحة الزمن من عام الى عام والعالم
يرقص ويتبادل الانخاب والقبلات تحية لعام ١٩٢٠ ٠٠٠ وكان المصريون
فى ثورتهم يحصدهم رصاص الانجليز ليخمد فى حناجرهم صوت الحرية
والاستقلال دوت « وا٠٠٠ وا٠ » فى اذن الوجود تبشر بمولدى
السعيد !! واستمرت حياتى الى اليوم ، صورة من ليلة مولدى :
رقص ودموع !!

٢ - احسان في بيت نعمات هانم

وهناك في البيت الكبير ، بيت الجد . يجد احسان عبد القدوس صدرا حنوناً يعطف عليه ويرعاه ، هو صدر عمته التي أغدقت عليه من الحب والحنان بلا حدود . عاش احسان في ظل جده يتعلم منه وفي ظل عمته يرتوى منها المودة والحب الى أن أصبح شاباً يافعا وتجاوز عمره الثامنة عشرة . . . فقرر - وكان القرار في غاية الصعوبة أن يعود الى أمه ليعيش معها . . .

وعن هذه الفترة . . . يقول أستاذنا احسان عبد القدوس :

« كنت في الواقع بين نارين . . . فانا أحب عمتي حبا شديدا وفي نفس الوقت أريد أن أستمتع بالبنوة وأجعل أمي تستمتع بالأمومة . عمتي العظيمة لم تتخل يوما عن مسئولياتها تجاهي حتى بعد وفاة جدي الشيخ أحمد رضوان ارتبطت بعمتي عاطفيا وهي متزوجة من الأستاذ محمد فائق بوزارة المعارف وربة أسرة كبيرة وأم لثلاثة أولاد وبنات أحدهم الأستاذ أحمد سعد الدين الوكيل السابق لوزارة الثقافة والفنان الموسيقار ، وقد شعرت بصدق احساس عمتي وشعرت بتدفق عواطفها نحوى . . .

فاذا كانت والدتي أعطتني ووهبتني الحياة فان عمتي - نعمات هانم رضوان - أعطتني الاستقرار في الحياة بلا ثمن وبلا مقابل سوى احساسها الأصيل بحب « ابن أخيها » وأملها في أن ينجح في حياته .

وللتاريخ .. أريد أن أقول انه برغم تعنت جدى ضد أمى وبرغم
تزمته الشديد الذى أدى الى انتزاعى من أحضانها لانها ممثلة ، وهو
لا يريد لحفيده أن يعيش حياة أبيه فنانا وحتى لا ينشأ فى عالم
عماد الدين ... برغم كل هذا فقد أحس جدى - حينما كبرت قليلا -
أنه لا ينبغي أن أقاطع أمى فسمح لى أن أزورها يوم الجمعة من كل أسبوع
ولكنى كنت أحس دائما بأنى مجرد زائر لأمى فقط كإى زائر ، كان بيت
جدى فى العباسية وبالتحديد فى « حارة نصير » وكان بيت أمى فى
« حارة جلال » بشارع عماد الدين حيث كانت أمى تقيم فى إحدى
شقق العمارة التى كان يملكها أمير الشعراء أحمد شوقى ، ..

... كانت الأم تستقبل وليدها بكل الحب وبكل الحنان ... حنان
الأم المحرومة من ابنها .. ولهذا فقد كانت تبذل جهدا كبيرا لتشعره
بالسعادة وتعطيه من الحنان مخزونا أسبوعيا يعيش عليه الى أن يعاودها
فى الأسبوع التالى ونتج عن هذا الموقف شعور تجسد لدى احسان
بالأسى والحسرة والمرارة لأنه لا يعيش حياته كلها مع هذه الأم العظيمة
لبنتمتع بهذا الفيضان العظيم من الحب والحنان كل يوم بدلا من
أن يتلقاه فى جرعة واحدة كل أسبوع !!

يتربى الطفل احسان عبد القدوس فى بيت جده يأخذ من حب عمته
وينهل من حب أمه ولكن أين أبوه؟! أين الأب فى هذه المرحلة الهامة من
حياة الابن؟

يقول الأستاذ احسان عبد القدوس :

« لا شك أننى كنت أحب أبى حبا بالغاً .. كنت أعشقه لدرجة
الافتتان ، وحينما أرسم لوالدى صورة فأرسمها وفى ملامحها القديسين
الكبار أو أرى أبى كأنما هو أحد المتصوفين الكبار ، »

المهندس محمد عبد القدوس كان يعمل بالطرق والكبارى سعى والده
الشيخ الأزهرى رضوان لدى المسئولين لنقله الى الصعيد بهدف ابعاده
عن طريق الفن ، فعلا ينجح الأب فى نقله ولكنه يفشل فى ابعاده عن
الفن اذ يعين ناظرا للمدرسة الأقصر الصناعية ولكن حبه للفن كان يشغل
كل كيانه وتفكيره ولم تقلح الوظيفة فى ابعاده عن عشقه الفنى فاستقال
من نظارة المدرسة وعاد الى القاهرة ولم يعد موظفا بوزارة المواصلات
الا بعد مولد احسان بأيام قليلة وظل موظفا ومهندسا الى آخر أيام حياته
حتى يضمن دخلا ثابتا يكفيه للانفاق على ابنه احسان وان كان فى الوقت
نفسه ظل يعمل بالفن ..

هذا الفنان محمد عبد القدوس هو فى واقع الأمر ظاهرة تستحق
 للدراسة فهو كما ذكرنا ابن لأحد علماء الأزهر الشريف يبيض الفن
 ويرفض عالمه ولا يسمح فى مجلسه للفنانين اطلاقا على الرغم من انه
 كان من هواة الغناء وكان يدسوا الى بيته عبده الحامولى وكثيرا من المطربين
 ليقيموا سهرات غناء قاصرة على الرجال فقط وكان له صديق يجيد
 العزف على الناي وكان يعجب بعزفه ، هذا الصديق اسمه عبد القدوس
 وبلغ من شدة اعجابه به أن سمى ابنه على اسمه !! ولكن بعد سنوات ثار
 على ابنه وطرده من عالمه حين استهواء عالم الفن ويخرج الابن من بيت
 الاب ليجد نفسه غارقا فى بحور الفن مصارعا لأمرأجها ٠٠٠ هذا الفنان
 يرفض الزواج بعد انفصالة عن روز اليوسف ويظل وفيها لها على الرغم
 من قصر فترة زواجه بها بل انه يفرض على نفسه عزلة عاطفية وصلت
 الى حد « الرهينة » خوفا على ابنه من أن تؤثر على مكانته فى قلبه امرأة
 أخرى ولذلك كان الأب دائم العناية بولده احسان حيث أدخله فى البداية
 كتبا بالعباسية قبل أن يسافر الى ايطاليا عام ١٩٢٤ لدراسة فن التمثيل
 ثم يلحقه بعد عودته بمدرسة البراموني الأولية بالعباسية حيث ظل
 تلميذا بها حتى نقله الى مدرسة السلحدار الابتدائية فى « باب الفتوح »
 ليكون فى رعاية صديق للأب هو « محمد عبد الوهاب » مدرس الموسيقى
 والأنشيد بالمدرسة .

يقول الأستاذ احسان عبد القدوس عن هذه المرحلة الهامة من
 حياته :

« كان أبى شديد القلق على مستقبلى وقد اتضح ذلك فى كثرة نقله
 لى من مدرسة الى أخرى فكان كلما سمع عن مدرسة أفضل بادر بنقلى
 اليها ، وقد تنقلت فى خلال هذه الفترة بين مدارس البراموني الأولية
 بالعباسية والسلحدار الابتدائية بباب الفتوح والنيل الابتدائية بشبرا
 وخليخلى أغا الابتدائية التى أنزلنى ناظرها من السنة الثالثة الى السنة
 الأولى وأتذكر أن مدرس الموسيقى فى مدرسة السلحدار كان الموسيقار
 عبد الوهاب الذى حاول أن يعلمنى الموسيقى وضمنى لفرقة الأنشيد
 بالمدرسة ولكننى فشلت فشلا ذريعا » .

٣ - احسان في بيت فاطمة اليوسف

٠٠٠ وتمر السنون بالطفل احسان في بيت جده الشيخ رضوان تحت رعاية عمته « نعمات هانم » مع السماح له بزيارة الأم والاقامة معها يوم الجمعة من كل أسبوع الى أن جاء أواخر عام ١٩٢٣ حيث تزوجت السيدة فاطمة اليوسف من الفنان زكى طليمات وكان عمر احسان أربع سنوات ٠٠

وقد أعقد عليه زوجيا - بابا زكى كما يناديه احسان حتى الآن - حبا عظيما وحنانا صادقا كذلك أعطاه قيمة هامة هي الاحترام مما جعله ينسبه تماما أنه زوج والدته « فذات يوم من أيام الجمعة التي اعتاد احسان أن يزور فيه والدته اعتدى عليه أبناء الجيران وهنا ثار الفنان الكبير زكى طليمات ونزل الى الشارع حاملا شومة ضخمة ليدخل في مشاجرة عاصفة مع الجيران ٠٠

وقد عرف احسان دائما بأنه ابن السيدة روز اليوسف وكان أحيانا يواجهه الناس بلقب « ابن الست » ٠٠

ويقول الكاتب الكبير احسان عبد القدوس :

« صحيح أنني تمردت على لقب ابن الست الذي ظل يطاردني لسنوات طويلة ولكنني في نفس الوقت لم أرفضه لأن أصحابه كانوا

يريدون بطريقة خبيثة أن ينسبوا كل نجاح أحققه وكل نصر أتمكن منه الى هذا اللقب وكأني مجرد كائن لبلاي النزعة يحسن التسلق على اسم أمه وعلى شهرتها وبذلك آكون بلا فضل في أى شيء » . .

كانت هذه مشكلة تؤرق الأستاذ احسان عبد القدوس فهو يحب أمه بل وتعلم منها الكثير ولكنه كان يرفض تماما أن ينسب أى تفوق له لأنه ابن روز اليوسف . .

وعن هذه المرحلة يستكمل الأستاذ احسان الصورة فيقول :

« نعم أنا ابنها وتلميذها أخذت منها البدايات الجيدة ولكنى بعد ذلك قدمت اضافات لا يستطيع أحد انكارها . .

ففي مجتمع روز اليوسف الأم والمجلة . . عرفت حقيقة الطبقة الحاكمة ولكنها كانت معرفة سلبية عمقتها بعد ذلك عن طريق صداقاني وعلاقاني مع أبناء تلك الطبقة وكان بعضهم ينتمى لأقصى اليمين أو لأقصى اليسار كعائلات الملوم والبدرأوى وسراج الدين وغيرهم فأعطتني تلك الصداقات رؤية فاحصة واعية لعقلية تلك الطبقة وبطريقة حياتها ولأسلوب تفكيرها . . . وعن طريق روزاليوسف الأم رأيت الآلام التي عانتها لأنها رفضت الخضوع للسيطرة الحزبية ولأسلوب القهر ووسائل الاغراء المادى والأدبى التي تعرضت لها فعرفت أسلوب الأحزاب فى اضطهاد ضحاياها ، ولكن الى جانب هذه الدروس المستفادة من أستاذتي وأمى فاطمة اليوسف عايشت بنفسى التجربة ومررت بها فى أكثر من واقعة سواء وأنا طالب أو بعد تخرجى فى كلية الحقوق أو بعد تفرغى الكامل للعمل الصحفى » . .

واستمرت الحياة تداعب الطفل احسان فتقذف به يمينا تارة ويسارا تارة أخرى فنجد والده « محمد عبد القدوس » يلحقه عام ١٩٢٨ بمعهد الموسيقى العربية لدراسة الكمان ولكن الفتى يفشل ، فيتركه الأب بواصل دراسته الابتدائية الى أن يحصل على الشهادة عام ١٩٣٣ فيحاول معه مرة أخرى فهو يريد أن يصبح ابنه فنانا مثقفا وبأى ثمن فيحاول اقناعه بدراسة التمثيل وهو طالب فى السنوات الأخيرة من المرحلة الثانوية ويكاد احسان أن يقتنع لولا تدخل الأم والعمة معا لكي يبعدها احسان عن العالم الذى قاست منه الأم عن تجربة وخافت منه العمة عن سماع لما يدور فى محيط الفن وما يقع فيه من مأس ومحن لايقوى على

تحملها ابن أخيها ٠٠ ويقع احسان الطالب بمدرسة «فؤاد الأول الثانوية»
بين مغناطيسية أبيه وأمه فكل مره والديه يرسم له طريق المستقبل الذي
يريده هو ويحاول بثمتي الطرق جذبه اليه ٠٠٠ غنجد احسان يحاول
كتابة الزجل والقصة استجابة لتوجيه أبيه ويحاول الاشتغال بالصحافة
استجابة لتوجيهات أمه التي أرادت صحفيا وعن محاولاته في الشعر
نذكر منها ما يلي :

حيثك ليه تسيبيني	وتزیدی فی تباریح و جدی
وهويتك ليه تنسيني	مين غبري حبك بعدی
كيوييد اتجنن من قلبك	من هجرك لی وأسایا
حسيب الصنعة عشان خطرك	وحيقعد يبكي ويايا

٤ - لولا حبي الأول والأخير

بعد أن اجتاز احسان دراسته الجامعية بنجاح وتخرج في كلية الحقوق عام ١٩٤٢ اتخذ أهم قرار في حياته فقد قرر أن يتزوج الفتاة الوحيدة التي أحبها « لولا » وعنهما يقول الأستاذ احسان :

« هي حبي الأول والأخير وقد لا يصدق الكثيرون هذا ولكنها الحقيقة فبند عرفتها في مطلع عام ١٩٤٢ وكنت حينذاك طالبا بالحقوق وحتى الآن لم تستطع أى امرأة أن تزحج مكانها في قلبي !! فلولا ثقتها بي وأنا في مستهل حياتي لما وجدت الشجاعة على الاستقلال بنفسى وهذا الذى جعل أمتى تطمئن بقدرتى على المضى فى الحياة . . . لقد أعطتنى « لولا » الصورة المثالية للزوجة التى تفهم دورها فى حياة زوجها والتى تستطيع أن تشكل هذا الدور تبعا للظروف التى يمر بها زوجها فى مراحل حياته المختلفة فقد عشنا ظروفا عصبية وأياما صعبة ففى بدء حياتى كان دخلى لايزيد عن عشرة جنيهات وكانت رسالتها آنذاك وشغلها المشاغل هو البحث عن وسائل لتوفير حياة معقولة بهذا المبلغ البسيط ، وعندما تغيرت حياتى ، وأصبحت المشكلة الاقتصادية ليست مشكلة حياتى الأولى سارت زوجتى بذلك لتغيير دورها فى حياتى ، من تدبير الوسائل التى تسهل لدخلى البسيط أن يكفينا حتى آخر الشهر الى حمايتى ككاتب عليه أن يعطى الكثير من وقته لقلمه ، من مشاغل الحياة اليومية التى تشغل بها كثير من الزوجات بال الزوج الذى يجب أن يتفرغ لما هو أهم من التفكير فى اصلاح

التلاجة أو شراء لوازم البيت مثلا ٠٠٠ وبالتدريج تحولت زوجتي برسالتها في حياتي الى وضع فريد ، أستطيع أن أشبهه بدور رئيس مجلس الادارة في حياة الشركة أو المؤسسة ، الأمر الذي يجعلني الآن قادرا على أن أقول ببساطة أن زوجتي هي رئيسة مجلس ادارة حياتي ، بل لقد نجحت بذلك شديد في أن تأخذ كل اختصاصات مجلس الادارة مجتمعاً رئيساً وأعضاء ! وإذا كان مؤرخو المسرح الأوربي يعتبرون سترندبرج مثلا للضدياع والشنات وقمة في التمزق النفسى والاجتماعى ، فان حياتي قبل أن أتزوج ، لا تقل فظاعة عن كل ما لاقاه هذا الأديب الضائع لولا أنني وقفت وبضربة حظ الى الحب الحقيقى الذى أعاد الى حياتي توازنها وهو ما اعتقد أن سترندبرج عاش يبحث عنه دون أن يلتقى به » .

أجمل كلام من الممكن أن يقوله زوج عن زوجته قاله أستاذنا انصافاً للحق لمن أحبها ٠٠ ولكن ما هي قصة هذا الحب الذى يتحدث عنه بكل هذا القدر الوافى من الوفاء والاخلاص ٠٠ وما هي ضربة الحظ التى قادتة للحب الحقيقى ؟

يقول الأستاذ احسان :

« لقد كانت البداية مع طبق عاشوراء ! فقد كنا ليلتها في ليلة عاشوراء وذهبت مع صديقى أحمد جعفر لكى نوصل « طبق عاشورة » من صنع والدته الى أسرة صديقة لهم ووقفنا على الباب ، ولكن السيدة ربة البيت أصرت على أن ندخل « الصالون » لكى نأكل العاشورة عندها ، وكانت تلك عادة العائلات فى العباسية تبادل الهدايا فى المناسبات والأعياد . وفى الصالون رأيت صورة « لواحظ المهيلمي » فشغلتنى نظرة البراءة والذكاء الحاد المائلة من عينيها ، عن طبق العاشورة اللذيذ الذى قدمته لى شقيقتها ربة البيت ، وسألت صديقى أحمد جعفر عن صاحبة الصورة وكانت البداية ! وقد عرفت فيما بعد أن زوجتي كانت موجودة عند شقيقتها فى نفس اللحظة التى كنت مشدوداً فيها لصورتها وأنها ، أتنى سرا وبأدلتنى على البعد نفس الاهتمام ، ومنذ تلك الليلة بدأت أهتم بتتبع أخبارها ، وأتعمد التواجد فى المجتمعات العائلية التى يمكن أن التقى بها خلالها ، ٠٠

وهكذا يعترف لى الأستاذ احسان بقصة ميلاد حبه لزوجته ، ذلك الحب الذى قال انه حبه الأول والأخير ٠٠٠ ولا أخفى عليكم سرا أنه لم يكن من السهولة بمكان كما قد يتصور البعض أن يحدثنا أستاذنا عن

ذلك الحب ، على الرغم مما يصوره في مؤلفاته الأدبية من قصص الحب ولغرام الى المدى الذي استغله أعداؤه - كما سيتضح فيما بعد - وهاجموه ووصفوه بأنه « صاحب مدرسة أدب الفرائس » وأنه قصاص الجنس في الأدب العربي المعاصر .. فأستاذنا كما يعرفه المقربون اليه انسان بطبيعته خجول لا يجيد الكلام على الرغم من أنه كاتب بارع فضلا عن أنه من المعروفين بالانطواء الشديد والحرص على ابعاد الأضواء عن حياته الخاصة ! .. ومن يطالع روايته « زوجة أحمد » التي اتجه فيها الى كتابة قصة زواجه وحياته الأولى نجده يعترف على نفسه ويقول :

« لا أجيد الكلام ولا أجيد المناقشة وأنى لا أستطيع أن أركز أفكارى الا فوق سن قلمي .. ولعلك تعلمين أنى منذ تزوجت أمك حتى اليوم وأنا أكتب لها كل شهر خطابا أقول لها فيه .. كم أحبها ، وأنها ترد على كل شهر بخطاب تقول لى فيه .. كم دلتنى ، وكم عبثا حملته عنى » .

وبعد عشور الشاب « احسان » على حبه الحقيقى وتأكده من صداه الايجابى لدى حبيبته ، يقرر القبض عليه حتى لا يفلت منه ويضمن بقاءه فى حياته للأبد ولكن تصادفه عقبة فماذا يفعل أمامها أنه مستعد ان يحطم أبة عقبة تقف فى طريقه لحبيبته ..

يقول الأستاذ احسان عن هذه العقبة :

« وصادفتنا فى النهاية مشكلة .. كلانا يحب الآخر وكلانا مقتنع بأنه وجد شريك عمره .. ولكن نظرة أسرتها لى لم تكن نظرة الرضا فضلا عن الاعجاب أو الترحيب . ووجدنا أن الحل فى فرض الأمر الواقع على الجميع ، وفى عصر أحد أيام نوفمبر سنة ١٩٤٣ دخل المأذون الى بيت محمد التابعى ليعقد قرانى سرا على زوجتى .. وسقانا التابعى وكان أشهر عازب فى ذلك الوقت « شربات » الفرح وهو ينثر حولنا دعاباته الساخرة ، مما يتوقع حدوثه لكلينا من أمى ومن أهلها ، عندما تظهر حقيقة « العملة » التى « عملناها » ثم استأذنت لولا لنعود الى بيت أسرتها وظلمت أنا فى بيت التابعى الذى كنت أقيم عنده بعد خلاف وقع بينى وبين أمى .. »

ولكن هل هذا الزواج السرى حقق له كل ما كان يتخيله من سعادة وراحة ..

يقول الأستاذ احسان :

« كنت واهما حين تصورت أن زواجى سرا من حبيبتي ، سيضع حداً للمتاعبى ٠٠٠ صحيح ان قلقي النفسى انتهى وأن احساسى الدائم بالوحدة والاعتراب النفسى عن كل ما حولى قد زال وتلاشى . وصحيح أنني وجدت أخيراً الانسانة التى تفهمنى وتحس بكل ما فى قلبى ، قبل أن أفتح فمى بكلمة واحدة ولكننى وجدت أمامى مشكلة فظيعة يتحتم على أن أصل الى حل عاجل لها قبل أن أصل الى سعادتى فى بيت يضمنى مع زوجتى ، فلم يكن مرتبى من مجلة روز اليوسف يزيد عن اثنى عشر جنيهاً فى الشهر ، تضاف اليه خمسة جنيهاً كنت أتقاضاها كمحام نحت التمرين من « ادوار قصيرى » وهو دخل لا يسمح لى بفتح بيت وإقامة أسرة مستقرة مادياً » ٠٠

قد لا يعلم الكثيرون أن الأستاذ احسان حين تخرج فى كلية الحقوق عام ١٩٤٢ قد التحق كمحام تحت التمرين بمكتب واحد من أشهر المحامين آنذاك وهو « ادوار قصيرى » ولكن طبيعته كشخص خجول ، لا يجيد الكلام والمناقشة والمحاماة مهنة الحوار والصراع بالمواجهة لا ينجح فيها رجل يتسم بهذه الصفات وان كان قد وفق فى « كتابة المذكرات القانونية » فان محامى المذكرات فى ذلك الوقت يجب أن يكون من عمالقة المهنة الذين تمرسوا بالعمل وبلغوا من ذبوع الشهرة فى الوسط القضائى بحيث تفتح شبرتهم الأبواب أمام مذكراتهم .

وعن هذه الفترة يقول أستاذنا احسان :

« كنت محامياً فاشلاً لا أجيد المناقشة والحوار وكنت أدارى فشلي فى المحكمة اما بالصراخ والمشاجرة مع القضاة ، واما بالمزاح والنكت وهو أمر أفقدنى تعاطف القضاة بحيث ودعت أحلامى فى أن أكون محامياً لامعاً » ٠٠

وتنزوى أحلام المحاماة فى خياله الى لافتة صغيرة يعلقها على باب حجرة بمجلة روز اليوسف عليها عبارة « احسان عبد القدوس المحامى » وظل يوقع بهذا اللقب المقترن باسمه على جميع مقالاته وتحقيقاته الصحفية عدة سنوات وكأنه يعزى نفسه لنفسه أيضاً على فشله فى هذه المهنة وفقدانها للأبد !!

٥ - احسان والزواج الزائف

لم يمض أكثر من ثلاثة أشهر حتى عرفت أسرة المهيلمى بهذا الزواج . يقول الأستاذ احسان :

« لاحظت أخوات « لولا » البنات شيئاً ما بينى وبينها ولكن لم يخطر ببالهن إطلاقاً أننا متزوجان فضيق الحناق عليها وشيئاً فشيئاً منعوها من الخروج واستدعوني وأخفن بفتعنتي أن أبتعد عنها ولا داعي إطلاقاً لفكرة الزواج .. فقلت اندهما في عروقي فأخبرتني في الحال أننا تزوجنا منذ ثلاثة أشهر فأغمى على أختها الكبرى في الحال .. »

كان لا بد أن يعترفوا بالأمر الواقع ولكي تبدو الأمور طبيعية أمام الناس عملوا كتب كتاب صوري وأحضروا نفس المأذون الذي عقد قراننا . ووقفنا لالتقاط الصور كأي عروسين يوم زفافهما . »

وهكذا انتصر حب احسان على مجتمع زوجته .. ويقف الجميع مناصرين لهذا الحب العظيم .. الا السيدة فاطمة اليوسف التي كانت رافضة لزواج ابنها لصغر سنه فقط ولم تحضر الفرح ..

ولكن والده « محمد عبد القدوس » يشعر بسعادة لا مثيل لها ، فهو مقتنع بابنه غاية الاقتناع وكل ما يفعله ابنه على صواب فهو مدرك أن ابنه لديه من المسئولية ما يعينه على السير في هذه الحياة .. فيتنازل طائعا عن شقته الصغيرة وهي كل عالمه ودنياه ، لابنه احسان ليبدأ حياته

الزوجية بها ، بينما ينتقل هو للإقامة مع أخته في منزل الجسد
بالعباسية ٠٠

قبل أن نترك حادثة زواجه الطريفة هذه نكون قد وضعنا يدنا على
أهم مفتاح في شخصية أستاذنا وهي « الثورية » تلك الثورية في اتخاذ
القرارات والتي تجلت بوضوح في موضوع زواجه ٠٠ وهي التي جعلت
منه صحفيا جريئا ومفكرا خلاقا كما سنرى فيما بعد ٠٠

ولكن هل أحس الصحفي الشاب بالسعادة الكاملة وهو يقيم بتلك
الشقة بعد أن أعطته زوجته الأمان والاستقرار النفسى والاجتماعى الذى
طالما حرم منه لسنوات طويلة قضاها فى التنقل بين بيت أمه وبيت جده
وبيت أبيه وبيوت أصدقائه وبيت عمته والبنسيون ٠٠ وما عاناه خلال
هذه السنوات من التمزق النفسى والصراعات الحادة وهو يرى هذا
التناقض الصارخ بين هذه المجتمعات الى المدى الذى أصابه - كما يعرف
القربون اليه - بنوبات عصبية ، يفقد فيها شعوره ، فيشد شعره
ويمزق ملابسه ، حتى يسقط على الأرض غائبا عن الوعي ، فإذا تاب الى
رشدته شعر بالراحة النفسية بعد المجهود البدنى الذى بذله ونفس به
عن حالات الكبت النفسى التى يخترنها فى أعماقه ٠٠

وقد ظلت هذه النوبات العصبية تحل به حتى أرقده فى الفراش
وهو فى السابعة عشرة من عمره ثلاثة أشهر كاملة لم يتخلص منها - كما
قال لى - الا بعد أن قرأ القرآن ثلاث مرات متتالية استجابة لنصيحة ٠

بالطبع لم يشعر الأستاذ احسان بالسعادة الكاملة فى بيت أبيه
بحى عابدين ، فهو يريد أن يوفر لزوجته حياة كريمة مريحة فيها
استقرار مادي لا تقل عن الحياة التى عاشتها فى بيت أسرتها ٠٠ فزوجته
هذه التى أعطته كل الحب والحنان وضحت من أجله بكل شيء ، فهى التى
كانت تهرب خلصة من بيت أهلها لتذهب للبنسيون الذى يعيش فيه
«احسان» وتطبخ له وتغسل له ملابسه وحينما تطمئن عليه تتركه وترجع
بيتها ثانية ٠٠٠ هذه الزوجة المضحية المخلصة لابد أن يوفىها حقها ٠٠
ولكن كيف ٠٠٠ وأين السبيل لذلك ومرتبته من الصحافة محدود لا يتجاوز
اثنى عشر جنيها فى الشهر ودخله من الحمامة شبه معدوم ؟

ويروى الأستاذ احسان كيف واجه تلك المشكلة العسيرة فى
حياته ٠٠٠ وهو الذى اعتاد على خوض المعارك بكل شجاعة ، بحيث أصبح
لا يطبق الحياة بلا معارك ٠٠٠ على الرغم مما قد يبدو عليه الآن أمامنا من

هدوء ظاهري فيقول : « ذهبت الى المتابعي وطلبت منه العمل
بآخر ساعة ، فرحب بي ، وقرر أن يكون سرنبي كسكرتير تحرير خمسة
وعشرين جنيها ٠٠٠ قبلتها على مضض لانني اعتبرتها رشوة منه
لأبن الست » ٠٠

ولكن هل رضيت زوجة احسان بما عرف عنها من ذكاء شديد بان
يعمل زوجها مجرد سكرتير تحرير لمجلة آخر ساعة ٠٠ بالطبع لا ٠٠
فقد رأت الزوجة الذكية أن المكان الطبيعي لزوجها انما هو في مجلة أمه
« روز اليوسف » وليست في آخر ساعة التي تنافسها ٠٠ فتلح عليه في
العودة للعمل مع أمه راضية بمبلغ لا يتعدى الاثنى عشر جنيها رافضة
مبلغ الخمسة والعشرين جنيها ٠٠٠ ويستجيب احسان لالحاح زوجته ٠٠٠
ويعود الضيق المالى ٠٠٠ ولكن هل يسكت « احسان » الثورى ويرضى
بتلك الحياة المتراضعة التي يعيشها مع زوجته فى حرم عابدين المتواضع
بما يشوبها من أزمات مالية ٠٠٠ ويعلن انهزامه فى معركة الكبرى التي
خاضها من أجل زوجته الوفية . تلك الزوجة التي دفعها الحب والعقل
والقناعة والوفاء الى الرضا بشقة متواضعة .

وهنا أحس احسان أن واجبه يحتم عليه أن يثبت لها أنها لم
تخطئ أبدا ولن تندم عندما اختارته من دون الرجال ، لكى تمنحه حبها
واخلاصها ، ويصمم الأستاذ احسان على الاستمرار فى خوض تلك
المعركة التي بدأها عاقدا العزم على المضي فيها حتى نهايتها بكل ضراوة
وشجاعة معتمدا على الله سبحانه وتعالى واثقا بأنه سيكفل سعيه
بالنجاح ٠٠

٦ - احسان وتجارة الأرز

قال لى الأستاذ « احسان » : « أنا انسان مستسلم لقدره الى حد السذاجة !! ولعل هذا راجع لظروفي الخاصة التي فرضت على أمورا لو لم آكن قوى الايمان بالله صادق التسليم بالقدر لما استطعت تحملها ٠٠٠ وهذا الايمان بالقدر جعل منى انسانا قد يبدو غريبا فى نظر البعض . لأنه « بلغة المصالحح » لا يعرف كيف يستفيد من علاقاته !! ولو عرف هذا « البعض » أن قوة ايمانى بالخالق ، جعلتني أستكف طيلة عمري أن « أطلب » لنفسى شيئا من بشر مثل لا تضح لهم سبب هذا الزهد فى مطالبى الدنياوية ، التي انحصرت طيلة عمري فى مطلب واحد لم يتغير أبدا أن يكون فى يدي فلم ، وأن أستخدم هذا القلم فى هواية عمري ٠٠ الكتابة !! » ٠٠

ولذا فاننا نجد كاتبنا لا يسعى الى كبار الساسة والاقتصاد فى مصر لعله يجد لديهم عملا يدر له كسبا ماديا سريعا يحقق بموجبه ما يتمناه لزوجته الوفية من الاستقرار المادى الذى يوفر لها الحياة الكريمة ٠٠٠ وما أيسر على الأستاذ احسان أن يسلك هذا الطريق فهو « ابن الست » ذات الصيت الالامع فى عالم الفن والصحافة ٠٠٠ ولكننا نجده يرفض ذلك الطريق السهل بشكل قاطع ويتجه بدلا منه الى الطريق الصعب معتمدا على الله سبحانه وتعالى وحده فنجده يعاود التفكير فى البحث عن حل لازمته المالية .

فيقول لي « جاءتنى الفكرة وأنا جالس ذات يوم مع صديق لي بأحدى
المتاهي ٠٠٠ ورأيتة يتنقل بين مائدتين يتحدث الى الجالسين عليهما ، ثم
يعود متهللا ليعلن لي أنه ربح خمسمائة جنيهه من السمسرة في صفقة أرز
بين المائدتين ٠٠٠ !! ٠٠٠ وأطار الخبر صوابي !! وقررت فورا أن أشتغل
سمسار أرز مستغلا اتساع نطاق معارفي . ولكنني دشملت فشلا ذريعا
في أول صفقة حاولت عقدها ، ورأيت أحلام الثراء تطير من يدي وأنا
أتشاجر مع تاجر كنت أعرفه ، وأثبتت لي التجربة انه نصاب كبير ٠٠٠
وقلت له رأيي بصراحة لا أحسد عليها » ٠٠

ولكن هل ييأس الصحفي الشاب احسان من ايجاد حل لمشكلته
المادية التي يخشى أن تهدد عشه الصغير في حي عابدين وبالتالى الخضوع
للامر الواقع وهو العيش بدخل لا يتجاوز اثني عشر جنيها في الشهر وهو
كل ما يتقاضاه من مجلة روز اليوسف ٠٠٠ بالطبع لا ٠٠٠ فنجدد يعاود
التفكير مرة أخرى للبحث عن حل فيتبادر الى ذهنه لماذا لا يجرب الكتابة
للسينما ، وهو بحكم نشأته ليس غريبا على الوسط الفني فهو ابن المثلة
المشهورة « فاطمة اليوسف » وما أكثر ما عاش في مجتمعها ٠٠٠ ذلك
المجتمع الذي تتزاحم فيه اعلام الأدب والفن والسياسة ٠٠٠ والأجور في
السينما مرتفعة وهو لا يقل عبقرية عن عباقرة السينما المصرية في ذلك
الوقت !!

ويسترجع الأستاذ احسان هذه الفترة من حياته قائلا :

« كتبت سيناريو لفيلمين ، وذهبت بهما الى مكتب عبد الوهاب
بعمارة « ايموبيليا » ٠٠٠ لقد كان كل منا يعرف الآخر جيدا فضلا عن
أنه كان أستاذي في المدرسة الابتدائية وفي مصعد العمارة التقيت
بالمرحومة عزيزة أمير ٠٠٠ وعرفت سبب حضوري ، وجلست لثلاثتهم بعينيها
مسودة الفيلم فأخذتني عنوة الى مكتبها بنفس العمارة ، ولم تتوقف
حتى انتهت من القراءة ٠٠٠ ودون أن تعطيني فرصة للكلام ، أخرجت
دفتر شيكاتها ، وحررت لي شيكا بمائة وستين جنيها ٠٠٠ بواقع ثمانين
جنيها عن الفيلم الواحد ٠٠٠ ورغم بساطة المبلغ ، الا أنه كان بالنسبة
لي شيئا مذهلا ٠٠٠ لقد كانت هذه أول مرة في حياتي أقبض فيها
مائة جنيه كاملة ٠٠٠ وخرجت وأنا أرتعش من شدة الانفعال ويدي
ممسكة بالشيك في جيبى بطريقة تفرى أخيب نشال بأن ينسف
سعادتى ٠٠٠ ووصلت الى بيتي مشيا على قدمي ٠٠٠ كانت زوجتي في
حجرة النوم وفوجئت بزوجها الحجول ٠٠٠ يتشقلب على السرير كامهر

بهلوان ٠٠٠ وعندما عرفت الخبر أثبتت أنها لا تقل عن زوجها مهارة في عالم الشقلبية ٠٠٠ وكانت ليلة لا تنسى في عمر حينا الطويل ، ٠٠

وهكذا استمر صراع الأستاذ احسان مع الحياة من أجل توفير الحياة الكريمة لزوجته الحبيبة حتى وصل به الى منصب رئيس تحرير مجلة روز اليوسف كما سيتضح فيما بعد وهو المكان الذي رأته زوجته بعين الخيال حين طلبت منه أن يترك عمله في آخر ساعة ويعود للعمل مع أمه في مجلة روز اليوسف ٠٠٠ هذه الزوجة العاقلة التي تحملت وقاست من الحياة الجافة حتى تساعد في صنع نجاح زوجها ، وتحملت أيضا عصبيته الزائدة ، فقد كانت رغبته في الوصول للنجاح والحصول على المال تسبب له توترا عصبيا مستمرا وتجعله دائما باحثا عن العمل خارج البيت فاذا عاد اليه كان فتات انسان هدرت قواه !! تحملت كل هذا بحب ورضاء بالغين ٠٠

وقد لا يعلم الكثيرون أن زوجة كاتبنا كان لها ارث عن أسرتها كان كافيا أن يوفر لها الاستقرار المادى وهما في أشد حاجة الى المال ٠٠٠ ومع ذلك يرفض الزوج احسان رفضا مطلقا أن يجعل زوجته تصرف ولو بقدر بسيط من هذا الميراث للوفاء باحتياجاتهما المعيشية وقد حاولت مرارا أن تقنعه بضرورة مشاركة المرأة ماديا للرجل في الحياة ولكنها أبدا لم تفلح !!

وهنا يتجلى بوضوح الجذور التي نبت منها الأستاذ « احسان عند القدوس » الذي تجرى في عروقه الكرامة والشهامة ، فالأستاذ « احسان » رجل شرقي صميم يرفض أن تعوله امرأة ٠٠٠ أيا كانت هذه المرأة ٠٠

كما يوضح لنا هذا الموقف كيف يرفض كاتبنا الطريق السهل للوصول به للاستقرار المادى الذي يوفر لهما الحياة الكريمة ٠٠٠ مختارا الطريق الصعب طريق الكفاح في الحياة حتى يصل الى ما يصبو اليه معتمدا على نفسه فقط ، واثقا أن الله سبحانه وتعالى سيكفل عمله بالنجاح والتوفيق ٠٠

ولذلك كان يرفض الانجاب في هذه المرحلة الدقيقة والحاسمة في حياته ٠٠

يقول الأستاذ احسان : « منذ تزوجت وأنا رافض ومشترط على زوجتي ألا يكون لدينا أطفال ونعذبهم معنا بهذا الدخل البسيط وكانت ولله الحمد متفقة معي في ذلك المبدأ تمام الاتفاق وظللنا على هذا المبدأ الى أن وصل دخلي الشهري ستين جنيها ، فقلت لزوجتي الآن فقط ممكن أن يكون لدينا ابن وأستطيع بكل ثقة وأمانة أن أوفر له الحياة اللائقة وفعلا جاء محمد ثم أحمد .. »

وهذان الولدان يثلان حياتي بالضبط ، فأنا دائما أقول عن نفسي أنني نصفين ، نصف خيالي وفني صرف متفرغ لأرائي ومبادئ فقط .. هذا النصف ورثته عن أبي الفنان « محمد عبد القدوس » وورثته بالتالي لابني « محمد احسان محمد عبد القدوس » الصحفي بأخبار اليوم ... يذكرني بشبابي في الصحافة ، فهو مثل ثوري وجريء ولكن الفرق بيني وبينه أنني ظلمت أرفض الانضمام أو التبعية لأي تنظيم ... لكن محمد لم يستطع أن يصمد مثل فهناك من يؤثر عليه وهو متدين جدا يذكرني بجدي ، وحينما فكر أن ينزوج لم أتدخل مطلقا في زواجه ولم يكن لي أي رأى ... والحمد لله اختار فتاة فاضلة من أسرة الشيخ الغزالي ... فزوجة محمد هي ابنة فضيلة الشيخ الغزالي ولهما طفل اسمه محمد أو مودي كما نناديه « .. »

« أما نصفى الآخر فهو واقعي ، يعيش الحياة بحلوها ومرها ويعمل حسابا لذلك المر ، ذلك النصف الواقعي ورثته عن أمي السيدة روز اليوسف التي كثيرا ما حذرتني من نصفى الآخر الخيالي ودائما كانت تقول لي « اوعى تطلع خايب زي أبوك ماعهوش ولا مليم » !! »

هذا الجانب الواقعي الذي يعرف كيف يكسب أنتج المهندس أحمد الذي عين معيدا بكلية الهندسة وكان مرتبه ٢٧ جنيها ففكر بعقلية (جدته) الالكترونية فوجد أنه سيظل في كنفى طوال العمر وسأظل أصرف عليه ، فسافر الى أمريكا بعد أن تعلم ادارة الأعمال في مصر والتحق هناك بجامعة كاليفورنيا وأخذ ماجستير في ادارة الأعمال في عامين ... اشتغل بعدها في شركة كبيرة ، ومنذ هذا الوقت امتنع نهائيا عن أخذ أي مليم مني ، لأنني أنا الذي كنت متكفلا بجميع متطلباته الدراسية والعائلية هناك .. »

وفى العام الماضى فقط ترك الشبكة وفتح مكتبا باسمه هناك وأسس شركة أيضا باسمه وباسم زوجته التى تزوجها قبل سفره وهى كريمة الأستاذ الخبير البترولى الكبير توفيق شوقى ٠٠٠ كانت طالبة بالسنة الثالثة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ودرست فى أمريكا وأخذت ماجستير ٠٠ ولهما طفلان كريم وشريف أحبهما جدا ٠٠٠ لقد قضيا معى الصيف الماضى وكنت أعب معهما على رمال العجوى الجميلة وكانت أسعد اللحظات وأنا أراهما يتسابقان مع مودى على « ٠٠

« كان يحكى لى عن أحفاده وأنا أنظر الى وجهه وهو يفعل بالحب والحنان وأتأمل عينيه فأجد فيهما براءة الأطفال تزيدهما لمعانا فوق لمعان ٠٠٠ هذا هو كاتبنا الكبير ٠٠٠ أب وطفل فى آن واحد ٠٠

إحسان عبد القدوس الأديب

إحسان عبد القدوس الأديب - إحسان عبد القدوس الأديب - إحسان عبد القدوس الأديب

١ - احسان يقرأ القرآن

كان احسان يعد نفسه لأن يكون أديبا في يوم ما وبالتحديد كاتب قصة فأخذ يسلح نفسه بكافة الأسلحة التي تحقق له هذا الغرض ، فاتجه الى القراءة والبحث ابتداء من أوائل عام ١٩٤٠ وحتى نهاية دراسته الجامعية بكلية الحقوق بعد أن قرر الابتعاد عن محاولة التأليف المسرحي وكتابة الشعر كما سبق أن ذكرنا مختارا طريقا واحدا من أنواع الأدب لا يحيد عنه وهو أدب القصة . ٠٠٠ وقد لا يعلم الكثيرون أن كاتبنا في طفولته الأولى كانت متعته الوحيدة هي القراءة وأحس والده « محمد عبد القدوس » بذلك فشجعه وأحضر له الكثير من قصص الأطفال لعله يتقرب بها الى قلب طفله الصغير الذي حرمه القدر من حب أبويه بدون ذنب جناه !!

ويقل الطفل الصغير بكل شغف وشوق الى الاستمتاع بتلك القصص كالفارس باردليان ، ومغامرات روكامبول ، واللص الشريف ٠٠٠ الخ ٠٠٠ وهو سعيد بالجو الخرافي الذي تشييعه حوله أحداث تلك القصص التي يلتهمها ٠٠٠ فإذا اشتد به الفزع من هول ماقرأ ... استعاث بدمته « أمي ، نمة » كما كان يناديها ، تجلس معه في الحجرة ، بشرط أن تجلس صامتة لا تقطم عليه قراءته ، ولا تعطله عن اصدار ما يشاء من صيحات الفزع أو السرور حسب مقتضيات الأحوال ٠٠٠ وينمو مع الطفل حبه الوحيد للقصص ، وعالمها الخيالي ،

الذى يجد فيه كل ما ينقصه فى عالمه الواقعى الحاوى من حنان أبويه
الأحياء .. ولذا نجده قد اتجه على الفور الى دراسة أدب القصة رافضا
المسرح والشعر ..

يقول الأستاذ احسان عن هذه الفترة : « أنا كأديب ... لم يكن
لى مثل أعلى وانما سعيت الى أن أكون ما أستطيعه ككاتب ... ولكى أعد
نفسى كأديب يكتب القصة بشكلها المعروف عالميا ... سرت فى خطين
متوازيين فى وقت واحد ... وصل بى أولهما الى اتقان الشكل الفنى
لحرفية « وتكنيك » كتابة القصة وأخذت من الثانى سلامة العبارة .
وموسيقى الجملة العربية » ..

الخط الأول ، بدأ مع سنوات دراسته الجامعية بكلية الحقوق (من عام
١٩٢٨ الى ١٩٤٢) وكانت سنوات اضطراب وخلخلة أصابا العالم كله
مع قيام الحرب العالمية الثانية ، ولم تكن الدراسة منتظمة بشكل تام ،
لهذا وجد نفسه شبه متفرغ للدراسة الأدبية ، فقرأ بالانجليزية معظم
ان سم يكن كل ما كتب فى الأدب العالمى من قصص من أول الهند واليابان
حتى روسيا وانجلترا وفرنسا ... وقد أفادته هذه « الدراسة الحرة »
لأدب القصة العالمى ، فائدة لا حدود لها ، وفى مقدمة عمالقة القصة
الذين استفاد منهم « جى دى موباسان » ، و « أوسكار وايلد » ، ثم
« برنارد شو » الذى استفاد منه كأديب سياسى لاذع ..

اما عن الخط الثانى فهو القرآن الكريم ... فهو مؤمن بأن الأديب
الذى يكتب بالعربية ، لكى يستقيم له جمال العبارة وموسيقى الجملة ،
يجب أن يوثق صلته بالقرآن قراءة ودراسة .. وهذا ما حدث له بالفعل ،
فقد قرأ القرآن عشرات المرات بحكم نشأته مع جده العالم الأزهرى قرأه
من باب التدين وحينما أصيب بحالة نفسية وهو فى السابعة عشرة من
عمره ألزمته الفراش فترة طويلة ، تخلص منها بقراءة القرآن ثلاث مرات
متوالية كعلاج نفسى ... ثم بدأ بعد ذلك يقرأ القرآن قراءة الدراسة
والتذوق لجمال عبارته والاحساس بموسيقاه التى لا تدانىها موسيقى ..

ولكن يبقى سؤال هل للبيئة الاجتماعية التى نشأ وترعرع فيها
كاتبنا الكبير دور فى ثقل شخصيته الأدبية .. قال لى الأستاذ احسان :

« ... شخصيتى الأدبية بنت الظروف والبيئة الاجتماعية التى
نشأت فيها ... وهى ظروف متضاربة ومتناقضة للغاية ، ويتهم بعضها
البعض ، وهذا التناقض فى نشأتى الاجتماعية الأولى أثر ، ولا يزال يؤثر

تأثيرا كبيرا جدا على شخصيتي لا كاديب فحسب ، بل كمفكر وكاتب
سياسى واجتماعى أيضا ٠٠٠ وأستطيع أن أقول بلا تحفظ كما سبق أن
ذكرت أننى نشأت فى بيئة تجمع كل التضاربات والالوان المتنافرة فى
المجتمع المصرى ٠٠٠ فقد نشأت مثلا فى بيت جدى لوالدى (المرحوم
أحمد رضوان) وكان من خريجي الجامع الأزهر ، وكان يعمل رئيس كتاب
بالمحاكم الشرعية ، وهو بحكم ثقافته وتعليمه متدين جدا . كان يفرض
على كل أفراد الاسرة الالتزام بأوامر الدين وأداء فروضه ، والمحافظة على
التقاليد بلا أدنى تساهل ٠٠٠ وفى نفس الوقت كانت والدتى السيدة
روز اليوسف فنانة معروفة ، وسيدة متحررة ٠٠٠ لم تقف عند التفرغ
للعمل الفنى ، بل اشتغلت بالصحافة والسياسة ٠٠٠ وكنت أنتقل وأنا
طفل من ندوة جدى حيث يجتمع به زملاؤه من علماء الأزهر ورجال الدين ،
بكل محافظتهم على التقاليد ، لأجد والدتى تدير فى بيتها ندوة يشترك
فيها كبار شعراء مصر وأدباؤها الى جانب السياسيين وكبار الصحفيين ٠٠٠
وكان الانتقال بين هذين المناخين المتناقضين ، يصيبنى فى البسابة
بما يشبه الدوار الذهنى ، حتى اعتدت عليه بالتدرج واستطعت أن أعد
نفسى لتقبله كأمر واقع فى حياتى ، لا مهرب منه ، ٠

وفى اعتقادى أن هناك عاملا آخر كان له تأثيره الواضح فى تكوين
شخصية كاتبنا الكبير ٠٠٠ وهو انتماؤه لأصل ريفى قح كما اتضح لنا
من قبل ٠

قال لى الأستاذ احسان :

« اننى عندما أكتب عن الفلاح ، انما أكتب عن أولاد عمومى الذين
عرفتهم جيدا وعشت معهم فى كفر ممونة بشبرا اليمى ، ولا يزال بيتى
فى القاهرة مفتوحا لهم حتى اليوم ، ولقد ظللت أحتفظ بالأفدنة الثلاثة
التي ورثتها عن جدى هناك حتى عام ١٩٧٢ ، ٠

فى الواقع أن من يطالع قصص الأستاذ احسان التى كتبها عن
القريبة المصرية انما يلمس من أول وهلة مدى صدق قوله هذا ٠٠٠ ومدى
اعتزازه بهذا الانتماء الريفى ٠٠٠ فهو يكشف لنا عن احساسه بالفلاح
المصرى على الطبيعة فى العشرينات من هذا القرن عندما كان يتردد كما
يقول بانتظام كل صيف على عائلة جده الشيخ رضوان فى كفر ممونة
بقرية شبرا اليمى ٠٠٠ والصور التى عرضها فى هذه القصص ٠٠٠
مجموعة « علبة من الصفيح الصدى » وغيرها توضح اعجابه الشديد
بسكان الريف وبساطتهم وتماسكهم الأخلاقى ٠٠

ولكن هناك اسم فلاحه فى معظم القصص التى كتبها عن الريف
المصرى ٠٠٠ ذلك الاسم هو « سبيلة » فما قصة هذه الفلاحه وما السر
فى تكرار اسمها ؟

يقول الأستاذ احسان : « أنها شخصية حقيقية بالفعل ، اختزنها
وجدانى من حياتى الأولى فى القرية ، أيام الطفولة والصبأ كانت احدى
قربياتى الصغيرات ، ركأت فى سننى ٠٠٠ وكنت أصحو مبكرا ، لكى
أسرع بلقيهاها والذهاب معها الى الحقل نرعى المواشى معا « ونسبج » الأرض
بالسماد البلدى الذى تنقله (سبيلة) على « الحمار » وأنا سائر بجوارها ،
سعيد بزمايتها ، راض بمشاركتى بهذا الجهد مستمتع بما كانت تحكيه
لى من حواديت ساذجة » ٠٠

٠٠ وهكذا يؤكد لنا أستاذنا للمرة الثانية مدى فخره واعتزازه
بانتمائه الريفى ٠٠٠ ذلك الانتماء الذى جعله يخزن فى ذاكرته حتى الآن
اسم فتاة قروية أحبها وهو فى سن الطفولة والصبأ الى المدى الذى كان
بجعله سعيدا بزمايتها وصدقتها ٠٠

قال لى الأستاذ احسان :

« ان جيبى للفلاح نشأ أساسا من الصورة الطيبة التى كان يلقيها
على سمعى جدى الشيخ رضوان فى طفولتى الأولى عندما كنت أقيم معه
ونما ذلك الاحساس بحب الفلاح والقرية فى نفسى مع ترددى كل عام على
القرية ، واقامتى الدائمة فيها بضعة أشهر سنويا أحيا مع عائلته جدى
حياة الريف بكل بساطتها وصبرها كما أننى لم أصادف فى هذه الفترة
من عمرى والتى امتدت منذ وعيت للعنينا فى عام ١٩٢٤ حتى عام ١٩٣٥
ريفيا واحا، يستحق نفورى منه ، وفى حدود ما تعى ذاكرتى ، فلم أصدم
وقتها بسلوك أو قول لفلاح واحد ، يوحى بأن القرية المصرية قد أصابها
ما أصاب مجتمع المدينة آنذاك من تحلل وخروج على القيم والمبادئ ، ولقد
تعلمت من فلاحى كفر ممونة معنى البساطة والوضوح الذى يوشك أن
يقترب من السذاجة .

ولكن هل يعنى ذلك أن كل بطلات قصصه ليست وليدة الخيال
وانما تشكل فى الواقع ذكريات حلوة عاشها كاتبنا كما هو الحال فى
بطلة قصصه الريفية ؟

يقول الأستاذ احسان :

« لقد كتبت أكثر من ستمائة قصة ، ولا يمكن أن أكون بطلها كلها بحكم الواقع الزمني الذي تستغرقه أحداث كل قصة ، بالقياس الى العمر الذي عشته كإنسان ٠٠ فلا يعقل عاقل أن أكون ٠٠٠ وأنا فرد واحد محدود الطاقة والوقت بطلا لمئات القصص التي أكتبها في أدبي الروائي ٠٠٠ ان البطل الحقيقي لكل قصصى هو المجتمع الذي وقفت أطل عليه ، وأسجل بقلمى في عراحة وصدق ما كان يعانيه من أمراض وما يجتازه من محن اخلاقية أو اجتماعية أو سياسية » ٠٠

وفى اعتقادنا أن ما يثار حوله بالنسبة لهذه النقطة انما يعتبر وسام تقدير واعترافا ضمنيا من خصوم أدبه قبل أصدقائه بأنه كاتب صادق استطاع أن يأخذ نماذحه الفنية من المجتمع الذى يعيش فيه ووفق فى تقديم هذه النماذج بصورة مقنعة دفعت البعض الى هذا القول الذى يعنى شبتنا واحدا وهو أنه كاتب صادق مع نفسه ومع مجتمعه لأنه يعرض بأمانة نماذج محكمة يرى الناس فيها أنفسهم ٠٠ فإذا أردنا أن نتعرف على مجتمع ما معرفة حقيقية دون رتوش حاقدة أو مجاملة فيجب أن نبتعد عما يقوله المؤرخون وعلينا بما يسجله الأدب ٠٠ لأن التاريخ يحتاج عقلا أعمله صاحبه تحت سلطان الرغبة أو الرهبة لصاحب السلطان غالبا !! ٠٠٠ أما الأدب فهو عطاء القلب والروح ٠٠٠ وعطاؤهما أقرب الى الصدق والأمانة والعفوية فى التعبير عن الأدب ومجتمعهما ٠٠ فمثلا أعمال سوفوكليس وغيره من شعراء الاغريق ، ومسرحيات شكسبير الانجليزى وموليير الفرنسى ، وشعر جيتا الألماني وقصص زولا وموم ٠٠٠ ومعلقات العرب على أستار الكعبة ثم شعرهم بعدها على مر عصور التاريخ الاسلامى ٠٠٠ اذا قرأناها بعقل الباحث الاجتماعى ، سنجد أمامنا بلا شك صورة دقيقة وحية للملامح المجتمع فى تلك الأمم ، عجزت لغة التاريخ الجافة الخاضعة فى كثير من الأحيان لاعتبارات سياسية عن تسجيلها ! ٠٠

٠٠٠ وهكذا يسجل لنا الأستاذ احسان عبد القدوس بكل ثقة واقتدار قدرة الأديب على رسم صورة صادقة للتعبير عما يدور فى مجتمعه بعيدا عن كذب السياسة ٠٠٠ وبعيدا أيضا عن مجاملة « المؤرخين » الذين لا يخلون من غرض أو هوى حين يبرزون ما لا يستحق الإبراز ٠٠٠ أو يتجاهلون ما يستاهل الحديث عنه !

وفى الواقع أن من يطالع قصص أستاذنا انما يلمس من أول وهلة مدى صدق كلامنا هذا فنبده قد اتجه فى مجموعاته القصصية الثلاث التى

أصدرها قبيل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ باسم (صانع الحب) عام ١٩٤٨ ٠٠٠ و (بائع الحب) عام ١٩٤٩ ٠٠٠ و (النظارة السوداء) عام ١٩٥١ الى تصوير دقيق لفساد المجتمع المصرى وما يعانيه خلال تلك الفترة من انغماس فى الشهوات والرذيلة والبعد عن الفضيلة والأخلاق السامية ٠٠

فلو قلبنا مثلا صفحات تلك المجموعة القصصية الأخيرة « النظارة السوداء » سنجد فى نهايتها قصة غريبة فى بنائها وأحداثها معا تحت عنوان « سيدة صالون » حيث تدور أحداثها أن سيدة فرنسية هاجرت الى مصر مع زوجها الفرنسى ٠٠٠ لكى تستعيد معه ثراءهما الضائع من قبل ٠٠٠ ثم تشرح القصة بأسلوب أقرب الى المقال السياسى ٠٠٠ أو الريبورتاج الصحفى الأساليب التى اتبعتها تلك السيدة لكى تتصيد العملاء لزوجها من طبقة الباشوات وكبار رجال الأعمال بحيث يتمكن زوجها من استعادة مكانته وتكوين ثروته من جديد على حساب الشعب المصرى ٠٠٠ ثم تجرى الأحداث على هذا النمط الذى يسايرها أستاذنا بشرح واف عن أساليب المستعمرين الأجانب فى تكوين ثروتهم على حساب الشعب المصرى وعرقه ودمه مقابل اشراك طبقة المستورزين والحكام المصريين فى هذه المغانم الحرام ٠٠

ولكننا هنا نتوقف لحظة عند الجزء الثانى من القصة التى يتجه فيها أستاذنا الى الحديث عن علاقة سيدة الصالون ٠٠ باسماعيل الأديب والكاتب المصرى ، الجرىء ٠٠٠ الساخر الذى كان يتردد على سهرات ما كان يسمى بالمجتمع الراقى لا لكى يقتات من فتات الموائد ٠٠٠ بل لكى يستوعب من قلبه وعقله معا مخازى هذا المجتمع ويقف عن قرب على فضائحه ، ثم يطلع بها فى شجاعة وأمانة على قرائه من عامة الشعب ٠

٠٠٠ وقد يظن القارىء من أول وهلة أن الأستاذ احسان انما يصف نفسه ويحدد موقفه بشكل حاد من مجتمع عصره وهو موقف المعارض والفاضح لأساليب هذا المجتمع البورجوازى الذى يثرى على حساب الشعب وانحاز احسان للطبقة الشعبية انحيازاً كاملاً ٠٠

وأيضاً اذا تناولنا روايته الخالدة « شيء فى صدرى » التى صدرت عام ١٩٥٨ نجده يرسم لنا صورة دقيقة وصادقة للصراع القائم بين المجتمع الرأسمالى والمجتمع الشعبى والمركة الدائرة بين الجشع الفردى والاحساس بالمجتمع ٠٠ فهى قصة عذاب الاحتكاريين والاسنغلايين ومثلهم بحسين باشا شاكرك ذلك الرجل الذى جمع ثروته من احتكار الآخرين واستغلالهم

وحقق انتصاراته على كل من حوله من الناس بذكائه وأمواله واشترى سكوتهم ومظاهر احترامهم ولكنه لم يستطع أن يخدع هؤلاء الذين يعيشون داخله .. هؤلاء الذين استغلهم فهم يعيشون داخل نفسه .. فى صدره . وهو يحس عذابهم ويحس باعتدائه على حقوقهم ولذلك فلن يستطيع شراء سكوتهم واحترامهم .. أن قطعة من المجتمع تعيش فى صدره وتعذبه ..

وهذا ما أراد أن يقوله الأستاذ احسان عبد القدوس فليس هناك شئ يسمى فردية مطلقة ، فاحساس الفرد هو نتيجة تفاعلات احساس المجتمع .. احساس الملايين بكل ما فى هذا الاحساس من رواسب الماضى ..

وكل قصص الأستاذ احسان عبد القدوس بها اتجاهات سياسية حتى الأكثرهم صراحة فى الحب واشارة للجنس لانه يؤمن بأن المواطن العادى رجل سياسى وكل القصص العاطفية بما فيها روميو وجوليت تدور حول مجتمع سياسى لأن كاتب القصة لا يستطيع أن يتخلص من فكره السياسى وأثبت كلامى هذا باحدى قصصه الشهيرة « الحائط الرفيع » .. تلك القصة بكل ما فيها من علاقات واضحة وصريحة الا انها تتعرض للمجتمعات السياسية المختلفة فهو يصور لنا فيها غريزة التملك تلك الغريزة البشعة التى يفصل بينها وبين عاطفة الحب السامبة خيط رفيع جدا فهذه الغريزة تدفعك دائما الى أن تضحى بغريك فى سبيل نفسك وهذا ما حدث لبطلها ، فالبطل ضحى بحبيبته فى سبيل مستقبله والمجتمع الذى حوله فهو شخصية تتأثر بكل المجتمعات السياسية الرأسمالية والاشتراكية والشيعوية ويتفاعل معها طبقا لما يحققه له نجاحه ..

وأىضا فى رواية « أنا حرة » وبرغم ما فيها من علاقات خاصة جدا الا انها تدور فى مجتمع سياسى ، مجتمع ما قبل الثورة وما بعدها فالبطلة أمينة الفتاة ذات الشخصية القومية التى تريد أن تحصل على حريتها فى ظل تقاليد قديمة موروثه ومحاولتها تحطيم هذه القيود لتصل الى ما ترنو اليه وصراعها مع أهل الحى « حى العباسية » حتى تستطيع فى النهاية أن تحصل على حريتها ولكنها حرية بلا معنى فهى لا تهبها لغرض أو هدف ولكنها حينما التقتى بالكاتب الثورى عباس الذى يجمع حوله الثائرين وتجه تهب له حريتها فلقد انحصرت كل أهدافها فيه انها تريده كاتبا كبيرا وتريد أن تحقق له ثورته فهى تخشى الهاربين من الثوار وتشاركهم اجتماعاتهم ومناقشاتهم بحماسها الواعى فلقد أصبح

لحريتها طعم آخر ٠٠ فهي لم نعد حرة فهي دائما ملك له ولكنها لا تحس
انها فقدت شيئاً ولم تنتبه الى أن الحب والحرية لا يجتمعان ولم تنتبه أيضا
الى أن الحب هو التنازل عن الحرية ٠٠

وهذا ما أراد أن يصل اليه كاتبنا الكبير فهو يقول أن الانسان
الحر ٠٠ حر في أن يحب ما يشاء أو من يشاء ولكنه عندما يحب أو عندما
يؤمن فانما ينتازل عن حرته في سبيل حبه وايمانه ٠٠ فليس هناك
شيء اسمه حرية مطلقة وهنس في الأذن قائلا : قبل أن تطالب بحريتك
اسأل نفسك لأي غرض ستبها؟!!

ونفس الشيء نجده أيضا في روايته العظيمة « لا تطفئ الشمس »
نهي تصوير للمؤثرات السياسية ولطبيعة المجتمع من خلال قصص
عاطفية بين أبطالها ، وهو يقول من خلالها أن الحياة مبادئ ٠٠ ابحت عن
مبادئك تجد نفسك ٠٠

وهناك العديد من القصص السياسية للأستاذ احسان عبد القدوس
والتي لا تقل براعة عن قصصه العاطفية ٠٠

أمثال « في بيتنا رجل » التي صدرت عام ١٩٥٦ وهي قصة بطولة
لثوري مصري هو « حسين توفيق » قاتل أمين عثمان الذي أخفاه كاتبنا
في منزله تحت حراسة زوجته وهي قصة وطنية خالصة ليس فيها جنس
ودغم ذلك فقد رفعت توزيع مجلة روز اليوسف أكثر مما رفعت قصة
« لا أنام » - كما هو نابت من كشوف التوزيع - وهذا خير رد على من
يدعون أنه كاتب جنس فقط ٠٠

وأیضا روايته الشهيرة « لا شيء يهم » التي أحدثت ضجة كبرى
حولها من مراكز القوى آنذاك ٠٠ فهو أراد من خلال أبطالها أن يصور
الصراع الدائر في مصر بعد القوانين الاشتراكية بين من يؤمنون بضرورة
وحتمية هذه القوانين وضرورة حمايتها لأن في بقائها بقاء لهم وبين الذين
يسايرون أي موجة ويركبون أي مركب يصل بهم الى ما يريدون ٠٠ فأحد
أبطال الرواية « توفيق » مستعد أن يكون اشتراكيا أو شيوعيا أو
رأسماليا أو حتى صهيونيا أو أي شيء من أجل مصلحته ٠٠

والبطل الآخر « حلمي » يؤمن ايمانا منقطع النظير بهذه القوانين
ويخشى على الثورة من أمثال توفيق ٠٠

والأستاذ احسان يترك نهاية الرواية مفتوحة دون أن يحسم الصراع
بينهما لصالح أحد منهما لأنه يؤمن بأنه صراع مستمر ٠٠ فتوفيق يراهن

أنه سينجح في انتخابات الاتحاد الاشتراكي ٠٠ بينما حلمي يتعداه بأنه
سيخسرها ٠٠

ولا أعرف ان كان الأستاذ احسان تنبأ بما حدث في مصر في
الستينات من سطر توفيق وأمثاله على الثورة والمرارة التي ذقناها في
هذه الفترة والتي أدت لهزيمة ٦٧ ولذلك فضل أن يترك المعركة دائرة
قبل اطلاق الرصاصة الأخيرة !!

وأعتقد أنه لهذا السبب ثارت مراكز القوى وتربصوا به وحاولوا
الوقية بينه وبين الزعيم الخالد جمال عبد الناصر كما سنرى فيما بعد ٠٠
ولكنى هنا أحب أن أشير الى ان كاتبنا يصدر هذه الروايات
والأشخاص الذين يعنيه فيها موجودون وفي مناصبهم أيضا ولا يفعل
مثل كثيرين من الكتاب ينتقدون فترة من الحكم بعد زوالها ٠٠ لا فالأستاذ
احسان عبد القدوس يواهمهم وهم في أوج نفوذهم وترفح عنهم وهم في
دائرة النسيان ٠٠ واليكم مثلا آخر يثبت كلامنا هذا قصة « الهزيمة
اسمها فاطمة » التي صدرت سنة ١٩٦٨ وهي أول قصة تتناول الهزيمة
المرّة كما انها تتناولها في شكل جديد فقد صور فيها تصويرا غاية في
الدقة مدى الحيرة والضياغ والتشرد الذي عاش فيه أهالي محافظات القناة
بور سعيد ، السويس ، الاسماعيلية الذين هاجروا من بيوتهم رغما عنهم
تاركين فيها أمتع وأعطر الذكريات !! ٠٠ هؤلاء هم ضحايا هزيمة ٥ يونيو
الحقيقيين والذين تجاهلناهم ٠٠ ففاطمة بطلة الرواية مهاجرة من السويس
هدم منزلها في الحرب ويثست من الحصول على شقة بعد انتظار طويل
عاشت مع وعود المحافظ ويسفر هذا الانتظار على خيمة تعيش فيها هي
وزوجها وأولادها مع ١٢ عائلة حيث يصبح كل شيء مكشوف فلا توجد
أية خصوصيات فيهرب الزوج ولا تجد هي مفرا من أن تعمل لتعول أولادها
فتسافر الى مصر وتعمل في احدى الشقق المفروشة التي يتبادل عليها
العديد من السكان الذين يعتبرونها حقا لهم فهي جزء من الشقة !!

وكما كان احسان عبد القدوس أول من كتب قصة صور فيها الهزيمة
فانه أيضا أول من صور نصر ٧٣ في قصته الممتعة « الرصاصة لا تزال
في جيبى » وكيف أن الجندي المصري غسل عار الهزيمة وأعاد لمصر
طهارتها وكيف أنه سيحافظ عليها دائما فالرصاصة مازالت في جيبه وقد
رمز لمصر بالفتاة فاطمة التي اعتدى عليها من مستغل أفاق وكيف عاد
اليها حبيبها ابن البلد الحقيقي الذي يعيش من خيرها ولا يتطفل عليها
كالذي اعتدى عليها ٠٠ عاد ليمحو العار ويأخذها في أحضانه ويضعها
في عينيه ويعاهد الله على حمايتها للأبد ٠٠ تصوير غاية في الابداع ٠٠

وفى قصة « حتى لا يطير الدخان » يحلل المجتمع الذى سبب سوزية ٦٧ ويصور تصويرا دقيفا مدى الفساد والاحطاط الذى عاش فيه كل هؤلاء الدين فكروا فى حيب ٥ يونيو ، فقد قالها أحدهم نكتة وهو مسطول فى مجلسهم الموقر الذى ينعقد كل ليلة فى غرزة بالزمالك يمتلكها البرنس الكبير يمارس فيها الفساد والقذارة بكل أنواعها ٠٠ ومن داخل هذه الفرزة تحكم الدولة ويعين الوزراء والمحافظون وتتم الزيجات !! وكأى شيء ٠٠ كل شيء سباح فى هذا المكان ٠٠ المهم أن البرنس التقط هذه النكتة ممن أطلقها وأعلن موافقته على الحرب وبدأوا يخططون للحرب وهم يترنحون سكارى وكانت الهزيمة الشنعاء !!

والحوار فى هذه القصة من أمتع ما يمكن فهو حوار مركز ذكى يلعب دورا رئيسيا فى توصيل الفكرة الى القارىء ٠٠

وفى قصة « الراقصة والسياسى » أراد أن يربط بين السياسى والراقصة من خلال وصف دقيق وممتع للحياة السياسية منتهيا الى أن ما يحدث فى الرقص يحدث مثله تماما فى السياسة والعكس صحيح !! فهما أبناء مهنة واحدة فهو راقص مثلها وان اختلفت وسيلة التعبير ، فهى تعبر عن نفسها بهزات جسدها ٠٠ بينما هو يعبر عن نفسه بهزات لسانه أى انها ترقص بجسدها وهو يرقص بلسانه وهدفهما فى النهاية واحد اكتساب الجماهير لاسعادهم ٠٠ هى تسعدهم بأن ترتفع بهم الى سماء الفن فوق متاعبهم وهو يسعدهم بالوعود التى تحتل دائما الكذب، فكلاهما يرتفع بهم فوق الواقع المضى ٠٠ وفى الحوار الدائر بين الراقصة دلال والسياسى عبد الحميد «بك» تؤكد له دلال أن السياسى مطلوب منه وهو يرقص رقصته السياسية أن يخلع ثيابه الاجتماعية قطعة قطعة حتى يراه الناس عاريا على حقيقته واذا لم يفعل ذلك يعرّيه خصومه أو يعرّيه الجمهور بينما هى فتخصصها لا يفرض عليها أن تظهر عارية فما كشفت عنه يكفى للاثارة ولذلك فقصته أخطر فهو لا يكتفى بالاثارة ولكنه يعتمد التأثير كأنه يطلق من لسانه مخدرات يوزعها على الجمهور ٠٠ مخدرات مهدئة أو منشطة ٠٠ ومخدرات يعتمد أن يبقى مفعولها الى أن يلتقى بجمهوره مرة ثانية ليسقيه جرعة أخرى من مخدر آخر ٠٠ ويبين لنا أيضا الفرق بين فراش السياسى وفراش الراقصة ففراشها فراش خاص هى فيه امرأة فقط بينما فراشه فراش عام يمكن أن يكون فيه أى شيء، وكل شيء ٠٠ هذه متطلبات السياسة ٠٠ أو هى فن الفراش السياسى !! وتؤكد الراقصة دلال أن النابيع ٠٠ تاريخ مصر قد أنصف الراقصات ولم ينصف السياسيين !! وان الجماهير تثق بالراقصات أكثر مما تثق فى السياسيين !!

وفى مسرحية « لا أستطيع أن أفكر وأنا أرقص » صور مصر بفرقة موسيقية بها جميع أنواع الآلات الموسيقية وأراد بذلك أن يقول أن مصر مرتبطة بكل العالم والعالم كله مؤثر عليها وأنها ترقص على جميع أنغام العالم !!

وفى قصة « القضية نائمة فى عربية كاديلاك » وهو يكمل بها مجموعة مقالاته الشهيرة عن حرب فلسطين ٠٠ فكاتبنا من أكثر الكتاب تبنيا لقضيتهم . . ففى هذه القصة يوضح كيف أن القضية ضاعت بين أيدي من يساوون بها ، فيطرحها مناقض كل فكره متعلق بالقضية الفلسطينية يتعرف على سيدة أجنبية يأخذ منها المال ليشتري السلاح هكذا أقتنع نفسه بأن الغاية تبرر الوسيلة ومن أجل ذلك أخذ يقدم تنازلات عديدة وانساق وراء السيدة وتلاشت القضية من ذاكرته أمام العربية الكاديلاك الفاخرة التى أهدتها إياه فدخل فيها ونام واستراح !!

والأستاذ أحسان عبدالقدوس أول كاتب يكتب قصصا عن المجتمع الاسرائيلى ، فقد كتب العديد عن قصص اليهود فى مصر فقد عاش هذا المجتمع منذ كان يعيش صباه وشبابه فى حى العباسية الملاصق لحي الظاهر الذى كان يضم أغلبيته من السكان اليهود ٠٠ وأكثر القصص التى أثار اهتماما داخل المجتمع المصرى والمجتمع الاسرائيلى قصة « لا تتركونى هنا وحدى » فقد كثر حولها الكثير من الجدل خاصة أنها صدرت عقب مبادرة السلام على الرغم من أن الأستاذ احسان كان قد انتهى منها قبل المبادرة ولم يفكر فى تعديل أحداثها بما يتماشى مع الأحداث الجديدة لأن القصة عنده لا تمثل واقعا قائما ولكنها تمثل مرحلة مرت بالمجتمع المصرى ٠٠ والمدهش أن هذه القصة رفضت من العالم العربى واسرائيل فى وقت واحد ، ففى اسرائيل قامت ثورة ضد هذه القصة بسبب الصورة التى قدمها لليهود فى مصر وأغراضهم وراء الهجرة لاسرائيل ٠٠

ومن أجراً للقصص التى كتبها الأستاذ احسان عبد القدوس قصة « أعوذ بك منك » والتى نشرت فى صباح الخير عام ٨١ وهى قصة غريبة فى تناولها فهو يصور الشيخ محمد ابن عويس الذى قتل غدرا وهو يدافع عن قريته تفتح له الملائكة أبواب السماء وتقرر عدم محاسبته فقد كان إيمانه أقوى من أن ينزل به الحساب ، لقد عاش بإيمان الملائكة وفتحوا له الجنة من أزهى أبوابها ولكنه وهو فى النعيم بدأ يعود بأحاسسه الى القرية ورفع يده الى السماء يطلب من الله أن ينتشل أهل قريته من طغاة

الأرض وحينما أباحت الملائكة استحالة ذلك طلب أن ينزل إلى الأرض ليتف بينهم وينقذهم وتحققت رغبته وأعاد الأرض لأهلها وناسه وأقاموا الإفراح وطلبت منه الملائكة أن يعود معها بعد أن أتم مهمته ولكنه لم يوافق وأصر أن يبقى في الأرض فهو يحس الآن أن القرية أصبحت ملكه وله أن يتصرف فيها كما يشاء يصدر خيراتنا بأعلى الدولارات ٠٠ والأهالي تصرخ ٠٠ ولكن ليس هناك أذن نسمعهم وهكذا تحول الملاك محمد ابن عويس إلى شيطان ويهبط اثنان من الملائكة لرفعه إلى السماء لمحاكمته والمحاكمة هنا من أمتع ما يمكن وفيها طوع الحوار واستنقى ما فيه من كلمات لخدمة المضمون الذي يريده وهو كيف يتحول الحاكم الذي يبدأ بمبادئ سليمة إلى حاكم ذى مطامع خاصة تحت تأثير السلطان والإغراءات المادية ٠٠ وانتهت المحاكمة بحالته إلى أهل الجحيم ٠٠

وفي أحدث قصة للأستاذ احسان عبد القدوس « يا عزيزي كلنا لصوص » التي صدرت عام ٨٢ وأحدثت ضجة في المجتمع المصرى فالكل يتساءل ماذا يعنى باللص فلان ٠٠؟ ومن هم أبطال الرواية فى الواقع؟! فهى تمثل الصراع بين مجتعيين ٠٠ فالصراع الدائر بين عبد الله بهنس ومرضى ما هو الا صراع بدور بين لصوص الأمس ولصوص اليوم ٠٠ فالسرقة مستمرة طالما أن للصوص أنجالا أعزاء سيحملون الأمانة من بعدهم !! فهى حلقة متصلة يتبادلون فيها الأماكن والمناصب فمن كان سارقا بالأمس يصبح مسروقا اليوم وهكذا وهم يتبادلون مسروقاتهم ويسترجعون ما نهب آباؤهم فيما بينهم !!

وهذه الرواية ليس فيها أية شخصية نسائية رئيسية أى ليس فيها أية عاطفة أو جنس ومع ذلك نجحت نجاحا هائلا فما رأى السادة الذين ظلموا الأستاذ احسان وقالوا أنه صاحب مدرسة الجنس للجنس؟؟

وأنا هنا لا أحصر كل أعماله بل أذكر أمثلة منها فقط فأعماله القصصية كثيرة جدا وكم كنت أتمنى لو أننى تناولتها كلها بالتحليل والدراسة ولكن هذه الامنية سوف تحتاج وحدها لعشرة كتب وما زال مشوارى معه طويلا ٠٠

ولا تنسينى زحمة قصصه السياسية والعاطفية أن أشير أنه كتب أيضا القصص الدينية متأثرا بما شاهده فى بيت جده الشيخ أحمد رضوان من حفاظ على الدين وتعاليد كقصص « الله محبة » ، منتهى الحب ٠٠ الخ وقد أخذ منها الجانب المتسامح ٠٠ المقابل لموقف الجد المتشدد من أمور دينه ٠٠

٢ - احسان متيها في مجلس الأمة

تاريخ الأدب العالمي سجل العديد من الحالات التي تثبت أن بعض كبار الأدباء كانوا مصابين بانفصام الشخصية وأن الواحد منهم كان يعيش حياتين مختلفتين تماما ، فهو انسان سوى ، يحب الناس ، ويحب الخير لهم حين يكتب . . . وهو في ذات الوقت حطام انسان حين يخلو الى نفسه ، يمارس ما يمارسه البشر من حياة خاصة . . . ولعل حياة لورد بيرون الشاعر الانجليزى بكل ما فيها من انحلال وتحطيم لقيم المجتمع على أى مستوى وبأى مقياس أخلاقي . . . ثم مساندته المجنونة لثورة اليونان في عصره . . . خير مثل على هذا التناقض الذى يقع فيه الأديب حين تتمزق نفسه بين واقعه الخاص كإنسان تحركه ظروفه الاجتماعية ومحصلات بيئته التي نشأ فيها وبين اندفاعه كفنان مرهف الحس للحفاظ على كل ما هو شريف وتبيل من قيم الحياة . .

وقد يعتقد البعض أن كاتبنا الكبير تعرض لمثل هذا وأصيب خلال هذه الفترة بانفصام الشخصية فهو يعايش المجتمعات الراقية وفي نفس الوقت يعايش المجتمع الشعبى ويتفاعل معه . .

يقول الأستاذ احسان :

الأمر يختلف بالنسبة لى عن أديب كاللورد بيرون مثلاً فهو أرسقراطى المولد والنشأة . . . وتفسخه الاجتماعى في حياته الخاصة ، كان امتدادا شبه عضوى لحياته الممتدة من مولده الى وفاته . . . فهو ابن

سرعى للاستقراطية البريطانية ونتاج طبيعى لمقوماتها الأخلاقية
والنفسية ٠٠٠ أما أنا فقد كنت بحكم المولد والنشأة ابنا للطبقة الوسطى
القريبة من الطبقة العاملة الكادحة ٠٠٠ أبى المهندس البسيط ٠٠٠ ثم
الفنان الكادح وأمى الممثلة العصامية ثم الصحفية المناضلة ٠٠٠ كل هذا
يجعلنى اجتماعيا ابنا طبيعيا للأغلبية الساحقة من القوة الاجتماعيه مى
مصر قبل الثورة ٠٠٠ أما اقترابى من الطبقة العليا الحاكمة فقد كان
اقترابا مصنوعا ، فرضته الظروف التى عشتها فى كنف أم تملك ابر
مجلة سياسية قادت أعنف المعارك السياسية ضد النظام الحاكم بكل
مآذله وخطاياها ٠٠٠ رموافى العملية تقطع كلها بالتوافق الكامل بين
حياتى الخاصة كانسان مصرى ، وأديب سجل قلمه موقفه الفكرى من
مجتمعه » ٠٠

ومما لا شك فيه ان انضمامه للجماعات الثورية فى مستهل حياتهِ
بزيد من تأكيده أن ماكنه من أدب صريح ، لم يكن هدفة الدفاع عن الطبقة
الحاكمة أو الخوف عليها . بل كان دافعه أولا وأخيرا هو تعرية تلك الطبقة
وتقديم المزيد من الأدلة على ادانتها . لكى تستمر عجلة الثورة الشعبية
فى دورانها حتى تصل الى ما تصبو اليه من ازاحة تلك الطبقة المستعلية
بكل خطاياها ٠٠

قال لى الأستاذ احسان :

« علمتنى الحياة ألا أنظر الى الأفراد باعتبارهم أشخاصا قابلين
للحب أو الكراهية ، بل اعتبارهم تبعا لمواقف انسانية ذات تأثير اجتماعى
مفيد أو ضار ٠٠٠ وهذه النظرة الى المواقف ورفضها أو الحماس لها
جعلتنى أقرب الى الموضوعية فى حكمى على الحوادث والأشخاص ٠٠٠
وحمتنى من الوقوف موقف العداة الشخصى من خصومى فى الرأى طيلة
حياتى ٠٠٠ الأمر الذى كان يصعب فهمه على الكثيرين ممن يعرفوننى
معرفة شخصية » ٠٠

وإذا تعمقتنا فى هذا القول واسترجعنا موقفه مثلا مع الوزير الوفدى
الكبير فؤاد سراج الدين اتضح لنا صحة كلامه ، فالقارىء يراه يهاجمه
بشدة حين يقف موقفا سياسيا يستحق الرفض ٠٠٠ فاذا أصدر تعليماته
فجر الخامس والعشرين من يناير عام ١٩٥٢ لقوات الأمن بالاسماعيلية بأن
تدافع ضد الانجليز عن مبنى المحافظة حتى آخر طلقة وآخر رجل ٠٠٠

كان أول المدافعين عن قراره الذى يمثل موقفا وطنيا لا يختلف عليه
اثنان ..

وعندما اغتيل الرئيس السادات كتب فى الأهرام مقالا تحت عنوان
« كيف كنت أفهم السادات » تناول فيه بموضوعية باللغة تاريخ السادات
السياسى بكل ما فيه من مواقف وأحداث .. على الرغم من أن ابنه محمد
كان من المقبوض عليهم ضمن مجموعة الاعتقالات التى سبقت اغتياله ..
فكتب يقول :

« كيف يفتال السادات فى هذا اليوم بالذات ووسط هذا الحفل
بالذات وبهذه الوسيلة بالذات ، وكنت أحيانا وأنا فى ذهول أهم أن
ألوم السادات لقد عاش السياسة من جميع أركانها منذ وعى وكان يجب
أن يقدر أنه يعيش احتمال الاغتيال فهو شخصية سياسية مؤثرة فلماذا
لم يحسب حسابه ؟ » ..

يقول الأستاذ احسان :

« الاحساس بالمسئولية بأدق معانى كلمة المسئولية .. ثم الحب ..
بأشمل معانى الحب الذى يسع الزوجة والولد والعمل والصدىق وحتى
الخصم !! من هذين النبعين .. المسئولية والحب تقلت الموضوعية ونمت
فى حياتى فكرا وسلوكا .. فالمسألة ليست عندى مسألة كراهية أو
حب .. انها عندى أولا وأخيرا مهج فى التفكير التقيت به طيلة عمري
منذ وعيت .. وهو منهج جنبنى الانزلاق فى مخاطر الأحكام الشخصية
المعرضة على غيرى » ..

والقول بأن احسان عبد القدوس كاتب جنس فقط تهمة اطارها
الخارجى المزيف اطار أدبى ، ولكن أساسها الحقيقى حملة تشهير سياسية
ظالمة ، شنها عليه خصومه السياسيون فى المرحلة الماضية ووصل بهم
الأمر فى عام ١٩٦٥ الى تقديم سؤال فى « مجلس الأمة » الى وزير الثقافة
فى ذلك الوقت .. وكان الدكتور محمد عبد القادر حاتم ووقف أحد
هؤلاء الخصوم ليسأل فى المجلس « كيف تسمح الحكومة بنشر قصة
« أنف وثلاث عيون » هذه القصة الجنسية الهدامة .. الخ . وكان رئيس
المجلس فى ذلك الوقت هو الرئيس الراحل محمد أنور السادات ، ورد
الدكتور حاتم على مقدم السؤال (بأن الحكومة لا تتدخل فى حرية الأدب
.. وعلى المعترض مقدم السؤال أن يتقدم للنيابة العامة اذا رأى أن هناك
ما يستحق إبلاغها) .. وقد حاول هؤلاء الخصوم بالفعل أن يشكوه
للنيابة العامة !! .. والطريف أن تأتى بعد هذا جميع الأجهزة الفنية

المختلفة ممثلة في الإذاعة والسينما والتلفزيون وتشتمرى هذه القصة لتنتجها مسلسلا اذاعيا ، وفيلما ، ومسلسلا تليفزيونيا ..

قال لى الأستاذ احسان :

« أنا لا أكتب عن الجنس فقط . ولكننى أكتب عن كل ما فى الحياة التى يعيشها مجتمعى ... الجنس وغيره ... وبالنسبة للجنس فأننى لا أخاف من الكتابة عنه ، لأنه موجود فى حياتنا ومؤثر فيها الى حد كبير . وعندما أكتب عنه ، لا اناوله لذاته بل بهدف التحليل الواقعى لدوافع الإنسان التى تحركه نحو سلوك معين .. فأنا لا أتعمد اختيار نوع معين من القصص أو اتجاه معين ولكن تفكيرى فى القصة يبدأ دائما بالتفكير فى عيوب المجتمع وفى العقد النفسية التى يعانىها الناس وعندما أنتهى من دراسة زوايا المجتمع أسجل دراستى فى قصة ، ..

وهذا ما يتلمسه القارىء والناقد أيضا حينما يتناول قصص « احسان عبد القدوس » فإنه يجد نفسه أمام دراسة صادقة لعيوب مجتمعنا ، وهى عيوب قد يجهلها البعض ولكن الكثيرين يعرفونها .. وهى عيوب تحتاج لجرأة الكاتب حتى يتحمل مسئولية مواجهة الناس بها .. والهدف من ابراز هذه العيوب هو أن يحس الناس بأن أخطاءهم ليست أخطاء فردية بل هى أخطاء مجتمع كامل .. أخطاء لها أسبابها وظروفها فى داخل المجتمع ..

يقول أستاذنا احسان :

« ان نشر هذه العيوب سيجعلهم يسخطون وسيؤدى بهم السخط الى الاقتناع بضرورة التعاون على وضع تقاليد جديدة لمجتمعنا .. تتسع للتطور الكبير الذى نجتازه ونحمى أبناءنا وبناتنا من الأخطاء التى يتعرضون لها نتيجة هذا التطور .. وهذا هو الهدف الذى حققته قصصى .. لقد بدأ الناس يسخطون ، ولكنهم بدلا من أن يسخطوا على أنفسهم وبدلا أن يسخطوا على المجتمع سخطوا على الكاتب أى سخطوا على .. ولكننى كنت مؤمنا بأن مع استمرارى وتصميمى سينقلب السخط على الى سخط على عيوب المجتمع ومن ثم يبدأ الناس فى التعاون على اصلاح ما بأنفسهم .. »

وحينما نتمعن فى كلامه هذا ونسترجع رواياته الشهيرة أمثال « أنا حرة » ، « الطريق المسدود » ، « لا تطفىء الشمس » ، « أين عمري » .. الخ .. ونقارن بين حال الفتاة المصرية فى الخمسينات وحالتها

الآن في الثمانينات نجد أن أدب احسان عبد القدوس قد أحدث ثورة في المجتمع المصري ٠٠٠ وساهم في تغيير الكثير من مفاهيمه الموروثة ، ففي رواية « انا حرة » مثلا نادى بالحرية للفتاة وضرورة استقلالها ولكنه وضع محاذير حول هذه الحرية فليس هناك شيء اسمه حرية مطلقة لأنه يؤمن بأن أكثرنا حرية هو عبد للمبادئ التي يؤمن بها وللغرض الذي يسعى اليه واننا حينما نطالب بها فلنكن نضعها في خدمة أهدافنا ٠٠

وقد كانت هذه الرواية أحد الأسباب التي جعلت الفتاة تطالب بالعلم والشهادة الجامعية والاستقلال المادي في الحياة وترفض الخضوع لسيطرة الرجل والاستسلام له ٠٠

وأدب احسان عبد القدوس بوجه عام دفع الفتاة لدراسة نفسها ولمعرفة متطلباتها في الحياة حتى نستطيع أن تشارك فيها دون أن نخطفى ، انه يجنبها هذه التجربة ولكنه في الوقت نفسه يدعوها للتعرف على نماذج عديدة مختلفة الأنماط ومتنوعة الألوان من البشر وذلك من خلال رحلتها مع قصصه ٠٠

وهو الذي حث الفتاة على ضرورة اختيار شريك حياتها بنفسها دون تدخل من أحد ٠٠ وجعلها تخرج بحبها في النور وتبأهي به بدلا من أن تنزوي به خجلا في الظلام حيث يصبح كل شيء مباحا !!

وهذا ما أصبحنا نراه اليوم فقد أصبحت صور الحب مالوفة في مجتمعنا وأصبح طبيعيا أن نجد فتاة تجلس في مكان عام مع زميلها تناقشه بوضوح وتضع في مستقبلهما معا وهي صورة لم تكن مقبولة في الخمسينات فقد أصبحت الفتاة أكثر احتراما لنفسها ولكيانها كأنثى لأنها شاركت المجتمع في حبها وأصبح مسئولوا عن حمايتها وهذا ما نادى به كاتبنا في كل رواياته في الخمسينيات والستينيات ٠٠

كما ان كل قصصه تعطي شحنة هائلة للصمود والاستمرار وترفض الانهيار والاستسلام ويتجلى ذلك بوضوح في « الطريق المسدود » ، « لا تطفئ الشمس » ، « النظارة السوداء » ، « لا أنام » ٠٠ الخ ٠٠٠

وإذا أخذنا قصة « الطريق المسدود » كمثال على كلامنا هذا نجد ان البطل « فيزة » قاومت حتى النهاية الانحراف والانسياق وراء الأجواء الفاسدة وتراجعت عن فكرة الانتحار وتوصلت لحقيقة كانت غائبة عنها وهي أن القبلية من رجل لا تحبه أسمى على النفس من ظلم الناس والحطية عذاب لا يعادله عذاب !!

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن قصص احسان عبد القدوس مهدت
لإصلاح الاجتماعي في مصر شأنه شأن الكاتب الفرنسي الكبير (بلزاك)
الذى ثار الناس عليه في عصره واليوم يعتبرونه مصلحا اجتماعيا وقصصه
تترجم بالكامل بجميع اللغات حيث يعتبر هناك أحد المعاول التي هدمت
الطبقات الاجتماعية المنحلة لقدرته على إبراز العيوب الاجتماعية . .

وأدب احسان عبد القدوس برغم ما فيه من صراحة فإنه في النهاية
يدين الرذيلة ويحبذ الفضيلة فلا توجد قصة من قصصه تخالف ذلك حتى
الأكثرها صراحة « لا أنام » ، « أنف وثلاث عيون » . . أنه فقط يجسم
عيوب المجتمع أى انه يبرز المرض ونتائجه . . وهو كما قال يدعو الناس
الى السخط وان كان السخط قد عاد عليه في البداية الا ان ذلك أولى
خطوات الشفاء لأنهم من الضروري سوف يتقبلون على عيوب المجتمع
ويبدون في اصلاحه بأنفسهم وهذا ما حدث بالفعل فلم يعد الناس
يسخطون على كاتبنا الكبير كما كانوا يفعلون في الخمسينيات والستينيات
بل اتخذ سخطهم هذا مسارا آخر تجاه المجتمع وعبوبه . .

قال لى الأستاذ احسان :

« لست الكاتب المصرى الوحيد الذى كتب عن الجنس فهناك المازنى
في قصته « ثلاثة رجال وامرأة » وتوفيق الحكيم في قصته « الرباط .
المقدس » و . . . و . . . وكلاهما كتب عن الجنس أوضح مما كتبت ولكن
ثورة الناس عليهما جعلتهما يراجعان ولكننى لم أضعف مثلهما عندما
هوجمت فقد تحملت سخط الناس على لايمانى بمسئوليتى ككاتب . .
ونجيب محفوظ أيضا يعالج الجنس بصراحة عنى ولكن معظم مواضيع
قصصه تدور في مجتمع غير قارىء أى المجتمع الشعبى القديم أو الحديث
الذى لا يقرأ ولا يكتب أو هى مواضيع تاريخية لذلك فالقارىء يحس كأنه
يتفرج على ناس من عالم آخر غير عالمه ولا يحس أن القصة تمسه أو تعنى
المجتمع الذى يعيش فيه لذلك لا ينتقد ولا يثور . .

أما أنا فقد كنت واضحا وصريحا وجريئا . . . فكتبت عن الجنس
حين أحسست أن عندى ما أكتبه عنه سواء عند الطبقة المتوسطة أو
الطبقات الشعبية . دون أن أسعى لمعاملة طبقة على حساب طبقة
أخرى ، . .

٣ - عبد الناصر يعترض على البنات والصيف

قد لا يعرف الكثيرون أن الزعيم الخالد جمال عبد الناصر كان من هواة قراءة الروايات بوجه عام وكان مهتما بوجه خاص بقراءة كل ما يكتبه الأستاذ احسان من أدب قصصى ويتتبعه وتتبعها كاملا وكان يبدى اعجاباه بها. ولكنه حينما قرأ مجموعته القصصية « البنات والصيف » اعترض على احدى هذه المجموعات ... يعلق الأستاذ احسان على ذلك قائلا :

« لست أدري حتى الآن ان كان اعتراضه هذا نتيجة رؤية شخصية خرج بها من قراءاته الخاصة لهذه المجموعة القصصية أم أنه كان نتيجة لواحدة من الهمسات الحاقدة لأفاعى مراكز القوى من حول . رغبة فى الايقاع بى ، ولو عن طريق أدبى الروائى ، بعد أن حرمتهم هذه الفرصة فى عالم الكتابة السياسية !! ... »

« عندما علمت باعتراض المرحوم جمال على مجموعة « البنات والصيف » التى بعثت بها اليه ، تحولت العلاقة بيننا الى تباعد تدريجى اجهدت مراكز القوى نفسها فى استغلاله الى أبعد مدى ، رغبة فى ابعاد أى صوت حر أو فكر مستنير عن دائرة الضوء المحيطة بالقائد الذى استقرت بين يديه مقاليد الثورة ، .. »

وقد وجد الأستاذ احسان خطابا كتبه لجمال عبد الناصر عام ٥٥ لى درج مكتبه أو كما يسميه « درج الأسرار » ونسأه بل انه لا يذكر ان كان قد أرسله اليه فعلا أو اكتفى بكتابته ثم ألقي به فى درج النسيان .

قال فيه :

« أبلغني صديقي « الأستاذ هيكمل » أن سيادتكم قد فوجئت عندما قرأت في إحدى قصصى « البنات والصيف » ما يمكن أن يحدث داخل الكباثن على شواطئ الاسكندرية والذي سجلته فى قصصى يحدث فعلا ويحدث أكثر منه وبوليس الآداب لن يستطيع أن يمنع وقوعه والقانون لن يحول دون وقوعه انها ليست حالات فردية انه مجتمع .. مجتمع منحل ولن يصلح هذا المجتمع الا دعوة .. الا انبثاق فكرة تنبثق من سخط الناس كما انبثقت ثورة ٢٣ يوليو .. لهذا أكتب قصصى » ..

والأستاذ احسان ضحية دائما للتأثير السياسى على كل ما يكتبه من قصص ولعل أقرب مثال على ذلك قصة « علبة من الصفيح الصدى » التى فسرتها مراكز القوى آنذاك على انها اتهام خطير لجمال عبد الناصر فهى تقول ببساطة أن ما حدث قبل الثورة يحدث بعدها ... ولم ينصت الزعيم الخالد لهمسات من حوله بل أخذ القصة وقرأها بنفسه وبعد أن فرغ من قراءها أمر على الفور بعرضها فى التلفزيون كما هى دون تغيير أى شىء منها ..

يقول الأستاذ احسان :

تأتى لى أنور السادات أن جمال عبد الناصر كان فى اجتماع معه ثم استأذن منه وقال انه سيصعد ليجلس أمام التلفزيون لكى يرى قصة لاحسان عبد القدوس قد طلبها ويخشى أن يكونوا عدلوا فيها ...

وهذا دليل قاطع على اختلاف التفسيرات فقد اتهم الكثيرون كاتبنا الكبير بمعارضة الحاكم فى حين أن الحاكم نفسه يرى أن ما يكتبه هو درس يجب أن يعرض على الشعب ..

قال لى الأستاذ احسان :

« أن المرحوم جمال عبد الناصر اتصل بى خلال السنة الأخيرة من عمره وكانت عملية اتصال غير مباشر .. !! وكنت قد توقفت لفترة عن الكتابة القصصية ... كنت وقتها أمر بمرحلة من تلك المراحل التى يعرفها جيدا الأدباء عموما ، وأدباء الرواية بوجه خاص ، حين يستمرى الواحد منهم لحظات الاسترخاء والاستجمام الذهني ... وبينما يتخجل المحيطون بالأديب ، أنه توقف ... أو انصرف نهائيا عن عملية الإبداع والخلق الفنى يكون الفنان المبدع فى حقيقة الأمر ، يمر بلحظات يمكن

تسميتها فترة الحمل الأدبي . التي يتخلق فيها العمل الجديد بذرة . . .
ثم جنينا . . . ينضج على مهل ، ويتخلق ببطء في نفس الأديب ، فإذا
ما اكتملت عملية الخلق غير المرئية ، حلت لحظة الميلاد الطبيعي للقصة أو
الرواية الجديدة . . . كان هذا بالضبط هو ما أعانيه في تلك المرحلة .
التي طال فيها انصرافي عن الكتابة القصصية مضافا اليه ربما عوامل
المعاناة من بعض ما كانت تلاقني به مراكز القوى من ضغوط منظورة
أو خفية . . . وفجأة . . . وأنا في هذه العزلة النفسية اتصل بي المرحوم
جمال عبد الناصر . . . وكان اتصاله غير مباشر فقد أبلغني أنور السادات
أن جمال عبد الناصر يسأل عن السبب في عدم كتابتي للقصة في تلك
الفترة . . . ثم طلب مني عن طريق السادات أن أكتب قصة جديدة . . .

ولا أنكر أنني كأديب روائي يهجمه أن يكون له قراؤه الذين يتتبعون
كتاباته ويحتفلون بما يقدم له من إنتاج قصصي ، للدرجة التي يحسون
فيها بعدم تواجده في دنيا الأدب عندما ينواري ولو للحظات عابرة . . .
أقول . . . أسعدني نفسيا أن أسمع أن عبد الناصر وسط كل ما كان
يحيط به في تلك السنة الأخيرة من حياته قد أحس بانقطاعي عن كتابة
الأدب القصصي ، ولكنني دهشت حقا لهذا الطلب ، لأن القصة تكتب
عندما يحس القصاص بأنه يجب أن يكتبها . . . ولا تكتب القصة
عندما يطلب أحد من الأديب أن يكتبها . . . وقلت للرئيس الراحل
أنور السادات ومن ضمن لي أن عبد الناصر ، سيقراً بنفسه القصة
الجديدة التي سأكتبها ان قدر لي أن أكتب قصة جديدة ، . . .

. . . وهكذا كان الزعيم الراحل جمال عبد الناصر من هواة قراءة
أدبه القصصي على الرغم من مشاغله العديدة وعلى الرغم أيضا من
محاولات مراكز القوى حينئذ الوقية بينه وبين عبد الناصر . . . ومع
ذلك لم يسلم الأستاذ احسان من النقد اللاذع ممن يسمون أنفسهم ظلما
بالنقاد ارضاء لتلك المراكز ووصفهم اياه باللا أخلاقية . . . بل ان أحدا
منهم لم يتورع ذات يوم عن أن يكتب مهاجما له بقوله :

« لا شيء يهم من يا ابن ال . . . !! » في الوقت الذي لم تكن
الرواية قد ظهرت في عالم الكتب بعد ، وكل ما كان قد عرف عنها هو
عنوانها فقط (لا شيء يهم) !! . . .

قال لى الأستاذ احسان :

« أنا لا أحب تجريح الآخرين ، حتى لو جرحوني ... ولا أقبل
لنفسى مقعدا لم أسع اليه طيلة عمري ... هو مقعد القاضي الذى يحكم
على الغير حتى فى مجال الأدب والنقد ... ! ولهذا أكتفى بأن أقول ...
ان ما ظنه خصومى ، انحلالا وهيرطا وأديبا مكشوفيا أو عاريا ... قصدت
به أولا وأخيرا أن أدافع عن المرأة ... وقد أسأل كيف أدافع عن المرأة
تم أصورها فى موقف جنسى صريح مثلا ... ! والرد ببساطة :

أنتى أحترم المرأة ... واحترامى هذا . يجعلنى ارتفع بالمرأة الى
مستوى من الاحترام يقترب من القداسة ... فهى أم الحياة وهى الأرض
الخصبة التى بدونها لا تتحول بذرة الى الأحياء ان أشجار مثمرة ... وهذه
المنظرة نجعلنى أمقت مقتا شديدا أن أرى المرأة فى وصف مخالف لما يجب
أن تكون عليه بالفعل . ومن هنا فان غضبى لآى امتهان لكرامة المرأة
سواء فى الحب أو فى الحياة بوجه عام ، يتحول الى ثورة داخلية ... يعبر
عنها قلمي بقسوة حينما يصور بصراحة الموقف السيئ الذى لم يرض
عنه احساسى الراقى بالمرأة ، وما يجب أن تكون عليه ... وأضرب لك
مثلا ... البطلة فى قصة « النظارة السوداء » وهى من بواكير أعمالى ...
فتاة تبدأ صورتها فى القصة ومع بدايتها فتاة منحلة تماما ... تغير
!صدقاءها كل ليلة كما تغير الثوب الذى تسهر به ... ! وهى تنتقل بين
الرجال كما ينتقل الرجل السكر المدمن بين حانات الشراب ... بحثا عن
كأس من شراب لم يجربه بعد لكى يخمد أنفاسه . فيريجه من عذاب
الشراب الذى تحول الى ادمان ... صورة صريحة قد يستغلها قلم ناقد
متسرع وخاصة اذا كان حاقدا أو مأجورا !! ... ليكتب عن احسان
عبد القدوس الكاتب المنحل صاحب مدرسة الأدب المكشوف !!

ولو أن نفس القصة تناولها قلم أمين وموضوعى بالنقد النزيه
لتذكر على الفور ... أن هذا الانحلال الظاهرى للفتاة . يخفى وراءه نقاء
نفسيا تبلور فى النهاية ليكشف عن طهارة شبه صوفية استطاعت بها
الفتاة أن تقف فى وجه صديقها الفنان ، الذى حولته السياسة المنحرفة
من انسان مثالى الى متاجر بأصوات الجماهير ... ثم ... ثم لو أن هذا
الناقد النزيه ... زجع الى وراء مع بداية القصة ذاتها ... لوجد أن
صاحبة « النظارة السوداء » كانت ضحية عقدة نفسية . رباها عندها
أهلها . وكادوا يقتلون فيها احساسها الفطرى بالأوثنة وكدفاع غريزى
عن أوثنتها تحولت بتعبير مريض عن كيانها كامرأة ... الى البحث عن

الدليل الذى تقنع به نفسها أولا .. وتقنع الآخرين من حولها . بانها رغم ما قيل عنها فى طفولتها ... أننى قادرة على الحصول على إعجاب الرجال ... وهنا تتحول القصة ببساطة من قصة منجحة كما قيل عنها ... الى قصة دفاع فنى شريف عن المرأة وعن حقها فى أن يحترم أهلها ... وخاصة فى طفولتها احساسها بانوثتها ... هى درس اذن للآباء الذين يخلقون فى حياة بناتهم عقدا مدمرة قد تنحرف بهن الى مهوى الرذيلة ... !

والفرق هائل بين قصة تدنس شرف المرأة وقصة تصفع جهل بعض الأسر بواجبها نحو عملية البناء النفسى السليم لبناتهن .. ! أنا اذن مدافع عن كرامة المرأة ... ولست هادما أو فاضحا لهذه الكرامة ... والمسألة أولا وأخيرا هى زاوية الرؤية لما أكتبه من أدب ... عن المرأة التى كانت أخطر عامل مؤثر فى حياتى « ..

وإذا طبقنا هذه القاعدة على قصص « احسان عبد القدوس » لوحدناها حقا كلها تدعو للفضيلة وتمقت الرذيلة برغم ما فيها من الفاظ جنسية صريحة ومواقف واضحة الا انها دائما فى النهاية تحت المرأة على الحفاظ بكرامتها كما فى أين عمري . الوسادة الخالية . أيام فى الحلال . لا تطفى الشمس ... الخ ..

٤ - احسان ٠٠ والمرأة

٠٠٠ من المؤكد أن المرأة كان لها دور بارز في حياة كاتبنا الكبير احسان عبد القدوس ٠٠٠ وقد وضع تأثيره في كل ما كتبه وطبيعة الأشياء ، وسنة الحياة تنفي أن تأثيره بالمرأة لم يتوقف عند أمه وحدها ، رغم ما كان لها من شخصية شمولية أثرت عليه وعلى كل من عمل معه ١٠٠! وقد كان لزوجته أثر آخر لا يقل أهمية ٠٠٠ فلولا ثقتهما وهو في مطلع حياته كما سبق وأن ذكرت لما وجد الشجاعة الكافية على الاستقلال بنفسه استقلالا دفع أمه ذاتها الى الاطمئنان لقدرته على المضي في الحياة ٠٠

تأثير آخر للمرأة في حياته الى جانب مشاركة زوجته في مطلع حياته وحتى الآن من الناحية الانسانية وهو قدرة المرأة كما لمسها في زوجته على الرقوف بجانب الرجل الذي اختارته شريكا لحياتها ٠٠٠ ومشاركته في أقسى المحن التي يتعرض لها ٠٠٠ وأقساها كما أعتقد ما تعرض له من سجن واعتقال في سنوات ما قبل الثورة وما بعدها ٠٠٠ كان يشع فيه دائما قبس من ضوء استمده من صلابة زوجته ومشاركته له في كل ما عانى ، بقوة جعلته يؤمن بقوة المرأة في مثل هذه المحن ، وبقدرتها على البذل والعطاء ٠٠٠ حنانا وعطفا وتشجيعا ، يخلقان في قلب الرجل شجاعة لا حد لها ، وقدرة على الصمود في وجه الطغاة والجبابرة ٠٠

ويعلق الأستاذ احسان قائلا :

« ٠٠٠ أننى تربيت فى مختلف المجتمعات النسائية وكلهن ذات فضل على ٠٠٠ عمى « نعمات هانم » التى تولت تربيتى منذ الأسبوع الأول من ميلادى وكانت الصدر الحنون الذى عوضنى عن غياب أمى ولم تحاول قط أن تستحوذ على كل حبنى ٠٠٠ بل كانت تساعدنى كثيرا فى لقاء أمى خفية من جدى الذى حرم عليها دخول منزله ٠٠

وهناك أيضا « نيرمين » سكرتيرتى الخاصة أو كما أطلق عليها « نصف عقلى » فهى التى ننظم لى جميع مواعيدى وتعرف كل شىء عن أوراقي وأماكنها وتعيد تنظيمها من جديد حيث أننى فوضوى بطبعى ٠٠٠ ووجود نيرمين مهم جدا فى عملى وبدونها أشعر بارتباك شديد ولا أستطيع أن أعمل لذلك فأنا أعارض إجازاتها ولا أوافق إطلاقا على منحها أية إجازة طالما أنا موجود هنا فى العمل ٠٠٠ وأتذكر أنها طلبت منى إجازة كى تسافر الى دمشق ولكننى كمادتى لم أوافق ٠٠٠ فصممت على السفر، فأخذت أحيايها ربما تعدل عن قرارها هذا ولكنها أبدا لم تهتم ، فسارمتها أن تلغى إجازتها وتبقى معى وأزوجها عبد الحليم حافظ ٠٠٠ ولكنها أيضا رفضت تلك المساومة وسافرت الى دمشق » ٠٠

ملحوظة : قد لا يعرف الكثيرون أن نيرمين سكرتيرة الأستاذ احسان

هى ابنة أخت زوجته ٠٠

ثم استطرد فى استعراض الشخصيات النسائية اللاتى أثرن فى

حياته قائلا :

« أن هناك العديد من النساء ، وقفت كثيرا أمام شخصية كل منهن ٠٠٠ يملأنى الإعجاب والتقدير ، ويهزنى من الأعماق ، ما أجده فى هؤلاء النساء من مواهب طبيعية ، وقدرة غريبة على البذل ، والتضحية فى سبيل ما تؤمن به كل منهن ٠٠٠ أذكر مثلا – السيدة خديجة بنت خويلد ٠٠٠ زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام وكنت ولا أزال ، أحنى رأسى خشوعا أمام غظمة هذه السيدة التى وقفت بجانب الرسول فى سنوات الامتحان الأولى فضربت بهذا مثلا ٠٠٠ كيف تكون المرأة لزوجها ٠٠٠ زوجة وأختا وصديقة ، وسندا فى الشدائد ، وعونا على المحن ٠٠

ويقفز ذهني الآن الى عصرنا الحديث وأقف باجلال لا حدود له أمام
السيدة هدى شعراوي وأذكر مواقفها التي لا يمكن أن تنسى بسهولة
وخاصة من شعب عرف بالوفاء كنيته الوفي ٠٠٠ ويهزني كفاها من أجل
المرأة المصرية وتأصيل مشاركتها في الحياة العامة ،

٠٠٠ وهكذا يحكي لنا الأستاذ احسان رايه في المرأة وجه العميق
واحترامه العظيم لها والذي يصل لحد القدسية والمرأة كانت ولا تزال من
أخطر العوامل المؤثرة في أدب احسان عبد القدوس ٠٠٠ أليس من
التناقض حقا أن يوصف بعد ذلك بأنه قصاص الجنس في الشرق ٠٠٠
وصاحب مدرسة الفراش في الرواية المصرية !!

سألته هل هناك ثمة تناقض بين كتاباتك الصريحة عن الحب وبين
كتاباتك السياسية ؟

قال لي بكل ثقة : « لقد كان جبرييل دانزيو بطل حركة التحرير
الاطالية يكتب أشعارا عن الحب الملتهب في أشد أيام الضيق التي مرت
بوطنه وغاندي بطل الهند لم تمنعه رسالة الوطنية من أن يكتب فصولا
مطولة في كتابه « تجاربي مع الحقيقة » عن النساء اللاتي عشن في حياته
وتركن فيها قصص غرام عنيف ٠٠ وشوقي الشاعر الذي قال « وما نيل
المطالب بالتمني » قال أيضا « مضناك جفاء مرقده »

« كل هؤلاء كانوا صادقي العاطفة ، سواء عندما هتفوا بالحرية
لوطنهم أو عندما ترنموا بأناشيد الحب والغرام ٠٠٠ أنهم فنانون صادقون
ولن يصدق أحد منهم في وطنيته الا اذا صدق في التعبير عن كل احساس
يشور في نفس الرجل »

إحسان عبدالقدوس السياسي

إحسان عبد القدوس السياسي - إحسان عبد القدوس السياسي - إحسان عبد القدوس السياسي

وقفة

قد يتساءل البعض هل يعتبر الأستاذ احسان عبد القدوس كاتباً سياسياً أو كاتباً روائياً بمعنى هل هو سياسى أم أديب ؟

هذا هو السؤال الذى لا يتوقف عن مواجهته منذ بدأ يكتب حتى اليوم ومن الغريب أن الناس هم الذين يطرحون هذا السؤال بينما هو لا يسأله لنفسه أبداً .

يقول أستاذنا احسان :

« أننى لا أسأل نفسى هذا السؤال لاننى لم أتعمد يوماً الكتابة السياسية أو الروائية أى أنى لم أضع نفسى أبداً فى موضع الكاتب المحترف المتخصص فى الموضوعات السياسية أو الموضوعات الأدبية حتى فى دراساتي منذ كنت طالبا لم تنحصر هواياتى فى الأدب وحده أو السياسة وحدها وكنت خلال الحركات الوطنية أفضى يومى كله فى «مظاهرات الطلبة السياسية ثم أعود الى البيت لأقرأ قصصاً لا علاقة لها بالسياسة ولا بالحركات الوطنية واستفرقتنى القراءة خلال سنوات الجامعة وكنت أقرأ كثيراً خارج مقررات كلية الحقوق ولكنى أيضاً لم أتخصص فى اختيار ما أقرأه وقد قرأت أيامها عن كل المذاهب والدراسات السياسية على مر التاريخ وفى الوقت نفسه قرأت عشرات من الانتاج القصصى العالمى .. كنت أقرأ كهواو لا كدارس وكنت أحس دائماً عندما

اقرأ كأنى سائح يطوف بالآثار الفكرية لكل الشعوب وهو ما لا أزال أحس به كلما قرأت كتابا جديدا .

« وربما كان عدم قدرتي على استكمال شخصية المحترف سوا . كسياسي أو أديب عو الذي وضعني دائما موضع المتفرج من بعيد فلم انضم يوما الى حزب أو هيئة أو تجمع سياسي بل وضعت نفسي خارج كل الأحزاب وكل الهيئات وهو ما دفعني الى اطلاق تعبير « الشارع السياسي » حيث أقف بعيدا عن مسئولية الاحتراف السياسي أقف في الشارع . . وهو التعبير الذي أصبح بعد ذلك شائعا وأصبح له انره في تقدير آراء وتصرفات محترفي السياسة . . كل منهم يريد أن يكسب الثمار السياسية . . وفي الوقت نفسه فان عدم استكمالي لشخصية الاحتراف الأدبي أى شخصيتي كأديب محترف هو ما جعلني بعيدا عن كل التنظيمات والتجمعات الأدبية بل أننى كنت صاحب فكرة انشاء نادى القصة ثم صاحب فكرة اقامة المجلس الأعلى للفنون والآداب ورغم ذلك فقد وجدت نفسى منعزلا عن نادى القصة وعن المجلس الأعلى لمجرد أنى لا أستطيع بحث ومناقشة ما يخص الاحتراف الأدبي لأنى لا أستطيع أن أعيش شخصية المحترف ولذلك عشت واقفا في الشارع الأدبي كما أنا واقف في الشارع السياسي » . .

وهذا الجمع بين السياسة والأدب هو الذى حير الناس فى تحديد شخصيته ككاتب والواقع انه عندما بدأ يكتب وينشر كتب قصصا وخواطر وانطلاقات أدبية وفنية ولكنه حينما عرف عند الناس عرف ككاتب سياسى وليس قصصا على الرغم من أنه كان يكتب آراءه السياسية وانطلاقاته القصصية فى آن واحد وكانت تنشر معا فى مجلة روز اليوسف . . وفى أعداد روز اليوسف التى نشرت فيها قضية الأسلحة الفاسدة - مثلا - كان ينشر فيها أيضا قصة النظارة السوداء ولكن الذى قدمه الى القراء أيامها هو أن الأقلام كانت تعيش فى جو واسع من الحرية السياسية وهذه الحرية هى التى قدمته ككاتب سياسى أولا . . ثم بدأت حرية الأقلام بعد ذلك تنقلص سياسيا حتى لم يعد هناك مجال للتعبير عن كل آرائه . . فبدأ يهرب الى كتابة القصة لعله يستطيع أن يحملها من أفكاره وآرائه التى حرم من توصيلها للناس من خلال مقاله السياسى المعتاد ، وقد نجح فى ذلك كما رأينا ونحن نستعرض حياته الأدبية . . واحسان عبد القدوس يكتب فى السياسة برقة وخيال الأديب ويكتب الرواية بواقعة السباسبى . .

قال لي الأستاذ احسان :

« أنا أرفض تقسيم نفسي الى كاتب سياسي وكاتب قصصي لأنني لا اعتبر الفكر السياسي يتطلب التخصص أو هو فكر مقصور على المتخصصين .. ان الفكر السياسي هو مزيج من كل انطلاقات الفكر الآدمي .. أي أن كل بني آدم يعيش وهو يفكر سياسيا مهما اختلفت الطبقات ومهما اختلفت المستويات .. والفلاح الأمي عندما يناقش تصرفات شيخ الحفر مثلا فهو في الواقع ودون تعمد ودون وعي يدير مناقشة سياسية تقوم على نفس المنطق الحوارى الذى يناقش به رئيس وزراء مصر مع رئيس الولايات المتحدة .. وست البيت عندما تناقش الاسعار أو علاقاتها بالبقال أو الحياطة هي فى الواقع تناقش الوضع السياسى المتحكم فى تنظيم الادارة وهي مناقشة تنتهى دائما بلعن الحكومة والوزير ورئيس الوزراء وربما انتهت الى ثورة ..

وهذا هو الذى يجعل كاتب القصة لا يستطيع أن يتحرر من فكره السياسى ..

هذه وقفة سريعة أردت أن أقف عندها قبل أن أبدأ مع استاذنا مشواره السياسى ككاتب صحفى يعيش السياسة بوجودانه وفكره قبل أن يكتب عنها بقلمه ..

١ - احسان لرئيس الوزراء :

امى بتسلم على سعادتك .. وبتقولك عاوزه شوية اخبار !!

عاش أستاذنا عالم الصحافة من صغره ، فقد كانت أمه أبرز صحفية فى عصرها ... كانت صاحبة القضايا السياسية الساخنة ومنذ أن كان احسان فى فترة الصبا شرب المهنة من أمه ويبدو أنها كانت تعده لذلك ..

ففى صيف (عام ١٩٢٨) ، سافر احسان الى الاسكندرية لقضاء الاجازة ، بعد ظهور نتيجة البكالوريا ، مكافأة من والدته على نجاحه فى امتحان الشهادة واستيقظت ذات صبح مبكر ، بالفندق الذى يقيم به ، على مكالمة تليفونية عاجلة من القاهرة ... حيث فوجئ بوالدته تخبره بأن مندوب روز اليوسف بالاسكندرية « على بليغ » مريض وأن عليه التوجه فورا الى رئيس الوزراء الموجود بالمصيف ليحصل منه للمجلة على آخر « تطورات الموقف السياسى » ، وأنهت والدته حديثها معه بعسارة قصيرة ومخيفة قالت فيها .. (بسرعة يا احسان المطبعة واقفة ولازم التصريح يوصلنى قبل الظهر) ... فوضع سماعة التليفون وقد طار النوم من عينه رعبا ، انتابته حالة من القلق لاحتمال الفشل ... وذهب الى مقابلة محمد محمود باشا « وفى تراس » فندق سيسل المطل على البحر الأبيض وقف حائرا مترددا بين الاقدام وبين خجله وخوفه من هذه المجموعة من المشاهير التى تحيط « بدولة الباشا » تجيء النجدة له على

يدى « الشاعر المرحوم كامل الشناوى » فيدعوه للدخول مرحبا به بين
دهشة «الكبار» الذين تصادف عدم معرفة أحد منهم له ، لأنه كان حتى هذه
اللحظة بالنسبة لمجتمع أمه مجرد زائر عابر ٠٠٠ وما يكاد « صاحب
الدولة رئيس الوزراء يعرف شخصيته حتى يقبل عليه مرحبا في عطف
رسب بالغين مما زاد ارتباكهم ٠٠٠ فيتعثر الكلام على لسانه فلا يكاد
يبينه ٠٠ وبعد مقاومة عنيفة لحجله وارتبائه اللذين سيطرا عليه ، فوجئ
الحاضرون بعباراة كادت نصيب معظمهم بالاغماء من كثرة الضحك . حين
قال : « ٠٠٠ أمى بتسلم على سعادتك ٠٠٠ وبتقولك عاوزه شوية
أخبار ٠٠٠ !! » ٠٠

يقول الأستاذ احسان : كان المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ،
أسرع الحاضرين تمالكا لنفسه بعد موجة الضحك التي انتابتهم ، فأسرع
يطيب خاطرى ويميلنى ما جئت لأجله من أخبار وتصريحات خطيرة ٠٠٠
ورغم كثرة ما حصلت عليه من أخبار ، فلم أكن سعيدا أبدا ٠٠٠
لا أدرى لماذا ؟ ولكنى أديت واجبى الصحفى ٠٠٠ وأملت الأخبار لأمى
تليفونيا وكانت سعادتها لا توصف بنجاح ابنها فى أول مهمة صحفية
يكلف بها رسميا من المجلة ، ٠٠

ولم تكذ تضى بضعة أسابيع على بدء الدراسة بكلية الحقوق حتى
أحس بأن أمامه واجبا كبيرا يجب أن يقوم به ، لكى يحقق ما يريد ،
وإذا كانت دراسة القانون ستعطيه أسلوبا منظما فى التفكير فان عليه
واجبا أكثر خطورة ، هو أن يحصل بنفسه وبجهده الذاتى على مادة هذا
التفكير ٠٠٠ وكان عليه أن يحدد بسرعة نوع المادة التى سيتبجبه
لتحصيها ٠٠

٠٠٠ وكانت مشكلة حقيقية بلا شك واجهت الفتى وهو فى مقتبل
العمر اذ كان الاختيار صعبا وغير ميسر ٠٠٠ فأبوه « محمد عبد القدوس »
الممثل والكاتب المسرحى يحاول أن يميل به الى عالم الأدب ليخلق
منه الأديب المبدع الذى كان يود أن يكونه هو شخصيا ٠٠٠ والأم
الصحفية العنيدة والسياسية القوية الشخصية تريد أن ترى وحيدها
صحفيا لامعا يرث من بعدها مجلتها ٠٠

وينظر الفتى من حوله فيجد فى مجال الأدب أعلاما كبارا ٠٠٠
كطه حسين وشوقي والعقاد والدكتور محمد حسين هيكل ٠٠٠ الخ
وفى مجال السياسة يرى الأحزاب من حوله تتصارع فى سبيل الوصول

الى الحكم مؤيدة القصر حينما والاستعمار الانجليزى حينما آخر ٠٠٠ ويفع
الفتى احسان فى حيرة بالغه نم يقرر بثقة كاملة جريا على أسلوبه المعتاد.
فى التوفيق بين التناقضات فى حياته أن يجمع بين دراسة الادب
والسياسة معا ٠٠٠ ويتلقفه فى مجال الفكر السياسى شاب من أبناء
الطبقة الأرسقراطية المصرية فى ذلك الحين هو المرحوم « أبو بكر حمدي
سيف النصر » .

يقول الأستاذ احسان :

« كان أبو بكر قد التحق بجامعة كمبردج فترة ، استطاع خلالها
أن يدرس الفكر الشيوعى دراسة كاملة ، وعاد الى مصر ٠٠٠ وكان صديقا
لى منذ كنا أطفالا ٠٠٠ وأحس أبو بكر بحيرتى الفكرية ، النسابعة من
رفضى للواقع المتعفن للأحزاب المصرية وزغبنتى فى معرفة الطريق الذى
يقودنى الى خدمة بلدى ٠٠٠ وبدأ يمدنى بالكتب والنشرات التى تيسر
لى دراسة الفكر السياسى دراسة علمية منهجية ٠٠٠ وعن طريق ما أخذته
من المرحوم « أبو بكر » من دراسات وما تلقيتها فى كلية الحقوق من عواد
سياسية ٠٠٠ استطعت أن أضع يدي على مفتاح الطريق لحط سياسى .
أمنت به طوال حياتى ٠٠ طالبا ثم محاميا وصحفيا وأديبا ٠٠٠ خط
محرکه الأول ٠٠٠ ابمانى بالحلب كقوة قادرة على كل تناقضات الفرد
والمجتمع ٠٠٠ اعتزازى بحيرتى الشخصية ما دمت لا أؤذى أحدا !! ٠٠

كنت أحضر الندوات السياسية التى يدعونى اليها زميل دراستى
(زكى هاشم) وزير السياحة السابق ٠٠٠ وأحضر فى نفس الوقت
« الاجتماعات » التى يعقدها صديقى الشيوعى أبو بكر سيف النصر ٠٠٠
ووجدتني فى النهاية غير قادر على الاستمرار معه ٠٠٠ لأنى مصر على
الاحتفاظ بحيرتى فى التفكير ومناقشة أى رأى لا يعجبني حتى ولو كان
رأى ماركس ولينين ٠٠٠ ! وقد قلتها له يوما ٠٠٠ وما زلت على استعداد
لتكرارها ألف مرة كل يوم ٠٠٠ أنا أرفض الاقطاع ومستعد للموت فى
سبيل محاربتة ولكننى فى نفس الوقت أرفض سيطرة الطبقة العاملة
وحدها على المجتمع لأننى ضد التسلط سواء أتى من أعلى أم من أسفل
والحلب هو صانع كل المعجزات وهو الحل الأمثل والوحيد لكافة
التناقضات ٠٠

٢ - احسان في سجن الأجانب

ويستمر الصحفي الشاب احسان عبد القدوس في العمل في مجلة روز اليوسف ٠٠٠ سكرتيرا لتحريرها الى أن جاء يوما طالع فيه قراء المجلة بمقال خطير عنوانه « هذا الرجل يجب أن يذهب » وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره الا ببضعة أشهر منتهزا فرصة انتهاء الحرب العالمية الثانية وما تبعها من رفع الرقابة على الصحف في عام ١٩٤٥ .

ويسترجع أستاذنا احسان هذا المقال الخطير في حياته والذي خلق منه نجما لامعا في عالم الصحافة ويقول :

« كان المرحوم النقراشي باشا رئيسا للوزراء ، وكانت الأوساط السياسية والصحفية ، على اختلاف ألوانها الحزبية قد بدأت تتهاشم بالحديث عن حادث ٤ فبراير عندما قدم لورد (كيلرن) سفير بريطانيا في مصر انذاره الشهير عام ١٩٤٢ لفاروق بضرورة تعيين النحاس رئيسا للوزراء واذا كان الحادث قد مر يومها في صمت صنعه الارهاب ، فان القرضة بدت الآن مهيبا للحديث عنه ، أما بدافع النكاية في الوفد من خصومه المزايدين ٠٠٠ واما بدافع الثورة للكرامة الوطنية من الشرفاء باعتبار الحادث عدوانا صارخا على السيادة المصرية ، حتى لو كانت هذه السيادة ممثلة في ملك أجنبي من أسرة دخيلة ..

ولكن ألم يكن الأستاذ احسان يدرك أنه سيصطدم بالضرورة بانجلترا بكل ثقلها العسكري والسياسى فى مصر آنذاك ، وبالمك الذى شارك باستسلامه فى صنع المأساة وبالوفد بكل ثقله كحزب للأغلبية الشعبية الساحقة وأخيرا بممثلى الاقطاع والرأسمالية المستغلة الذين هم بحكم مصالحهم أقرب بلا شك الى التعاطف مع الاستعمار الانجليزى الحامى لتلك المصالح ابان مهاجمته لورد كيلرن بمقاله الخطير فى مجله روز اليوسف عام ١٩٤٥ المنشور تحت اسم « هذا الرجل يجب أن يذهب » فى وقت كان صحفيا ناشئا لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره الا ببضعة شهور ٠٠ وكان أول كاتب صحفى يهاجم لورد (كيلرن) ويشير الى أحداث ٤ فبراير ٠٠

يقول الأستاذ احسان : « كنت أعلم كل هذا ٠٠٠ ولكننى صممت على مهاجمة الحادث ومدبريه وعلى رأسهم اللورد (كيلرن) ، وكتبت مقالى الذى فجر الزوايع من حولى ، ولكنه فتح الباب على مصراعيه فى نفس الوقت لكل الكتاب لكى يهاجموا حادث ٤ فبراير بعد أن طلعت مجلة روز اليوسف على القراء وهى تحمل عنوان المقال الذى اهتزت له شوارب الأسد البريطانى العجوز ٠٠٠ « هذا الرجل يجب أن يذهب » ٠٠

ثم يستطرد قائلا :

« كان العدد قد نزل للسوق فى الصباح ، وكنت أجلس مع مجموعته من الزملاء « نخمن » رد الفعل الذى سيحدثه المقال سواء عند القراء أو عند السفارة البريطانية ، ولم يدر بعقولنا النظيفة أى شك فى موقف الحكومة . فالمقال ليس ضدها ان لم تكن فيه مساندة ضمنية لها باعتبارها كشفا لموقف مخجل للوفد خصم الحكومة العنيد ٠٠٠ ودق جرس التليفون . وكان المتحدث هو رئيسة تحرير المجلة ٠٠٠ السيدة فاطمة اليوسف ولم تزد فى حديثها عن عبارة مقتضبة : « مش بطال يا احسان ٠٠٠ أخبار التوزيع كويسة » ٠٠٠ ووضعت السماعة ٠٠٠ وكدت أرقص من الفرحه ٠٠٠ أمى الصامتة ، الجادة معى منذ عملت تحت رئاستها تقول لى « مش بطال » ٠٠٠ لا شك أننى حققت نصرا هائلا ٠٠٠ صدقيني لست مبالغا فى وصف احساسى وقتها ٠٠٠ وساعتها كنت مستعدا لتقبل أى شىء ومواجهة أى خصم مهما كان جبروته ٠٠٠ كنا فى منتهى السعادة وقد جلسنا فى مرح تبادل « القفشات » حول السفير البريطانى ، وغضبته المتوقعة ، وحزب الوفد والهجوم الصحفى الذى نتوقه منه كرد على المقال ٠٠٠ وفتح الباب فجأة ودخل آخر من كنت أتوقع دخولهما ٠٠٠

« غول » البوليس السياسى « أميرالاي محمد ابراهيم امام » ادى نان يمثل عن جدارة ذراع الأخطبوط الارهابى للسلطة المعادية للشعب والرجل الذى أوقع بكل الثوريين الشرفاء قبل ثورة ٢٣ يوليو وكان يسير خلفه . تابعه الامين ، ومساعدته الأول « البكباشى محمد الجزائر » الذى منحه القدر ، لقباً معبراً باستحقاق عن الدور الذى لعبه فى حياة الشعب المصرى طوال الأربعينات وحتى ٢٣ يولية عام ١٩٥٢ ٠٠٠ كانت على وجهيهما الوسيمين مع الأسف ابتسامة رقيقة ، لا تقل رقة أو نعومة . عن نعومة الثعبان ورقة ملمسه ٠٠ ! ولكننى لم أنزعج أو يداخلىنى اى خوف ٠٠٠ وتلقيت دعوتهاما الحبيثة « للذهاب معهما للدردشة فى بعض الأمور » بجرح حقيقى ، وكأنى أتلقى دعوة من سفير لحضور حفل كوكتيل ٠٠٠ ولكننى رجوتها الانتظار حتى أتناول العشاء الذى دعوت زملائى اليه ووافقا بكل بساطة وحب ٠٠ !

٠٠٠ وهكذا أحدثت المقال رد الفعل المنتظر منه لدى السلطة الحاكمة ٠٠٠ وينساق الصحفى الجرىء الى سجن الأجانِب فى منطقة « باب الحديد » لأجراء الدردشة فى بعض الأمور نلبية لدعوة رجال البوليس السياسى ! ٠٠ ويواجه استأذنا لأول مرة فى حياته تجربة المبيت فى السجن ٠٠ وقد حاولت والدته السيدة فاطمة اليوسف أن تتحمل المسؤولية نيابة عنه وأن تدخل السجن بدلا عنه ولكن الصحفى الثورى ثار وشهد مكتب وكيل النيابة مناقشة حادة بين أم وابنها كل منهما يريد أن يتحمل المسؤولية وكل منهما يريد أن يدخل السجن وانتصر وكبل النيابة للصحفى الشاب احسان وأودعه السجن . وفى داخل السجن ترسل له خطابا مفتوحا تقول فيه : « ٠٠ الى ولدى السجنين ٠٠ احبيك فى سجنك ، تحية أم ونحية مواطنة حملت قبلك شرف الجهاد فى قضية مصر ٠٠ وقد اختلط فى نفسى شعور الأم بشعور المواطنة ، فما أدرى بأيهما أعبر عن نفسى وأن فى قلبى ليستعر جحيمان ٠٠ جحيم الأهومة وجحيم المبدأ ٠٠ وكلاهما قطع من العذاب ٠٠ أحمد الله عليك أذن وأنت فى أول طريقك فى قضية مصر وقد نزلت منزلا كريما فى سبيل مبدأ كريم ٠٠ والسجن يا ولدى منازل الأحرار اذا دخلوه مدافعين عن حرية الرأى مناضلين فى سبيل الحرية فلا برضون باحناء الرأس وتلجيم الفم من أجل متاع دنيا لا تدوم ٠٠ ثم أحمد الله على نفسى اذ أكرمنى وأنا ما زلت على قيد الحياة بأن أراك تحقق أملى فيك وتستقيم على المنهج الذى ربيتك عليه ان تكون لبلادك وحرية الرأى وأنت لا تزال فى السن التى يكون فيها غيرك لمغامرات الشباب وأحلام والشباب ومناهج العيش الهنىء ٠٠

وعن تجربته في سجن الأجانب يقول استاذنا احسان :

« انى كنت سعيدا بهذه التجربة ؟ ٠٠٠ لقد أحسست بالدهشة في البداية عندما علمت ان قرار القبض على صدر من النقراشى نفسه ، رغم أن المقال لا يمس حكومته من قريب ولا من بعيد ٠٠٠ ولكن الدهشة تلاشت بسرعة بعد أن وصلت الى اليقين الذى كنت أسعى وراءه ! ٠٠٠ ها هو النقراشى كغيره من زعماء الأحزاب ٠٠٠ قد يكون وطنيا ، ولكن ضد التقدم ولا أمل فيه بالنسبة لجيل الشباب المتطلع الى فجر جديد ٠٠٠ وعندما وصلت الى هذه النتيجة أحسست بالراحة ٠٠٠ بل وبالفرحة بالتجربة التى أتاحتها لى قرار النقراشى بسجنى ٠٠٠ لقد نسيت تماما اننى سجين ، وتحولت الى « دراسة » السجن والتعرف على السجناء معى المختلفين فى الجنسيات ٠٠ والقضايا ٠٠ فيهم الافريقى الأسود والآسيوى الأصفر ٠٠٠ والأوروبى الأبيض ٠٠٠ وفيهم المزور والنصاب . والجاوسوس ٠٠ ولص البواخر ٠٠٠ والمهرب ٠٠٠ وأغرقتنى أقاصيص الحياة هناك فى داخله ، وشخصيات المساجين الأجانب الذين كانوا خليطا غريبا من كل دراما رائعة أنستنى عذاب السجن ذاته ٠٠٠

وكان احساسى بالسعادة لا يقاس وأنا أرى زوجتى الشابة تحضر الى كل صباح . تحمل لى الطعام من البيت ، وتحمل مع الطعام ٠٠٠ ابنا الرضيع «محمد» ٠٠ « ٠٠

ويخرج الصحفى الشاب احسان من سجنه سعيدا بتلك التجربة المفيدة التى أتاحت له من خلالها التعرف على الحياة فى داخله وشخصيات المساجين منعددي الجنسيات ٠٠٠ وتقيم له السيدة روز اليوسف حفلة كبيرة تسمح له فيها أن يدخن أمامها ٠٠ للمرة الأولى .

يقول الأستاذ احسان :

« قالت لى أمى وهى تشير الى مكتبها باعتبارها رئيسة تحرير المجلة ٠٠٠ أقعد يا احسان على مكتبك ٠٠٠ ولم أفهم ماذا تقصد ٠٠٠ أن مكتبي كسكرتير تحرير روز اليوسف يقع فى تواضع فى حجرة أخرى ٠٠٠ والمكتب الذى تشير لى والدتى بالجلوس اليه هو مكتب رئيس التحرير أى مكتبها هى ٠٠ !! ولأول مرة منذ تخطيطت مرحلة الطفولة ، ترى عيناي حنان الأمومة ورقتها يسيلان فى عذوبة من عينى فاطمة اليوسف المرأة القوية على نفسها وعلى من حولها ٠٠٠ واقتربت منى ببطء وكأنها تؤدى طقوسا دينية ذات رهبة وجلال وسحبتنى من يدى

المرتجفة ، واجلسنتني على مكتبها نم قبلتني قبله حب استقبلها قلبي قبل
أن يحس بها جيبيني ، وقالت لي وشفتها ترتجفان بانفعال غلبها ٠٠٠
ربما لأول مرة في حياتها ٠٠٠ « دي مجلتك ولازم تتحمل مسئوليتها
يا احسان ٠٠٠ أنا من حقي ارتاح بقي » ٠٠٠ وافقت من ذهولي على
صوتها وفد بدأ يسترد نبرته القويه العائيه وهي تستطرد « وما تنساش
انك اتخرجت خلاص من المعهد اللي تخرج فيه كل رؤساء تحرير
روز اليوسف قبلك !! ووقتها فقط ، صدقت أن أمي جادة فيما قالت .
وأنتي أصبحت فعلا أصغر رؤساء التحرير سنا في مصر ٠٠٠ لأنني عينت
بقرار السيدة فاطمة اليوسف ٠٠٠ خلفا لها في رئاسة تحرير
« روز اليوسف » التي شاء القدر الواعي وربما المصادفة البحتة أن يمر
كل رؤساء تحريرها بتجربة السجن من أول الدكتور محمود عزمي ثم
التابعي ٠٠٠ الى أمي فاطمة اليوسف نفسها . وقد كانت أول صحفيه
مصرية تدخل السجن » ٠٠

٣ - احسان ٠٠ والوصايا العشر

مع تنازل السيدة روز اليوسف عن مقعدها لابنها احسان ليتولى مهام مجلة روز اليوسف وضعت أمامه على المكتب هذه الرسالة التي نشرت في نفس الأسبوع :

ولدى رئيس التحرير ٠٠

عندما اشتغلت بالصحافة وأسست هذه المجلة ٠٠٠ روز اليوسف كان عمرك خمس سنوات ، وقد لا تذكر أني حملت العدد الأول ووضعت بين يديك الصغيرتين وقلت : هذا لك ٠٠

ومرت عشرون عاما ٠٠٠ قضيتها ، وأنا أرقب في صبر وجلد ، نمو أصابعك حتى تستطيع أن تحمل القلم ، ونمو تفكيرك حتى تستطيع أن تقدر هذه الهدية التي كونتها بدمي ٠٠ وأعصابي خلال سنين طويلة ، لتكون لك اليوم والآن ٠٠٠ وقبل أن أضعك أمامي لأواجه بك الناس ٠٠٠ دعني أهمس في أذنيك وصية أم الى ابنتها ، وبوصية جيل الى جيل ٠٠٠

— مهما كبرت ، ونالك من شهرة ، لا تدع الغرور يدخل نفسك ، فالغرور قاتل ٠٠٠ وكلما ازددت علما وشهرة ، فتأكد أنك لا زلت في حاجة الى علم وشهرة ٠٠٠

— وحافظ على صحتك ٠٠٠ فبغير الصحة لن تكون شيئا ٠٠

— ومهما تقدمت بك السن ، فلا تدع الشيخوخة تطفي على تفكيرك . .
بل . . كن دائما شابا الذهن والقلب ، وتعلق حتى آخر أيامك
بحماسة الشباب . .

— حارب الظلم أينما كان وكن مع الضعيف على القوى ولا تسأل عن
الثمن . .

— حاسب ضميرك قبل أن تحاسب جيبك ولعلك فهمت . . كن
قنوعا . . ففي القناعة راحة من الحسد والغيرة . .

— ثق أنى دائما معك بقلبي وتفكيرى وأعصابى . . . فالجأ الى دائما
وأخيرا دع أمك تسترح . . . قليلا . .

وذهلت وأنا أقرأ تلك الرسالة العظيمة التي كتبتها السيدة
الفاضلة « فاطمة اليوسف » ووجهتها الى ابنها الوحيد « احسان » لحظة
توليه رئاسة تحرير مجلة روز اليوسف عقب خروجه من سجن الأجانب
. . . . والتي لم يعتز في حياته برسالة مثلها - كما قال لى - انها لم تكن
وصية أم الى ابنها قط بل أنها كانت في الواقع وصية من بطلة تمثل جيلا
بأكمله عانت الكثير من المتاعب والمصاعب بل وزج بها الى السجن لكي
تحتفظ بصحيفتها وباستقلالها الفكرى وعدم التبعية لأى من الأحزاب
التي كانت تسيطر على الحياة السياسية فى مصر الأربعينات بل كانت
منبرا يلتف حوله كافة القيادات الثورية فى مصر فى ذلك الحين . .

. . . . ويتكلم الأستاذ احسان عن أمه بكل اجلال وتقدير فهي البطلة
التي عانت من المحن والمتاعب وهي الرائدة والمعلم الأول سواء فى
الحياة أو فى المهنة فيقول :

« لم تعترف أمى بكل ما كتبته فى مجلتها من قبل ، ولم تعترف
بشهادة الليسانس التي حصلت عليها عقب تخرجى من كلية الحقوق !
لم يكن هذا كافيا لكى تثق فى أن ابنها أصبح قادرا على قيادة
مجلتها فقد كانت تؤمن بأن المناخ السياسى الذى يعيش فيه الشعب
آنذاك لا يسمح بأى نوع من المهادنة أو أنصاف المواقف وعلى حامل
القلم أن يقول صراحة عن طريق قلمه هل هو مع الشعب أم
ضده وكان على أن أنتظر حتى تأتى المعركة الحقيقية التي أحدد فيها
موقفى بشجاعة ، ولم يكن ممكنا أن « أفتعل » معركة كاذبة لن تنطلى على
ذكاء فاطمة اليوسف وعندما لاحت الفرصة لم أتردد ، وضربت

ضربني ، وكان الثمن أول قرار بالقبض على في جريمة رأى ٠٠٠ ثم خرجت من السجن لأجد في انتظاري رئاسة التحرير ٠٠٠ ومن هنا ٠٠٠ وجدت نفسي مندفعاً في الطريق حتى النهاية . وكانت النهاية هي قيام ثورة ٢٣ يولية وكانت أمي وأستاذتي قد تركت لي حرية التصرف تماما ولكنني كنت أشعر بأنها ترقبني في صمت ٠٠٠ وأحس بأن عقلها يحلل في هدوء كل حركة أتحركها ، وكل كلمة أكتبها ٠٠٠ وكل سكوتها يعني أنني على طريق الصواب وأنتي ما زلت كما بدأت منحازا لصف الشعب » ٠٠

هذه الرسالة التي لخصت فيها فاطمة اليوسف ٠٠٠ كما قالت بنفسها وصية جيل لجيل ٠٠ أجد خلاصة دقيقة للمنهج الذي يلخص حياة احسان عبد القدوس كلها بجميع منطلقاتها الشخصية ٠٠٠ والأدبية والسياسية ٠٠٠ ولو أننا استرجعنا كلمات الرسالة ، لوجدنا فاطمة اليوسف ، دون وعي ٠٠٠ أو بوعي كامل منها ٠٠٠ تلخص في كل عبارة من عبارات الرسالة ، مكوناتها أساسيا ، من مكونات شخصيته على المستويين الفردي الخاص ، والاجتماعي العام ٠٠

نذكر منها العبارة التي تقول : وكلما ازددت علما وشهرة ٠٠٠ فتأكد أنك ما زلت في حاجة الى علم وشهرة ٠٠٠ واذا طبقنا هذه العبارة على حياته نجد أنه منذ أن وعى على الدنيا وحتى اليوم ، لم ينقطع عن القراءة بكل نواحيها الأدبية ٠٠٠ أو السياسية ، لأنه يؤمن تماما بأن العقل في حاجة الى غذاء مستمر ، لتتجدد خلاياه وتستمر قدرته على الإبداع والخلق ، بل على مجرد التفكير السليم المعاش لصره ٠٠٠ وقد أثمرت هذه القراءات المستمرة بأن جعلته على اتصال بعصره في كل نواحيه ٠٠٠ هذا من جهة ٠٠٠ ومن جهة أخرى فان القراءة المستمرة لما تنتجه عقول الآخرين ٠٠٠ تبعد عن الانسان آفة الغرور ٠٠٠ لان ما يقرأه باستمرار يؤكد له ، أن في العالم من يسبقه دائما ٠٠٠ فيجب أن يكافح باستمرار ليحافظ على ما هو عليه الى جانب الأمل في تحقيق كل ما هو جديد ٠٠

شيء آخر يعرفه الجميع عنه وهو في تصوري من وحي هذه العبارة التي كتبها رائدته ومعلمته الأولى ٠٠٠ الزهد في الشهرة ، زهدا وصل به الى مرحلة الحجل من لقاء الناس ٠٠٠ ولعل هذا هو سر عزوفه عن الأضواء بوجه عام من ناحية ٠٠٠ وعن أي مجال يضطر فيه للكلام من

جهة أخرى ٠٠٠ فهو أميل الى التعبير عن نفسه بالقلم ، ولهذا نجده
يرفض الاحاديث الاذاعية ويكره الظهور على شاشة التليفزيون زاهدا في
!لوقوع تحت دائرة الأضواء ٠٠

٠٠٠ وهكذا فهم الأستاذ « احسان عبد القدوس » ما تعنيه امه
تماما من رسالتها هذه ٠٠٠ وجاءت الأحداث مؤكدة هذا الفهم لمبادئ
الام الى أقصى مدى ٠٠٠ ففي الواقع أنه منذ تولى أستاذنا رئاسة تحرير
مجلة « روز اليوسف » لم يكف عن مقالاته الثورية الراضة لخطايا
الحكم ٠٠٠ فلم يرهبه السجن بل اعتاد عليه تكرارا في سبيل كلمته
الحرّة الجريئة ٠٠

ففي مقال نشر تحت عنوان « اقرأ مرة أخرى » في عام ١٩٤٨
كتب يقول :

« ٠٠٠ أن أحدا لا يريد أن يضحي من أجل مصر ، ولا عمل يمكن
أن يتم ولا خطوة يمكن أن نخطوها ، الا اذا كانت هناك تضحية ، وتضحية
أكبر ضخامة من الظلم الذي تعانيه مصر فالفقير لا يملك ما يضحي به ،
والغنى لا يريد أن يصبح فقيرا والسجين لا يستطيع حراكا ، والحرا لا يريد
أن يكون سجينا والميت لا يستطيع أن يقوم من رقدته ، والحى لا يريد
أن يكون ميتا ولا شهيدا ٠٠٠ واذا أردتم لمصر شيئا ، فضعوا الرؤوس
في حبال المشانق ٠٠٠ ثم اهتفوا بسقوط الظلم ٠٠

ويعلق أستاذنا على هذا المقال فيقول :

« كان مقالى هذا ٠٠٠ تعبيرا صريحا عن انحيازى النهائى لرجل
الشارع ، وهو الانحياز الوحيد الذى سمحت به لنفسى طيلة عمري ٠٠
ولا زلت مؤمنا به ، لايمانى الكامل بأن رجل الشارع فى صدقه وبساطته
قادر على أن يعطى لأعظم السياسة المفاتيح الحقيقية النظيفة لكل مشكلة ٠٠
لهذا آمنت منذ البداية بالشارع السياسى ، واعتبرت نفسى ابنا
أمينا له ٠٠٠ ما يصيبه يصيبنى ، وما يحدث فيه يتردد صداه فى حياتى
وعقلى فكرا وعملا ٠٠

يقول الأستاذ احسان : « ٠٠٠ كان المقال بالنسبة للسلطة وثيقة
لاعلان الحرب بينى وبينها ٠٠٠ لقد ناديت علنا بسقوط الظلم ٠٠٠ ولكى
يسقط الظلم يجب أن يسقط الظلمة ٠٠٠ أى القصر والانجليز والحكومات

العميلة كليهما ووجدتني في مواجهة الأمر الواقع ... خصما للسلطة
وصديقا لكل الثوار ... ولكن أين هم ، وأين أجدهم ؟

لقد كنت رافضا للنظام الملكي من أساسه باعتباره نظاما ضد
التطور ، فإذا ما ارتبط هذا النظام بالاستعمار الاجنبي وأصبح ذيلا له ،
وجب الاسراع بالقضاء عليه بالأسلوب الثورى الحاسم ... ومن هنا
أحسست بالحاجة الى اللقاء السريع مع كل الثوار الحقيقيين ... وبدأت
رحلة البحث عنهم حيث يختفون تحت سطح الحياة المصرية ... وكانت
مرحلة محفوفة بمخاطر البحث عن المجهول وكانني مفامر استهوته سيرة
كنز مخبوء في وادى الموت فسعى وراءه راكبا الأهوال ... كما تحكى
الأساطير » ..

... وهنا يتجلى بوضوح الشجاعة والجرأة التي يتمتع بها قلم
احسان عبد القدوس في وقت سيطر فيه الاستعمار الانجليزى بجبروته
على مقاليد الحكم وارتدى في أحضانه كل من الملك والأحزاب السياسية ...
ولكن أين بحث عن هؤلاء الثوار المختفين تحت السطح ؟

بقول أستاذنا :

« كان على كشخص حدد موقفه في الواجهة المعادية للسلطة الخائنة،
أن أساعد على فضح مخازيها وخطاياها أمام الشعب ، وكنت واثقا من أن
كل خبر يكشف عن فصيحة جديدة من فضائح الطبقة المستغلة ، سيزيد
من عدد الثائرين ، ويقرب الشعب من يوم الانفجار الذي يطيح بأعداء
الشعب ... ولهذا حولت باب أسرار المجتمع في المجلة الى شبه تقرير
سياسى ، وتحليل اجتماعى دقيق للفساد الأخلاقى والسياسى الذى تعيش
فيه الطبقة المستغلة طوال الأسبوع ... ولكى أضمن دقة « الأسرار »
التي أنشرها ، استعنت بأصدقائي من أعضاء نادى الفروسية وغيره من
النوادى الكبرى التي كانت مغلقة آنذاك على العائلة المالكة والطبقة العليا
في المجتمع ، وقد أعاننى في هذا الواجب الوطنى ، اثنان من خيرة
الأصدقاء هما « أحمد ياسين » و « اسماعيل سرى » وكانا من ضباط
الجيش الساخطين على الملك ووزرائه ، وكانا يقدمان تقريرهما الأسبوعى
لمحرر باب أسرار المجتمع « صلاح حافظ » الذى يحول كل خبر الى قبلة
تدوى في آذان القراء » ..

٤ - احسان والاخوان المسلمون

كان الشاب الثورى احسان مؤمنا فى قرارة نفسه ، بأن مصر الخالدة تحمل فى أحشائها جنين الثورة لأن ما يحدث على أرض الواقع المصرى ، كان يصرخ بحتمية الثورة ، لتعيد الى مصر وجهها الصحيح ، وللحياة المصرية صورتها النظيفة ، وكان موقنا بأن بذرة الثورة تكمن فى مكان بعيد عن السلطة وأن الثوار الحقيقيين يختبئون بعيدا عن الأضواء وعن المغانم الحرام التى كانت الأحزاب الرسمية قد تردت فى قاعها الدنس وقرر الاتجسأه الى التجمعات الثورية ... وكان لقاءه الأول مع حسن البنا ..

يقول الأستاذ احسان :

« كان مبعث اهتمامى بالاخوان المسلمين ، تأكيدهم على مبدأ الثورى المعروف فى الاسلام والذي يمثل رفضا ضمئيا للنظام الملكى الوراثنى، واتجاها عاما للنظام الجمهورى ورغم أنهم لم يعلنوا صراحة رفضهم للنظام الملكى الذى كنت أعاديه علنا ... الا أننى قررت التعرف عليهم عن قرب » ..

... كان الأستاذ احسان أول صحفى مصرى يلتقى بحسن البنا « مرشد جماعة الاخوان المسلمين » وقد أجرى معه حديثه المشهور الذى نشرته روز اليوسف تحت عنوان « الرجل الذى يقود نصف مليون » ..

سألته عن الهدف الذي كان يبتغيه من لقائه بالمرحوم حسن البنا ؟

فقال :

« كان هدفي من هذا اللقاء التعرف على حقيقة هذه الجماعة ...
ومدى نوريتهما وفهمها لظروف المرحلة التي يجتازها الواقع المصري ...
كنت أريد أن أعرف طريقة تفكير حسن البنا ومنهجه العملي المتصل ...
عن ضوء الخطوط المرئية المعنوية للجماعة ككل » ..

وقد أثمر هذا اللقاء عن علاقة ود ومحبة ربطت بينه وبين حسن البنا امتدت حتى مصرعه ... وبعد ذلك توقفت علاقة كاتبنا بهذه الجماعة تماما فلم يجد لديهم ما كان يبحث عنه بالإضافة إلى أن الشخصية الوحيدة التي كانت تقنعه - حسن البنا - قد غابت عنهم فلذلك لم يجد معنى لاستمراره معهم ..

يلق الأستاذ احسان عن هذه الفترة من حياته، قائلا :

« ... كنت أريد خطوطا واضحة مفصلة ولم أجد لديهم سوى وجهه نظر عريضة وعائمة في كثير من نواحيها ... كما أنني لم أجد من يقنعني هناك سوى شخصية حسن البنا نفسه . رغم أنني أخذت عليه يوما أثناء مناقشتي له محاولة اقحام النصوص الدينية في الحوار . بشكل يفرض على الاستسلام لوجهة نظره وهو أسلوب لا أستريح له في أية مناقشة فكرية ، لأن ادخال ما لا يقبل الجدل والمناقشة في الحوار الدائر بين الطرفين ، فيه نوع من الارهاب الفكري يسلب الحوار حرية الحركة بين الطرفين المتحاربين ... كما أنني رفضت بشدة كل المحاولات العديدة التي حاولها المرحوم حسن البنا ، لضمي إلى جماعة الاخوان كعضو منظم فيها » ..

وينتشر بسرعة هذا التقارب الذي بدا واضحا بين الصحفي الجريء وبين الاخوان المسلمين ... وبدأت التلميحات تطارده بأنه موشك أن « يلبس العمامة » ويحمل لقب « الشيخ احسان » وهو لقب يعني انحياز صاحبه إلى وجهة نظر واحدة وهو ما يرفضه الأستاذ احسان تماما حيث يؤمن بالثورية .. ولكن الثورية المطلقة من قيود التنظيم الحزبي ... لأن الانتماء الحزبي ، يحرم الفرد من حقه الطبيعي في الحرية الفكرية ، ويجعله مرغما على الخضوع لوجهة نظر واحدة دائما ... حتى لو جانبها الصواب ... وهذا ما يرفضه وسيظل يرفضه طيلة عمره » ..

ويتصرف أستاذنا دفاعاً عن تلك الثورة المطلقة سريعاً وبدكاً، حاد كعادته دائماً وينشر في مجلة روز اليوسف ولأول مرة في تاريخ الصحاحه العربية « برنامج الحزب الشيوعي » ويقع الناس في حيرة بالعه من امر هذا الكاتب ٠٠٠ هل كان مسلماً متعصباً حين نشر حديثه المشهور مع « حسن البنا » وإذا كان كذلك فهل يمكن أن ينقلب فجأة الى شيوعي متحمس الى درجة التهور الذي يدفعه الى نشر بيان وبرنامج الحزب الشيوعي ..

يجيب الأستاذ احسان عن ذلك قائلاً : « ٠٠٠ لست مسلماً متعصباً ٠٠٠ أنا مسلم فحسب ٠٠٠ ولست شيوعياً ولن أكونه يوماً ما ٠٠٠ . ولكنني ابن طبيعى لطبقتى المتوسطة . بكل مزايا وعيوب هذه الطبقة . وكل ما عملته آنذاك . كان تعبيراً أميناً عن رفض طبقتى لما كان يجري، على أرض الواقع المصرى » ..

٥ - احسان الشيوعى رقم ١ فى مصر

فى عام ١٩٤٥ تقدم الأستاذ احسان بطلب الى السفارة الأمريكية يطلب تأشيرة لدخول الولايات المتحدة ٠٠٠ مدركا أن الولايات المتحدة الأمريكية ٠٠٠ وقد قادت « الحلفاء » الى النصر الساحق على « دول المحور » ستلعب دورا شديدا الخطورة على المسرح السياسى العالمى ٠٠

وكرئيس تحرير لمجلة رأى ، فقد رأى من واجبه أن تكون أول رحلة خارجية له الى أمريكا نفسها ٠٠٠ ولكنه فوجيء بأن السفارة الأمريكية ترفض منحه تأشيرة الدخول المطلوبة ٠٠٠ باعتباره « الشيوعى رقم ١ » فى مصر !! ٠٠٠

ولكن ما هى حكاية هذا اللقب ؟
يقول أستاذنا :

ه الحكاية أنى كنت قد جمعت فى روز اليوسف أغلبية من الصحفيين والكتاب الشيوعيين ٠٠ لا لأنهم شيوعيون ٠٠ ولكن لأنهم ثوار ٠٠ وذلك بجانب كثير من الكتاب والصحفيين المنتمين الى اتجاهات أخرى ولكنهم كلهم ثوار ٠٠ كالشيخ حسن الباقورى وكان من الاخوان المسلمين ، والأستاذ عبد القادر حاتم من الضباط الأحرار ٠٠٠ و ٠٠٠ و ٠٠٠ ولكن وجود الأغلبية من الشيوعيين جعلت المخابرات الأمريكية تصنف روز اليوسف بأنها « مركز التجمع الشيوعى بالشرق الأوسط » وأنا أقود

هذا النجم ٠٠ وقد بقيت ممنوعا من دخول أمريكا الى ما بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو بعدة سنوات الى أن اكتشفت المخابرات الأمريكية أنني لست شيوعيا ولم أكن أبدا شيوعيا ٠٠ وفي عام ١٩٦٠ وجهت لي دعوة من الخارجية الأمريكية لزيارة أمريكا وتعمدت تأجيل موعد هذه الدعوة عاما كاملا كإني أقول لأمريكا أنني لست في حاجة إليها ٠٠ ثم سافرت واستقبلت هناك استقبالا في منتهى الكرم ٠٠

ثم يقول الأستاذ احسان :

« وأيضاً عندما سافرت في رحلة الى فلسطين عام ١٩٤٥ وهناك احسست بالخطر القادم ٠٠٠ ففي تل أبيب رأيت غرضاً عسكرياً مخيفاً زعم منظموه أنه عرض للكشفة رغم أن الأسلحة الأتوماتيكية التي قدمت في النرض لا يسمح بحملها لأي كشاف في العالم ٠٠٠ وفي مقر الوكالة اليهودية حيث أجريت -وإزا طويلا مع قادتها ، عرفت حقيقة ما يدبر لفلسطين ، وزادت الحقيقة المحزنة وضوحاً أمام عيني عندما رأيت وأنا حزبن على الجانب العربي أحد عشر حزبا متنافرا ، يحارب كل منها الآخر ويتهمه بأبشع الاتهامات ٠٠٠ وعدت لأكتب مقالاً المعروف « لقد ضاعت فلسطين » ولم تغفها لي «الوكالة اليهودية» ومن ورائها « وكالة المخابرات المركزية الأمريكية التي كانت تخطط مع قيادة الصهيونية العالمية لاغتصاب فلسطين » ٠٠

ويستطرد الأستاذ احسان قائلا :

« في هذه الزيارة لفلسطين تعرفت باثنين هما الأستاذ المرحوم سليم اللوزي والأستاذ ناصر النشاشيبي أو سعياً للتعرف بي ، ولم يكونا قد عرفا بعد ككتاب وصحفيين ٠٠ وقد جاء ورائي الى مصر حيث بدأ في اقامة مجدهما ككتاب ٠٠ وأصبح سليم اللوزي سكرتيراً لتحرير روز اليوسف ٠٠ وأنا أفخر دائماً بأنني كنت أول من اكتشف هذين الصديقين » ٠٠

٠٠٠ وهكذا انطلق الأستاذ احسان بكل قوة ٠٠٠ مندفعاً في حماسه الثوري الى أقصى مدى ٠٠٠ متحرراً من قيود التبعية الحزبية الى البحث عن الثوار المختلفين تحت السطح في كل مكان ، ولهذا نجده لا يقتصر اهتمامه على الاخوان المسلمين ولا الشيوعيين اذ ذلك ٠٠٠ بل يتجه باهتمامه أيضاً الى « الأجنحة النائرة » في الأحزاب الحاكمة نفسها ٠٠٠ أملا في الحصول على واجهة للثورة المقبلة الآتية بلا ريب والتي بدأت نذرها تلوح في الشوارع السياسي المصري ٠٠

... وهنا تتقابل خواطري مع خواطر الأستاذ احسان وكأنهما

على موعد ... فيقول لي :

« تحولت مجلة روز اليوسف الى بؤرة للمجتمع التورى تضم كل
الرافضين لأخطاء الحكم وفساده ... ولأنى قررت أنه يجب أن نحدث
الثورة فى البلد فجمعت فى روزاليوسف أكبر عدد من المحررين الشباب .
ضمته صحيفة أو مجلة مصرية فى ذلك الوقت . لم تكن تهمنى عقيدة أو
مذهب المحرر ... سواء كان من أعضاء الحزب الوطنى أو الاخوان
المسلمين ... أو الشيوعيين ... المهم أن يكون نائرا على القصر والأحزاب
والانجليز والأرستقراطية المتمصرة ... صحيح أن يأسى من « الإصلاح »
اندفع بى فى اتجاه الثورة باعتبارها طريق الخلاص الوحيد ، وأن هذا
الاندفاع أخذ فى حياتى كل المسالك ... كمساندة التجمعات الثورية
العنلية . كالأخوان المسلمين الذين كانوا يمثلون فى تلك المرحلة نوعا
من الرفض لما هو قائم ، والعناصر الجيدة الشابة فى الحزب الوطنى وفى
حزب الوفد ... ومصر الفتاة ... الى التجمعات السرية كالشيوعيين .
هذا الى جانب اندفاعى العنيف فى كتاباتى السياسية ، ذلك الاندفاع الذى
وصل بى الى حد كتابة مقال صريح أؤيد فيه مصرع أمين عثمان ...
الوزير الوفدى ... وألتمس العذر لقاتله حسين توفيق لانه أزاح من
طريق الشعب واحدا من الحوثة ، الذين باعوا ضميرهم للمستعمر ...
ولكننى وسط هذا الضجيج السياسى كنت أخلو كل ليلة بالمجلة مع
القصة ... أقرأها أو أكتبها على السواء ، وجاء نتائج هذه المرحلة من
أدب القصص ، تعبيرا فنيا عن نظراتهم لمجتمع ذلك العهد ، نكاح فساد
السياسى والاجتماعى ، وهو نوع من القصص يقترب من « اليبورتاج
السياسى » أكثر من اقترابه من القصة بشكلها الأدبى السليم ... كما
يتضح من مجموعتى « بائع الحب » و « صانع الحب » ..

فى الواقع أن الأستاذ احسان كان ينتقل الى كل مكان على أرض
مصر الحبيبة ... بمجرد توقعه سماع أية كلمة واحدة فيها سخط على
الملك ... أو ثورة على الاستعمار أو رفض للنظام الحزبى المتجمد والمرتبى
فى أحضان القصر تارة والاستعمار الانجليزى تارة أخرى ... ولذا فإنا
نجدته يتجه الى ندوة الأهرام المحافظة والتي كان يعقدها أنطون الجميل
فى الأهرام ..

يلقى الأستاذ احسان على هذه الندوة قائلا :

« التقيت في تلك الندوة التي صحبني اليها المرحوم كامل الشناوى بكل « الكبار » من أدباء مصر ومفكرها ، والمتحررين من رجال السياسة ، الذين استطاعوا أن يحفظوا لأنفسهم نظافة السمعة ٠٠٠ وهناك تعرفت بواحد من أصدقاء عمرى هو « حفى محمود باشا » وقد أعجبني فيه أنه رغم انتمائه لحزب من أبعد الأحزاب المصرية عن الجماهيرية ، وأقلها تعبيراً عن القاعدة الشعبية العريضة ، وهو « حزب الأحرار الدستوريين » إلا أنه كان واسع الأفق بشكل مذهل ، وكان حاضر البديهة ، قادراً على توجيه النقد ولو لحزبه بطريقة ساخرة ومرحة ترغم حتى من يسخر منهم على الضحك ٠٠ ولعل أبسط دليل على سعة أفق حفى محمود ، أنه لم يكن يتردد وهو من أقطاب الأحرار الدستوريين فى الذهاب معى الى ندوة المصرى ٠٠٠ عندما أسهر هناك ومعظم أعضائها البارزين من حزب الوفد ، الحضم التقليدى لحزب الأحرار ، ٠٠

وينجده الأستاذ احسان : أيضاً الى الندوة التى كان يعقدها الأستاذ أحمد أبو الفتوح فى جريدة المصرى ٠٠٠ تلك الندوة التى كانت أقرب الى الشعبية فى فكرها وروادها حيث التقى هناك كما يقول ولأول مرة بالمرحوم الدكتور محمد مندور وحيث يتعرف عن قرب على واحد من ألمع شباب الوفد - اذ ذاك - هو المرحوم الدكتور عزيز فهمى - ابن عبد السلام « باشا » فهمى ، قطب حزب الوفد - ويجده صاحبنا فى عزيز فهمى بذرة طيبة للجناح التقدمى فى حزب الوفد ذلك الجناح الذى انكمش ثم انكسر بعد وفاة عزيز فهمى المبكرة ، وبعد سيطرة جناح « العائلات الاقطاعية » الذى كان يقوده فؤاد سراج الدين . واستطاع به أن يحتوى الحزب الكبير ويحوله تدريجياً من حزب الأغلبية الشعبية الساحقة الى حزب هرم ، يعيش على ذكريات الأمجاد القديمة فى سنوات زعامة سعد زغلول ، والسنوات الأولى من رئاسة مصطفى النحاس !!

٠٠٠ وهكذا استمر كاتبنا فى بحثه عن الثوار فى كل مكان تحت السطح ، فيجد الحزب الوطنى يأخذ موقفاً وطنياً بعيداً عن معارك الحكم ومفاسده ٠٠٠ لأن قادة الحزب قد أخذوا منذ البداية بالمبدأ المعروف الذى كان ينادى بأنه لا مفاوضة مع المستعمر الا بعد جلاء جنوده فيرتبط به بعلاقة ود ومحبة فقط ٠٠٠ فهو لا يرفضه لأنه لا يشارك فى خطايا الحكم وأيضاً لا يقبل عليه لأنه حزب جامد غير متحرك الى حد البرود السياسى الذى يختفى وراء عبارته التقليدية « لا مفاوضة الا بعد الجلاء » ٠٠٠ ولا يثير فى نفسه اهتماماً كبيراً الا فى اللحظة التى تسلط

فيها الأضواء على فتحي رضوان كقيادة جديدة وشابة للحزب الوطني ٠٠
وأشس يومها بأن واجبه يحتم عليه أن يقف الى جوار فتحي رضوان ٠٠٠
أعلا في تحريك هذا الجبل الراسخ الذي يحمل اسما عزيزا على كل
مصرى هو « الحزب الوطني » ٠٠

ولكن ماذا عن حزب « مصر الفتاة » ٠٠٠ ألم يجد فيه كاتبنا أيضا
الكنز المخبوء الذي يختفى فيه جرهر الثورة الأهلية والذي يبحث عنه
في كل مكان ؟

يقول الأستاذ احسان :

« كانت « مصر الفتاة » بالنسبة لى أعلا فى يوم من الأيام ٠٠٠ وقد
اقتربت من زعيم الحزب - أحمد حسين - فى احدى فترات حياتى ،
عندما كان حزب مصر الفتاة ، يتخذ مقرا له قريبا من مقر مجلة
روز اليوسف وقد أدى الحوار بيننا الى نوع من التقارب الفكرى ولكننى
سرعان ما اكتشفت أن أحمد حسين - كزعيم لحزب مصر الفتاة يمثل
نسخة جديدة من الواقع السياسى المصرى القسائم اذ ذاك على استيراد
الأفكار ، وأن مبادئ « مصر الفتاة » ليست سوى الطبعة المصرية من
الحزب النازى فى ألمانيا الهتلرية ٠٠٠ وان كان أحمد حسين قد تخلى عن
الفكر النازى قبل الثورة ، واتجه الى المذهب الاشتراكى ، ووقف موقفا
عدائيا صريحا من القصر والأحزاب انتهى به الى التحول - فى شجاعة -
الى ضيف شبه دائم على السجن قبيل الثورة ٠٠

ولكن هل فشل كاتبنا فى الوصول الى الثوار الحقيقيين تحت
السطح على الرغم من ايمانه العميق بحتمية الثورة ؟

يقول الأستاذ احسان : « كنت أقف على حافة الهاوية حيث البأس
والهزيمة باديان بوضوح ٠٠٠ ودعيت لالقاء محاضرة بنادى حزب مصر
الاشتراكى ٠٠٠ ووسط صيحات الاعتراض من الشباب المتحمس ،
أعلنت وكلى حزن أننى لا أرى على المسرح السياسى العلنى شخصا واحدا ،
يحمل ملامح الزعيم الثورى المنشود ، وأننى أرفض أن أشرح واحدا
لهذه الزعامة ، لأن الزعامة لا تمنح ، ولكنها تتكون فى نفوس الجماهير من
مواقف متتابعة يقفها الزعيم فى صف الشعب فاذا به دون قصد منه

ولا من الجماهير ، في مقدمة الزحف النورى ٠٠٠ والزعيم الحقيقى عمير
الذى يظل على ايمانه بالشارع السياسى ولا يخذله ولا ينمزل عنه ٠٠
ويخرج الأستاذ احسان من تلك المحاضرة سعيدا فقد كان سيسى
الشباب نداء غامضا من جماهير الشارع السياسى تستحث به السوار
المختبئين تحت السطح للظهور اعلاه ٠٠

٦ - فى بيتنا رجل

تمر الأيام ٠٠٠ وكاتبنا مندفع بكل قوة بمقالاته الجريئة تارة وقصصه الأقرب الى الريبورتاج السياسى تارة أخرى مؤمنا بحتمية الثورة وتغيير النظام القاتم ٠٠٠ جاعلا من مجلة روز اليوسف منبرا للمجتمع الثورى ..

يقول الأستاذ احسان :

« ذات يوم اتصل بى تليفونيا فى ساعة متأخرة من الليل » سعد كامل « وكان اذ ذلك من شباب الحزب الوطنى المتحمس ٠٠٠ وكان حديثه سريعا . ولكنه واضح وحاسم ٠٠٠ ورغم أن عباراته تفجرت فى ذهنى كالقنبلة . فلم أضيع وقتا وأسرعت للقاءه » ..

فقد هرب حسين توفيق ، قاتل أمين عثمان ٠٠٠ واستدعى سعد كامل الأستاذ احسان للتشاور معه فى كيفية اتخاذ التدابير اللازمة لاختفاء القاتل الهارب ٠٠٠ ذلك القاتل الذى تعلن اذاعة القاهرة كل نصف ساعة . عن مكافأة قدرها خمسة آلاف جنيه لمن يرشد عنه مع التهديد باعتثار من يآويه شريكا له فى جريمة عقوبتها الاعدام ..

ويتذكر الأستاذ احسان هذا الحادث النادر فى حياته فيقول :

« كانت شوارع القاهرة قد بدأت تخلو - مع الليل - من المارة

وكننت أقود سيارتى بسرعة جنونية . ربما لأخفف بسرعتها من حدة الانفعال الذى كان يثور فى داخلى وأعطى نفسى فرصة - بعدها - للتفكير الهادىء فى المغامرة المجنونة التى أنا مقدم عليها . . .

لقد وجد الثائر احسان عبد القدوس نفسه فى موقف صعب وأمام اختيار أصعب فاما أن يتحمل مسئولية اخفاء قاتل هارب تسعى السلطة الحاكمة بكل غضبها وراءه لكى بثبت عمليا لكل الثوريين الشرفاء أنه واحد منهم ، وأنه قادر - عند اللزوم - على مواجهة السلطة وتخديها بشكل سافر ، واما أن يتراجع خوفا من العواقب المؤلمة التى تنتظره اذا افتضح أمره فيكسب بذلك أمنه الشخصى ، ويفقد بعد ذلك وضعه فى صفوف الثوار فيتحول لمجرد تاجر ، يضارب - بالكلام المنمق والشعارات المزيفة - فى سوق الثورة . . . كان اختيارا صعبا ، وامتحانا رهيبا . . . فكيف كان الاختيار وكيف اجتاز الامتحان ؟ يقول أستاذنا :

« لم تستغرق المناقشة مع سعد كامل أكثر من دقائق قليلة تم بعدها الاتفاق على كل شىء - رغم أنه كان يعارضنى منذ البداية ، لأن خطتى بدت له لأول وهلة شيئا جنونيا أو انتحارا مؤكدا . . . !! ولكنه اضطر الى الخضوع لرأىى . . .

وتعلو صيحات الأستاذ احسان وهو يحكى خطة الثوار التى وضعها معهم . . . يقول : « . . . وأنا واثق أن البكباشى الجزار مساعد غول البوليس السياسى ورئيسه « امام » سيشدان شعر رأسيهما من الغيظ عندما يعلمان الآن - وبعد مضى أكثر من ربع القرن - أن حسين توفيق الهارب الذى كان الراديو يذيع أوصافه كل نصف ساعة ركب سيارتى وجلس الى جوارى علنا ، حتى وصلنا الى بيتى . . . وكننت أسكن بشارع قصر العينى . . . واستيقظت زوجتى من نومها لتجد معى « ضيفا » . . . !! ولم يستغرق الأمر بينى وبين شريكة كفايحى وعمرى أكثر من نظرة سريعة ونهم كل منا ما بقلب صاحبه . . . ومدت زوجتى يدها لتسلم على القاتل الهارب وتقول له ببساطة . . . أهلا يا حسين . . . أرجوك تعتبر نفسك فى بيتك . . . !!

وتعلو ضحكة الأستاذ احسان وهو يتابع قصته قائلا : « ونم يعتبر حسين نفسه فى بيته فحسب ، بل وجد نفسه شريكا لى فى أقدمس مكان

بالنسبة لكل زوج ٠٠٠ لقد تحول الى شريك لي - برضاى الكامل - فى حجرة نومى ٠٠ !! ٠٠ كانت حجرة النوم هى المكان الوحيد الذى يمكن ابعاد الحادى والطباخ عنه ، ومنعهما من دخولها بعذر مقبول لا يثير شكوك أى منهما ، والويل لنا لو ثارت الشكوك فى نفس أحدهما ٠٠٠ فقد كانت المكافأة التى رصدتها الدولة للإرشاد عن حسين توفيق مغرية ٠٠٠ خمسة آلاف جنيهه بالكمال والتمام ٠٠ !! ولهذا اتفقت أنا وزوجتى من البداية على أن يقيم حسين بحجرة نومنا ٠٠ !! ٠٠ على أن تتكفل هى - بكل قدرتها على التحايل ، بأبعاد « العيون » عن الحجرة بالنهار فإذا عدت الى المنزل ليلا ٠٠٠ اضطرت الى مشاركة القاتل الهارب فى السرير الذى ضمنى مع حبنى طوال عمرنا المشترك منذ تزوجنا حتى اليوم ٠٠٠ باستثناء الأيام التى عاشها حسين توفيق فى بيتى » ٠٠

٠٠٠ وهكذا يندفع الأستاذ احسان بكل ثورته الى المدى الذى لا يتصوره عقل ولا منطق ٠٠٠ احسان « المحب الغيور » المعروف بالحرص الشديد الى حد التزامت والاصرار على الابتعاد بينه عن دائرة الضوء الاجتماعى التى يعيش نفسه فيها ٠٠٠ يسمح بوجود رجل غريب فى بيته مع زوجته ٠٠٠ وفى أى مكان ٠٠٠ فى غرفة نومه مع زوجته طواعية واختيارا ٠٠٠ ولكن ما هو شعور رئيس مجلس ادارة-حياة أستاذنا فى ذلك الموقف الوطنى الفريد ؟

يقول الأستاذ احسان :

« كانت زوجتى شجاعة فى تلك التجربة الفريية ، وكان أعظم ما فى شجاعته هو بساطتها سواء فى معاملة حسين توفيق بعطف خفف عليه وقع المأساة التى كان يعيشها ، أو فى تقبلها لكل التضحيات التى فرضت عليها طوال شهرين ، واستعدادها الأكيد لكل التضحيات التى كان من الممكن أن تفرض عليها لو افتضح أمرنا ٠٠

« لقد تحولت الى نائرة صغيرة تتفنن فى ابتكار الحيل لكتمان السر القابع فى حجرة النوم ٠٠ !!

وعندما أخلو إليها كانت تحدثنى بحماس رائع عن « مغامراتها » الهائلة فى تضليل الطباخ والحادى لو حاول أحدهما الاقتراب من حجرة النوم ٠٠٠ حتى كانت تتحول أمامى الى بطلة أسطورية تقاثل بشجاعة لحبابة ظهر أميرها الجميل فى حربه المقدسة ضد أعداء خرافيين فى قصة خرافية » ٠٠

... ولكن الم يشك البوليس السياسى بدور الأستاذ احسان
الوطنى فى اخفاء حسين توفيق؟

يقول الأستاذ احسان :

« لم يكن البوليس السياسى غافلا عما يجرى .. !! كانوا واتقين
تماما أنني ضالع فى العمليه ، وذن الى اى مدى ... هذا ما لانوا بى
حيرة منه ... لقد كانوا يعلمون جيدا صنتى بالتجمع التورى المحضى
وراء هروب حسين توفيق ، ولهذا قرروا مطاردتى بلا رحمه . املا فى ان
أقودهم الى خيط يوصلهم للهارب المختفى... وكان على امعانا فى تضليلهم
أن أمارس حياتى المعتادة بلا ادنى تغيير يثير شكوكهم ... وكنت أحس
فى كل مكان أذهب اليه بعيون البوليس السياسى ترقبى ، فاذا تعبوا
من المطاردة. أقبل على كبيرهم الأميرالاي امام فى استعطاف حقيقى يدعو
للسخرية ... أرجوك كفاية اذلال لنا ... وأضحك بسنداجة أستعمل
فيها كل ميراثى من موهبة التمثيل !! ثم أسأله ماذا يقصد ...؟! فيقسم
لى بكل آباءه وأجداده وكل شياطين العالم ، أنه واثق تماما أنني أعرف
مكان حسين توفيق ، وأنه على استعداد لأن يفعل أى شىء لو أرخته وأرحت
نفسى من عذاب هذه اللعبة المهنمية التى ألعبا معه ... وساعتها كنت
أحس بسعادة غامرة تجتاح كيانى كله ، وتتحول من مجرد احساس نفسى
بالرضا الى ما يشبه المتعة الحسية بالشماتة من هذا الغول الذى طالما
أرعب الثوار ، وأنا أراه أمامى عاجزا ... حائرا ... ذليلا ... وقد
تجرع كأس الفشل الذى طالما سقاها لمئات الثوار الذين أوقع بهم ...!! » .
وينطلق البوليس السياسى فى كل مكان وراء أعوان حسين توفيق
ومحرضيه ... ويمتلئ سجن الأجانب بالكثير من شباب مصر الثائرا
ارضاء للسفارة البريطانية التى أثارها غضب مقتل واحد من أخلص
عمالها فى مصر فى ٥ يناير ١٩٤٦ ..

ويستمر حسين توفيق مختفيا فى حجرة نوم احسان عبد القدوس
أربعة أيام الى أن تجبى اللحظة التى كان يخشاها هو وزوجته حين
تقع عين الحادم « على رجل عربى فى حجرة نومه ! فيسرع الأستاذ
احسان ويبلغ الخبر الى شركانه الثوار فيقررون بعد مناقشات بينهم اعفاء
« احسان » من تلك المهمة الوطنية التى كان يقوم بها هو وزوجته على
أكمل وجه ونقل حسين توفيق فورا الى منزل آخر بالجيزة ... فيخرج
بالفعل مرتديا ثياب ضابط من شرطة منزل أستاذنا بالقصر العينى الى
منزل آخر بالجيزة ... ومنها يتم ترحيله الى سوريا ...

مما لا شك فيه أن الفأريء يجب بتلك الشخصية الثورية الهائلة التي يتمتع بها كاتبنا ٠٠ ولكنه يتساءل من أين أتى بها ؟ وكيف ثبتت وتكونت فيه ؟ ومن هو صاحب الدور الأكبر والفضل الأعظم في تكوينها ؟

أشياء كثيرة تعارنت على تكرين الشائر في نفسه ولكن أستاذنا الكبير احسان يخص ثلاثة عوامل ٠٠ أولها ٠٠ قصة صحيفة « روز اليوسف » اليومية - في الثلاثينات - والصراع الرهيب الذي خاضته الأستاذة فاطمة اليوسف ضد الدكتاتورية الفردية الزاحفة أيامها على قيادة حزب الوفد، ذلك الصراع الذي انتهى بخروج - فاطمة اليوسف - على الوفد . وما تبعه من محنة توقف جريدتها اليومية ٠٠٠ والعامل الثاني ٠٠٠ بداية اللقاء بينه وبين خلایا اليساريين الشبان وما تبعه من محاربة أحمد حسنين ، رئيس الديوان - من تحويله الى جاسوس المقصر عندما كان طالبا بكلية الحقوق حيث كانت الجامعة كلها تغلق بالاسخط على الانجليز ٠٠٠ وفوجئت فاطمة اليوسف ذات يوم بأحمد حسنين « باشا » يتصن بها لبرجوها الموافقة على ذهاب ابنها لمقابلته !!

يلق الأستاذ احسان عن هذه الفترة قائلا :

« قررت أن اواجه التجربة بنفسى فذهبت اليه واستقبلني بفيلته بالدقى . وأدار الحديث معي ببراعة لا تقل عن براعته في لعبة السيف التي كان أحد أبطالها ٠٠٠ وخرجت من الحديث الطويل المتع ٠٠ !! بشئ واحد ٠٠٠ أن أحمد حسنين يريد - كرئيس للديوان - أن يجعل «نى عينا ملكية على الجامعة !! - وهذا اذا افترضت نزاهته - اذا كانت محاولة افساد شباب تدخل في باب النزاهة - واحتمال آخر داخلني وقتها ٠٠٠ وهو أن رئيس الديوان الطموح مقبل على لغة كبيرة ، يسعى من ورائها الى تكوين حزب جديد ينافس به الأحزاب القائمة ، وينوى الانطلاق بنواة حزبه من الجامعة ، حيث الشباب المثقف ٠٠

ولكن صاحبنا هذا يكره الأحزاب ويرفض الانتماء لأحد منها لأنه يعرف مقدما ما يبتغونه من وراء تكوينها ٠٠٠ فقد رأى بعينه ما يصنعونه بأه ومجلتها عقابا لها على حفاظها العنيد على مبادئها ٠٠٠ وتحولت الكراهية الى رفض واع للنظام الذي تمثل الأحزاب الى جانب القصر والانجليز وطبقة المتصممين - دعاماته الأساسية ، وذلك بعد دراسته « العلمية » لأحدث النظم السياسية - سواء عن طريق دراسته الجامعية أو قراءاته الحرة ٠٠٠ وعندما رفعت الأحزاب النقاب عن نواياها وبدا

واضحاً وسائل الاغراء المخلفة التي تطوقها حوله لاكتسابه بين صفوفها تحول الرفض عنده ، الى تصميم على هدم النظام بأكمله » . . .

يعلق الأستاذ احسان عن ذلك قائلاً :

« . . . كنت أرفضهم كسياسيين ، ولكنني لم أقطع صلتى بهم كبشر ربما بدافع أصول المهنة – كي لا أفقدهم كمصادر أخيار جيد . وربما بدافع الامل في تحولهم ذات يوم عن طريق العفن الذي أوغلت فيه كل الأحزاب بلا استثناء . . . وتكررت محاولات احتوائى ، وكنت أرفضها بأدب لا يجرح صاحب المحاولة ولا يؤلمنى شخصياً لأننى أتوقع منه هذا وأكثر . . . »

« . . . محاولة واحدة أفزعتنى ، وآلمتنى أشد الألم ، لأن صاحبها – أحمد ماهر « باشا » – كان من ذوى الفكر السياسى الواضح ، الذى يعنى جيداً فساد ما حوله ، ولكنه يتحرك مع التيار – ربما بدافع القصور الذاتى – أو بدافع الامل فى الوصول الى الاصلاح ذات يوم . . . ! . . . وكنت لهذا أحبه واحترم فيه نصوع فكره السياسى . . . ولكن فجأة صدمت فيه وندمت على احترامى له . . . فقد تحول الى تاجر يحاول شرائى أو ربطى بعجلته – حين عرض على أن أكون سكرتيره « البرلمانى » أثناء توليه رئاسة مجلس النواب » . . .

« أما العامل الثالث الذى ساعد على تكوين شخصية احسان الثورية فيتمثل فى الخطاب الشخصى « الحظير » الذى أرسلته السيدة فاطمة اليوسف فى الحفاء للأستاذ فكرى أباطة فى ٣ يونية عام ١٩٤٤ ترسم فيه صورة دقيقة الملامح لواقع الحياة السياسية المصرية ، وتحذر من الكارثة التى توشك أن تهب رياحها ، فتدمر كل شىء . . . ثم الرد الذى بعث به فكرى أباطة اليها قائلاً لها :

فى الخطاب الذى نشرته « روز اليوسف » بعددها الصادر فى ٢٧ أكتوبر عام ١٩٥٨ . . . (ولقد فكرت طويلاً فيما أثرت وأبرزت من تكوين حزب جديد ، وأخذت أستعرض الأسماء فوقعت فى حيرة مهلكة . . . ! . . . وأنا لست من دعاة اليأس يا سيدتى ، ولكننى ألمح مثلك الكارثة تفد علينا عن قرب وبفدر اقترابها وسرعتها بقدر ما يجب أن نعد عدة الكفاح والمقاومة) . . .

« وهما الخطابان اللذان بقيا سرا مكتوما بينهما ، حتى قامت الثورة ، ولو عرف أحد بأمرهما لثارث ضد روز اليوسف وفكرى أباطة عاصفة رهيبية لا يعرف أحد مداها المدمر » ..

وعن روز اليوسف المعلم والرائد الأول يقول ابنها وتلميذها احسان عبد القدوس :

« كنت متفقا مع أمى على رفض الواقع السياسى والاجتماعى لمصر ، ولكننا اختلفنا فى الوسيلة ، وأدى الخلاف فى المنهج بيننا الى خروجى من مجلة روز اليوسف .. واشتغالى مع التابعى سكرتيرا لآخر ساعة .. ومضى كل منا يعمل بالطريقة التى تصورها معبرة عن رفضه .. لقد اختارت أمى ربما بحكم السن والجيل الذى تنتمى اليه - المنهج الاصلاحى ، فى تبيرها عن رفض الواقع السياسى القائم .. وبدات خطتها بسلسلة من الخطابات الشخصية التى بعثت بها سرا ، الى كل من رأى فيهم بارقة أمل ، أو بقية من قدرة على اصلاح ما أفسدته الحزبية والقصر والانجليز ..

وكان أول خطابات أمى الى على ماهر وكان رئيسا للوزراء وبعثت به بتاريخ ٥ أكتوبر عام ١٩٣٩ ، لتقول رأيا بصراحة فى الأحزاب القائمة (الحزبية قائمة ومرضها وبيل ، وشهوة الأحزاب للحكم لم تضعف ، والحزبية فى مصر جمهور مرح صاحب يجرى اثر فرقة موسيقية تعزف ... والعازفون لا يتوقفون عن العزف لأنه سبيلهم الى أكل العيش ... والجمهور فى موقفه بين الأحزاب الثلاثة - الوفد والسعديين والدستوريين - حائر ، ملول ، متشكك يتوق الى الراحة والاستقرار والى أنغام جديدة) ..

ويجىء الرد من على ماهر ردا غير مباشر يتولاه د. محمود عزمى مدير رقابة النشر الذى كان ذات يوم رئيسا لتحرير روز اليوسف اليومية ، والرد عبارة عن انذار لروز اليوسف بالامتناع عن الاساءة الى علاقة الود بين مصر وبريطانيا ، ..

وتصدم روز اليوسف ولكنها لا تياس بل تعاود الكرة من جديد فتبعث بخطاب آخر لفكرى أباطة فى ٣ يونية ١٩٤٤ كما سبق أن ذكرت ..

... وهكذا فشلت خطة الام في محاولة الخروج بالواقع المصرى
اد ذاك من ظلام الفساد المسيطر عليه الى طريق النور المشرق .. واذا
كان المرحوم فكرى اباطة وهو آخر أمل للام .. يرى الصوبة بهذا
السواد . فلا مفر اذن من الرجوع عن اعناد بعد أن اتضح أن خطاها قد
انتيت الى طريق مسدود فتعطي ابنها الفرصة الكاملة للسير فى طريقه ...
ويعود احسان سكرتيرا نم رئيسا لتحرير روز اليوسف وهو مشبع
بطاقت ثورية هائلة من رفض قاطع لخطايا الحكم باحثا عن الثوار فى
كل مكان تحت السطح !

وأصبحت مجلة روز اليوسف منبرا لكل الكتاب الاحرار ...
الثوريين ... وبؤرة للمجتمع الثورى فى مصر ... مفجرا على الراى
العام بأخطر المقالات السياسية الكفيلة باشعال البارود فى وجه النظام
القائم الفاسد بمحاوره الثلاثة : الانجليز ... القصر ... الأحزاب المتعفنة ...
المتجمدة المرتمية فى أحضانها ..

٧ - احسان ٠٠ والأسلحة الفاسدة !

قضية الأسلحة الفاسدة واحدة من أهم الضربات القاضية للصحفي
الناثر الجريء احسان عبد القدوس في وجه النظام القائم بأكمله وكان لها
أكبر الأثر في استكمال شخصيته كصحفي وكاتب ومفكر سياسي كما
كان لها انعكاسات على تاريخ الأمة كلها فقد كانت من أقوى العوامل التي
وجهت الرأي العام وخصوصا داخل قوات الجيش وحرصته على الثورة ٠٠

قال لي الأستاذ احسان :

« أن الذي دفعني الى تحمل مسئولية نشر تفاصيل هذه القضية لم
يكن هوايتي الصحفية بل كان السبب الرئيسي اني كنت قد وصلت
بشبابي وفكري السياسي الى مرحلة الثورية الكاملة على كل الأوضاع
السياسية والاجتماعية القائمة في مصر ووجدت في تفاصيل القضية
ما يبرر التحريض على الثورة وفرضها على نظام الحكم حتى اني في الجلسة
الأخيرة التي نظرت فيها القضية أتهم الحاكم وكانت قد عقدت بعد الثورة
قلت أمام المحكمة : اني أثرت هذه القضية حتى أصل الى الثورة وقد قامت
الثورة وأعتبر أن القضية قد انتهت بقيام الثورة لذلك فاني أعتذر للقضاء
عن إعادة سرد التفاصيل التي سبق أن أدليت بها أمام النيابة ٠٠ وفعلا
أعفتني المحكمة ولم أهتم بعد ذلك بتتبع الأحكام التي صدرت بل اني لم
أهتم حتى بالتحقيق في حوادث الاغتتيال التي تعرضت لها خلال اثارة
القضية » ٠٠

وقصة الأسلحة الفاسدة بدأت تطفو على السطح فى يوليو عام ١٩٤٦ حينما كان الأستاذ احسان فى ايطاليا سمع أقاويل عن صفقات الأسلحة التى عقدها مندوبو الجيش المصرى ووكلاؤه ٠٠ وتكاثرت هذه الاقاويل حتى أصبحت تدور على كل لسان وفى كل مكان بين المصريين وغير المصريين على السواء مما سبب لكاتبنا ازعاجا شديدا ٠٠٠ فكلما جلس بمقهى أو طاف بميدان وعرف أنه مصرى سمع قصة صفقة من صفقات الأسلحة والذخائر ، ٠٠

ويصدر العدد رقم (١١٠١) من مجلة روز اليوسف فى يوم ٢٠ يوليو ١٩٤٩ حيث يصدم القارى المصرى بالبرقية التالية التى نشرت داخل اطار أسود تحت عنوان « محاكمة مجرمى حرب فلسطين » ٠٠

روما - من احسان عبد القدوس :

فى خلال حرب فلسطين تمت عدة صفقات ضخمة فى ايطاليا وفرنسا ، كان الطرف الثانى فيها بعض رجال العرب الذين ادعوا أنهم يمثلون الحكومات العربية ٠٠٠ وعندما تصل الى ميناء فى ايطاليا ٠٠٠ تستطيع أن تشم رائحة هذه الصفقات التى أثرى منها عدة أشخاص ٠٠ وقتل بسببها آلاف من المصريين والعرب ٠٠٠ ثم راحت فلسطين ! ٠٠ ولا أستطيع أن أتكلم اليوم بصراحة ٠٠ ولكن ٠٠ من العجز أن تمر هذه الصفقات الحائنة دون تحقيق دقيق ودون محاكمة ، ودون اعدام عشرة أو عشرين ٠٠ ! ودون مصادرة الملايين التى أثروا بها ٠٠

أنى أطالب بتأليف محكمة لمجرمى حرب فلسطين ٠٠٠ محكمة تتألف فى مصر ٠٠٠ ويتولاها قضاة مصريون ٠٠٠ على أن تمنح مصر نفسها حق محاكمة الخونة من أبناء الدول العربية الأخرى الذين أضروا بمصالحها ٠٠ ! ٠٠

بعد قراءة هذا المقال ٠٠٠ توقعت أن تقوم القيامة وأن تسعى الحكومة والأحزاب القائمة لو توافر لديها أى قدر من الوطنية الى التحقيق فيما نشر وادانة المسئولين الخونة عن تلك القضية التى راح بسببها الآلاف من الشهداء المصريين وضياع فلسطين العزيزة علينا جميعا ٠٠

ولكن الأستاذ احسان يقول :

« لم يهتم بى أحد ٠٠ !! ٠٠ ولم يصدر بلاغ بتكذيب ما لمحت اليه فى مقالى الى أن انتهى الأستاذ محمود محمود محمود - رئيس ديوان.

المحاسبة في ذلك الوقت من تقريره السنوي عن الحساب الختامي للحلومه وأشار فيه الى بعض صفقات الاسلحة والذخيرة اشارة صريحة مدعمة بالوثائق ٠٠٠ واعتقدت أن دور الصحافه قد انتهى بصدور هذا التقرير الرسمي الذي يشير الى وجود فضائح في هذه الصفقات ٠٠٠ وتصورت أن الحق قد بدأ ينتصر ٠٠ !! ٠٠ ولكنني اكتشفت أنني قد أخطأت التقدير ، فقد فشل تقرير رئيس ديوان المحاسبة كما فشلت كتابتي قبل ذلك في تحريك القضية ٠٠٠ بل أن الحكومة أصرت حين تقدم رئيس الديوان للمطبعة الأميرية لطبع التقرير على ضرورة حذف العبارات التي تشير الى وجود تلاعب في صفقات الأسلحة وأصر عندئذ محمود محمد محمود على نشر التقرير كاملا ولكن لم تستجب الحكومة لطلبه فانتهى الأمر باستقالته من منصبه ٠٠ ولم أؤيد يومها استقالته وكتبت أقول أنه لو اكتفى كل موظف نزيه كريم بالاستقالة ، كلما هدد في نزاهته وكرامته ، لما بقي لمصر من موظفيها الا كل من ليس نزيها ولا كريما واشدته أن يقاوم وأن يحتمى في ضمانات منصبه حتى يظهر الحق . ناشدته أن يصدر بيانا صريحا بأسباب استقالته ولكنه لم يصدر هذا البيان واكتفى فيما بعد بأن ينشر أنه لم يستقل لأسباب شخصية كما قال فؤاد سراج الدين في مجلس الشيوخ ، ٠٠

٠٠٠ وهكذا فشل احسان عبد القدوس في جولته الأولى في تحريك قضية الأسلحة الفاسدة بعد أن شم رائحتها الكريهة عن قرب . ابان وجوده في ايطاليا ٠٠

ولكن هل انسحب من المباراة ٠٠٠ ويطلق الحكم صفارته معلنا فوز الحونة على الشرفاء ١١٩

أم أنه دخل الجولة الثانية بشجاعته المعتادة دائما وبعد أن استراح قليلا بتكتيك وتخطيط آخر لكي يعرض هزيمته الأولى ١٩

يقول أستاذنا : « كان السكوت مستحيلا ٠٠٠ انها فرصة العمر لتعمرية النظام كله وفضحه لتزول البقية الباقية من هيئته الزائفة ٠٠٠ وتقدم مصطفى مرعى ليحمل العبء ٠٠٠ وقد حمّله في قوة وفي جراه ٠٠٠ لم يكن يقدم عليها الا انسان « كمصطفى مرعى ، ٠٠٠ وعندما تأكدت من أن مصطفى مرعى قرر أن يتقدم باستجوابه التاريخي في مجلس الشيوخ عن صفقات الأسلحة الفاسدة ٠٠٠ أزدت اراء لدمتي أن آشرف له جوانب الخطر الذي يهدد وضعه السياسي كعضو بمجلس الشيوخ ٠٠٠ بل يهدد حياته كإنسان ٠٠٠ ولكنه أسكتني يومها بقوله ٠٠٠ ليس

عنه، يا احسان ما أخشى عليه ... ولكنك يا صديقي لا تستطيع ان تصور مدى ما يستطيع هؤلاء الناس أن يرتكبوه من فظائع في حق خصومهم ومدى ما يلزمنا من قوة النفس كي نتحمل ونقاوم ونتقدم ... ورغم هذا لن أستسلم لهم ، ولن أراجع ... وسأتقدم لأداء واجبي .. وأثبت المستجوب أن هؤلاء الضباط والجنود لم تهزمهم جرأة العدو وحنكته انما هزمتهم جرأة موردي السلاح والذخيرة .. وأخرج من تقرير رئيس ديوان المحاسبة السابق مستندات دامغة تثبت التلاعب الخطر الذي حدث في شراء هذه الصفقات وثبت أنها كانت تتم على علم من رجال وزارة الدفاع بما فيها من تلاعب ..

وكما انتهى تقرير رئيس ديوان المحاسبة - بخروجه من منصبه مستقيلا - انتهى استجواب مصطفى مرعي في مجلس الشيوخ بطرده من عضوية المجلس هو وكل من أيده من الأعضاء ... بل ان الأمر انتهى بعزل رئيس مجلس الشيوخ نفسه الذي سمح بمناقشة الاستجواب!!

ويخسر احسان عبد القدوس الجولة الثانية بعد أن لاح له في الأفق عجز السلطة التشريعية عن تحريك القضية !!

ولكن الأستاذ احسان كعادته دائما لم يصبه اليأس بل اتجه بكل قوة وعزيمة الى الجولة الثالثة مصمما على الانتصار على الحونة مهما كان الثمن ..

يقول الأستاذ احسان : « لم يكن باقيا سوى سلطة واحدة هي كل ما بقي لمصر من أمل ... السلطة القضائية ... ولكن كيف يثار الموضوع أمام القضاء ؟! »

لم يكن هناك الا طريق واحد ، هو أن أقدم نفسي للقضاء متهما في قضية نشر خاصة بهذا الموضوع ..

... وهنا يقع الصحفي الثائر احسان عبد القدوس في حيرة بالغة ... ماذا يكتب ؟ ... ولم يكن يملك حينئذ مستندا واحدا يستطيع أن يتقدم به الى القضاء كدليل على حسن نواياه حين يكتب ؟ فقد بدأ الحملة كمجرد رأى يبيده وموقف يعلنه ، ولا بد أن يكتب عن صفقات غير التي أوردها ديوان المحاسبة في تقريره وأثارها مصطفى مرعي في مجلس الشيوخ حتى لا يرد عليه بأن ما يكتبه سبق وأن أثير واتخذ قرار بشأنه وبذلك يحرم من تقديمه للقضاء .. ويفكر بذلك الحاد كعادته دائما ... كيف يستطيع الخروج من هذا المأزق المخرج ؟!

وبتفكيره الهادئ، يصل الى الطريق الاصبوب ... فالقضية بمنزلة
خيانة ارتكبتها الحونة في حق الجيش المصرى ... فانه مما لا شك فيه ان
اول الغاضبين وأشدهم سخطا انما هم ضباط الجيش الشرفاء الساحطين
على خطايا النظام القائم ... فيتجه اليهم احسان على الفور أملا في
الحصول على الأدلة الحاسمة التى تقنع النيابة والقضاء ... تلك الأدلة
التي تتمثل غالبا في عقود صفقات ومستندات أخفاها الحونة في خزائن
وزارة الحربية وقيادات الأسلحة المختلفة ويعقد معهم اجتماعا عاجلا في
بيت أحدهم « حافظ صدقى » ..

... قال لى الأسناذ احسان : « لا أستطيع أن أنسى قوة الروح
الوطنية التى كانت مهيمنة على أغلبية الضباط الشبان فى الجيش أيامها
والتي كانت تدفعهم الى أن يقوموا بسرقة مستندات ووثائق من مكاتب
القيادة العليا نفسها ليسلموها لى ولا أستطيع أن أنسى يوم قدمت للنيابة
للتحقيق معى فتطوع الكثيرون للشهادة فى صالحى واذا بهم أمام النائب
العام يوجهون الاتهام صراحة « للملك فاروق » ولكن النائب العام عندما
كان لا يزال متحمسا للقضية كان يرفض تسجيل أقوالهم فى أوراق
التحقيق حتى يرحمهم من القبض عليهم والزج بهم فى مستشفى المجاذيب
كما كان متبعا مع كل من يعيب فى الذات الملكية .. ولم تكن انطلاقا
الروح الثورية بين صفوف الجيش سوى انعكاس للروح الثورية التى
تعيشها مصر كلها وفى حماية هذه الروح كنت أعيش لأن السلطات
المستولية تخشى القبض على أو اغتيال حتى لا تثير الثورة وهذه الروح
أيضا كان يعيشها وكلاء النيابة المحققين .. كانوا يرفضون أن يسروا
فى تحقيقاتهم فى اتجاه خدمة السلطة بل رفض أحدهم القبض على عندما
صدر له أمر بذلك والنائب العام نفسه محمود عزمى بدأ التحقيق معى
وهو منطلق بكل الروح الوطنية الى أن تعرض للضغط واستقال بعد أن
رفض أن يسير بالتحقيق فى صالح أصدقاء الملك وهذه أعنوبة لم
يشهدها القضاء المصرى من قبل ! فالجميع قد أحسوا أنهم يجب أن يرتفعوا
فوق الأشخاص ، وفوق الأغراض لأن القضية التى سأعرض لها قضية
الجيش الذى تتعلق بأطراف أسلحته وسواعد رجاله كرامة مصر ...
وكنت أعمل مع شبان فاضلت بهم حماسهم ، وامتلات صدورهم غيرة على
حبشهم ، وتحرروا من كل مطمح الا تأمين مستقبل مصر ، والى هؤلاء
الشبان يرجع الفضل فى كل شئ ... ان كان هناك فضل لأبناء على
أهمهم الكبرى .. !! وكنا نجتمع بطريقة خاصة ، ويتصل أحدنا بالآخر

بطريقة خاصة ، أشبه بما كنا نقرأه ونحن صغار في الفصص البوليسية » .

« وبدأت الحيرط تتجمع لدى ٠٠٠ بعضها بطريق البحث والتحرى الشخصى ، وبعضها بمعاونة الأصدقاء المتحمسين ٠٠٠ وبعضها بطريق الصدفة البحتة ٠٠٠ حين زارنى صديق - عقب مكالمة تليفونية مثيرة ليقدّم لى ورقة كتبت عليها نصوص عقد كنت أبحث عنه بخصوص صفقة أسلحة مع شركة «أوليكون» التى يمثلها فى مصر النبيل عباس حلیم ابن عم الملك ٠٠ وكانت الورقة بالقلم الرصاص ، وبخط انسان لا أعرفه ٠٠٠ وعندما عرفته أقسمت ألا أبوح باسمه ٠٠٠ وكان الخبر مثيرا حتى لى شخصيا ٠٠٠ فقد وجدت نفسى ممسكا بأول الحيط الموصل الى مليونير أخرج ٠٠٠ يسير على ساق دق بهسا مسمار من البلاطين طوله ستة سنتيمترات ٠٠ !! ويعرفه رجال الأعمال فى العاصمة الايطالية باسم السنيور رودى ٠٠٠ رغم انه مليونير مصرى ٠٠ !! وعلى نفس الطرف الآخر من الحيط الذى أمسكت ببدايته كانت تختفى آخر من كنت أتوقع لقاءها فى القضية ٠٠٠ زوجة ضابط حسناء ٠٠٠ تتاجر فى السلاح ٠٠٠ !! وبنحور العقد بينهما فى ١٤ يناير سنة ١٩٤٨ - أى فى أشد أيام حاجة الجيش الى السلاح ٠٠٠ وكان الخبر مثيرا فان العادة لم تجر بأن تتاجر زوجات الضابط بالسلاح بل لو تاجرت أى امرأة بالسلاح لكان الخبر مثيرا حتى لو لم تكن زوجة أحد الضباط » .

ولكن صادف الأستاذ احسان مفاجأة أكثر غرابة فى جمع المعلومات الصحفية فقد اتصل به شخص يعتبر قارئاً أكثر منه صديق وقدّم له وثائق جديدة لصفقات أخرى من صفقات السلاح ٠٠ كانت وثائق دامغة نشرها احسان ٠٠ وعندما بدأ التحقيق معه استدعى هذا الصديق وحقق معه وانتهى التحقيق معه بأن أصدرت النيابة أمرا بالقبض عليه فقد تبين أنه هو نفسه تاجر سلاح ولكن اختلف مع تجار سلاح آخرين واستطاعوا أن يأخذوا منه الصفقة وينفردوا بها وهو ما دفعه الى تقديم هذه الوثائق لاحسان ٠٠ أى أن الدافع كان مجرد المنافسة التجارية ٠٠ ويخبط احسان كفا بكف قائلا : « هذه هى الحياة ٠٠٠ غريبة » .

٨ - احسان أمام النائب العام

في العدد رقم ١١٤٧ من مجلة روز اليوسف الصادر في ٦ يونية ١٩٥٠ كتب الأستاذ احسان مقالا بعنوان « من هو الضابط الذي يملك قصيرا في كابري » تعمده فيه اثاره فؤاد سراج الدين سكرتير حزب الوفد في ذلك الوقت والذي كان يمثل محور السلطة التنفيذية لكي يدفعه دفعا الى ابلاغ النيابة ضده . . .

قال في هذا المقال :

« . . . ما هذا الحب الذي تحرك فجأة في قلب سراج الدين باشا ودفعه لأن يدافع عن فضائح وقعت في عهد حكومات غير وفدية ؟! . . . ولماذا لم يؤيد هذه الاتهامات حتى يدفع حكم الأقليات بفضيحة لا تمحى على مدى الدهر وهو ما يدعو اليه واجبه وتمصبه الحزبي . . . !! أن هناك سرا . . . !! وهو سر ليس في حاجة لأن يفصح عنه فؤاد باشا لأنه سر مفضوح . . . !! . . . وقد كان مجرد دفاع فؤاد باشا سراج الدين عن هذه الاتهامات مع اعترافه بأن حكومته غير مسئولة عنها - كافية لاثباتها ولا ثبات أن الجرائم التي يدل عليها الاتهام هي جرائم مستمرة أكبر من أن تتحملها حكومة واحدة » . . .

وماذا حدث من فؤاد سراج الدين والذي كان يمثل أخطر وزير في الوزارة الوفدية كلها من موقعه . . .

تار فؤاد سراج الدين على ما كتبه احسان عبد القدوس عن فضيه
الأسلحة الفاسدة بصورة أخرجت حكومة الورد ٠٠٠ واضطرتها اضطرابا
لابلاغ النائب العام ضده للتحقيق معه فى مجموعة المقالات التى بدأ
نشرها فى ٦ يونية عام ١٩٥٠ ٠٠٠ وكان أمل الحكومة كبيرا فى الايقاع
به فى قضية نشر تقضى عليه تماما كصحفى ارضاء للمجرم الحقيقى الذى
يقبع - وراء القضية كلها - فى السراى الملكية ٠٠ !! فلما فشلت الخطه
بدأ مطاردته فى كل ما يكتب حتى أصبحت النيابة تحقق معه عقب
صدور كل عدد ٠٠

٠٠٠ كل هذا لم يخف الأستاذ احسان ولم يمنعه عن الكتابه فى
قضية الاسلحة الفاسدة تسترا على الحونه ٠٠ ان ثورته تحميه من دل
خوف وتعطيه الحماس والقوة ، واستمر فى سعيه للحصول على الادله
اللازمة لاقتناع النيابة والقضاء وبالتالى ادانة الحونه ٠٠ فاستطاع بمعاونه
اصدقائه أن يحصل على صورة بالقلم الرصاص ٠٠ ثم صورة فوتوغرافية
للعقد المبرم بين « على عبد الصمد » تاجر الأسلحة وبين الزوجه الحسناء
(مدام ج ٠ أ) زوجة الضابط الكبير فى ذلك الوقت وهو عقد ينص على
قيام الشركة بينهما لتوريد الأسلحة الخاصة بحرب فلسطين ، سواء بم
توريد هذه الأسلحة للجيش المصرى ، أو جيش أية دولة عريضة
أخرى ٠٠

يقول الأستاذ احسان :

« ٠٠٠ واعتبرت العقد واقعة خطيرة ، ثم اهتمت بمظاهى الثراء
التى تحيط بالضابط وخاصة لعبة البكره التى كان يلعبها فى نادى
السيارات - وكان أحد أعضائه - فطلبت من حفى محمود « باشا » أن
يستوثق من صحة هذه البيانات باعتباره عضوا فى النادى فأكد لى صحة
البيانات كلها ٠٠ كما علمت أن الضابط زوج الحسناء تاجر السلاح -
صديق للواء (المسيرى) رئيس لجنة احتياجات الجيش المفوضة بشراء
الأسلحة والنخيرة ٠٠ وأكثر من هذا علمت أن زوج التاجر الحسناء ،
كان يشتغل - سرا - فى مكتب عمر سيف أحد موردى السلاح للجيش.
وأنه « شريك » للأميرالائى حلمى حسين مدير الركائب الملكية فى شركة
« دلنا موتورز » ٠٠ ا

لقد وضعت يدي اذن على مفتاح القضية وصدر العدد ١١٤٧ من
روز اليوسف يحمل أول حلقة فى «سلسلة مقالات « معاكمه مجرمى حرب

فلسطين» ووجد حيدر باشا - كقائد عام للجيش - نفسه مضطرا لارسال خطاب الى وزير الحربية يطلب فيه التحقيق معى ٠٠٠ وهكذا وجدت نفسى فى صباح ٢٥ يونية عام ١٩٥٠ واقعا فى قبضة النائب العام !! ٠٠

« كانت البداية سيئة ومرهقة لأعصابى ٠٠٠ وفوجئت حين علمت أن النائب العام بنفسه أصر على أن يقوم بالتحقيق معى شخصيا ٠٠!! ٠٠ وزادت مفاجأتى عندما أبلغت بأن التحقيق سيجرى بعيدا عن العاصمة ٠٠ !! ربما كانت سذاجة ٠٠ !! ٠٠ وربما كان تعنتا ٠٠ ! ولكننى وجدت نفسى مضطرا للسفر الى الاسكندرية لكى أقدم نفسى لسعادة « محمد بك عزمى » النائب العام ٠ فى تمام الساعة العاشرة من صباح ٢٥ يونية عام ١٩٥٠ ٠٠ والحذر من التأخير ٠٠ ! ٠٠

ووصلت فى الميعاد المحدد بصحبة صديقى عبد الغنى أبو سبرة المحامى وعضو مجلس النواب فوجدت فى استقبالى النائب العام الذى أخذ فى التحقيق معى فورا من الصباح حتى الرابعة بعد الظهر ٠٠٠ دون أن يسمح لى بشرب القهوة ولا التدخين ، وشعرت بالدوار ، فطلبت من النائب العام أن يؤجل التحقيق لليوم التالى ، ولكنه رفض وقال بحدة :

- لن أتركك تغادر هذا المكان حتى تتم أقوالك ، ولو اقتضى الأمر أن تبيت هنا ٠٠ وما أدرانى ٠٠ !؟

وسكت النائب العام لحظة ٠٠٠ ثم استطرد فى لهجة غامضة :

- ربما قتلت بعد أن تخرج من هنا ٠٠٠ فكيف أتم التحقيق !؟

فقلت وعلى فمى ابتسامة معتصبة :

- التحقيق فى مقتلى أو فى صفقات الجيش ٠٠ !!

فأجابنى بملل :

- التحقيق فى مقتلك يقوم به أى وكيل نيابة ، أما أنا فيهبنى

تحقيق هذه الادعاءات ٠٠ !!

وأثارنى كلام النائب العام عما سماه بالادعاءات ، لأننى حرصت ألا أوجه اتهاما لأحد الا وتحت يدى مستند قاطع بصحته بل حرصت وأنا أسلم هذه المستندات الى النائب العام أن أوقع عليها بامضائى وأن أطلب من سعادته أن يوقع عليها بامضائه زيادة فى الحرص ولى عذرى فى ذلك لأن النيابة العامة التى أقف أمامها هى جزء من السلطة التنفيذية وهى

نخضع للتيارات السياسية والحكومية وجميع هذه التيارات تقف ضدى وتهددنى فى حريتى ومستقبلى ومن الممكن أن ينقلب وضعى من شاهد الى متهم وتوجه لى تهمة خطيرة « وهى التشهير بالجيش » وكنت أخاف هذه التهمة رغم أنى كنت حريصا فى كل مقال كتبت على تمحيده ضباط الجيش وجنوده فقد قلت فى احدى هذه المقالات : -

« ... لن أسكت قبل أن أطالب بحق الذين استشهدوا وجرحوا وشوهوا فى فلسطين واسرائيل براء من دماهم .. حقهم فى الانتقام من المجرم وحقهم فى أن تكون تضحياتهم ثمنا لجيش أفضل ولوطن أفضل ولسلاح أفضل .. سلاح يقتل العدو ولا يقتل صاحبه » ..

وكتبت فى مقال آخر أقول : « هؤلاء الذين ماتوا كانوا فى حياتهم أقوى من قنابل اليهود ولكنهم كانوا أضعف من القنابل التى تنطلق الى الورا، فتحطم المدفع وتقتل جميع أفرادة فيخروا صرعى فوق حطام المدفع وابتسامة الاستشهاد تضىء وجوههم » ..

وقلت : -

« اذا كانت الرشوة دعاية سيئة فان التستر عليها دعاية أسوأ واذا كانت الجريمة لها خطر محدود فان التستر عليها لأخطر واذا كان الرأى العام ينقم على المتهم فى مثل هذه الجرائم ، فان السكوت عليها يجعل الرأى العام ينقم على المتهم والبرىء معا » ..

ورغم أن النيابة أثبتت صحة جميع الوقائع التى تقدمت بها .. فانى أعترف وأقر أنى عندما وقفت أمام النائب العام لأول مرة لم أكن أعتقد أن سعادته سيستمر فى التحقيق حتى نهايته ولذلك كنت حريصا كل الحرس على اختيار كل لفظ أنطق به مما أثار غضب « عزمى بك » ..

وقال غاضبا :

- انت عامل جرىء يا أفندى وكان يخاطبني بلقب أفندى من باب
!لاهانة فى مجتمع روسه بأشترات وبكوات ... !!

ثم استطرد :

- عامل نفسك وطنى متطرف ... وبتتحدى ناس كبار .. !!
ما تورينا جراتك دى .. !!

وأجبت فى هدوء :

– أنا جرى، فى حدود القانون .. !! .. تم من يضمن لى الا تجعل
منى متهما .. وتقبض على .. ؟!

فأجابنى بسرعة :

– لا احد .. وسأقبض عليك بمجرد أن ارى ذلك .. !! ..

ثم استطرده أستاذنا قوله لى وقد بدا عليه الحماس الشديد :
« لم يهزنى كلام النائب العام عن احتمال اغتيالى قبل أن يتم التحقيق ..
لا لم يكن الأمر مفاجأة لى .. !! .. فقد همدت تليفونيا بالقتل – اذا لم
أتوقف عن نشر مقالاتى عن « محاكمة مجرمى الحرب » ولم أهتم بالتهديد،
لأن أمنى الشخصى كان آخر ما أفكر فيه بالقياس الى الهدف الذى وضعته
أمام عينى .. وهو هز النظام الحاكم هزة تزلزل أركانه .. كما أنها لم
تكن المرة الأولى التى أهدد فيها بالاغتيال .. فقد همدت قبل هذا أكثر
من مرة ، ونمى الى علم وزير الداخلية – مرتضى المراغى – خبر هذا
التهديد .. فعين حارسا يتبعنى فى كل تحركاتى .. !! .. وضايقنى
وجود هذا الحارس الذى اعتبرته حيلة ذكية من السلطة لمراقبتى بحجة
الخوف على حياتى .. !! .. فطلبت من المراغى رفع هذه الحراسة
الاجبارية .. فوافق بشرط أن أحمل سلاحا مرخصا للدفاع عن نفسى
وتسلمت بالفعل مسدسا .. لم أحمله بيدي اطلاقا .. لأننى لا أطيق
بحكم تكوينى النفسى حمل السلاح ولا استعماله .. وكانت زوجتى تتولى
هذه المهمة بشجاعة كانت محل تندرنا وفكاهاتنا ، وخصوصا عندما كنا
ندعب الى السينما مثلا ، فنحمل فى حقيبتها المسدس ، وتتقمص شخصية
الحارس الحصوصى .. فتدير عينيهما حولى فاحصة مدققة .. تتبع كل
حركة .. وتلتقط كل نظرة مصوبة نحوى ، ثم تقوم بتفسيرها بعقلية
الشرطى الواعى .. !!

٩ - القدر ينقذ احسان من الاغتيال مرارا

قال لي الأستاذ احسان : « كانت أول صفقة وفقت للحصول على مستنداتها هي صفقة « علي عبد الصمد » وشريكته التاجرة الحسناء - زوجة الضابط الكبير - وقد استطعت الوصول الى علي عبد الصمد نفسه بعد بحث طويل .. وانتهى الأمر باستدعائه أمام النائب العام - الذي أرغمني علي ذكر اسمه رغم أنني كنت قد وعدت بعدم اعلان اسمه .. وانتهى التحقيق بالقبض علي « علي عبد الصمد » وشريكته الحسناء زوجة الضابط الكبير .. ثم أفرج عنهما بكفالة كبيرة .. وجاء الدور علي الزوج .. الضابط الكبير - وعضو لجنة احتياجات الجيش - فقبض عليه أيضا .. وعندما دخل السجن اعتقد أن رؤساءه - الكبار - قد تخلوا عنه ، فانفتح فمه الذي ظل مغلقا لفترة طويلة .. وعندما تكلم الضابط السجين - زوج التاجرة الحسناء - بدأت القضية تأخذ اتجاها جديدا وبدأت الحقائق تتكشف أمام النائب العام .. فتغيرت معاملته لي من النقيض الي النقيض .. واختفى من كلامه لفظ - أفندي الذي كان يقذف به في وجهي كلما أراد اهانتى .. !! .. »

... وهكذا تغير موقف النائب العام من الأستاذ احسان عبد القدوس بعد أن ثبت له علي وجه اليقين بالأدلة بأنه لم يكتب ما كتب من مقالات عديدة تحت عنوان « محاكمة مجرمي حرب فلسطين » في المدة من ٢٠ يولية ١٩٤٩ الي ٦ يونية ١٩٥٠ من باب التشهير بالجيش بل

يدافع التشهير بالحونة الذين تاجروا بقضية الجيش جريا وراء وطنيته الحالصة لمصر ولأجل مصر ٠٠٠ ويقدم الاستاذ احسان الى النائب العام تعزيزا لموقفه تقريرين خطيرين عن مدى الفساد الذى كان يلعب دوره المدمر فى أمور الجيش أولهما : كتبه اللواء محمد على المواوى قائد الجيش المصرى فى حرب فلسطين - وهو الرجل الذى حاول الحونة أن يحملوه مسئولية الهزيمة التى تسبب فيها فساد الأسلحة التى قدموها للجيش فى حربه المقدسة ٠٠ ولكن الرجل ابراء لذمته أمام التاريخ كتب تقريره الشهير ليدفع به الحونة والحيانة ٠٠

٠٠٠ ويعلق الأستاذ احسان على ذلك قائلا : « ارتج النائب العام من أعماقه وهو يقرأ الحقائق البشعة والفضائح المخزية التى سجلها التقرير الذى كتبه اللواء المواوى ٠٠ وقبل أن يفيق النائب العام من وقع الصدمة عاجلة بالتقرير الخطير الذى كتبه اللواء فؤاد صادق - الذى تولى قيادة الجيش المصرى فى فلسطين بعد اقضاء اللواء المواوى - وكانت الحقائق التى تضمنها تقرير اللواء فؤاد صادق لا تقل بشاعة عما أثبتته سلفه فى تقريره ٠٠ وكان أبشع ما فى تقرير اللواء صادق ٠٠ أن الأخطاء التى أدت الى الكارثة بدأت منذ عام ١٩٤٣ - وكان أيامها برتبة أميرالاي - وحاول أن ينسب لخطورتها على الجيش ، فكوفىء على أمانته بالطرد من الجيش ٠٠ فلما وقعت الكارثة تذكره الحونة وأعادوه للخدمة على أمل أن يحاول انقاذ ما يمكن انقاذه ٠٠ ولكن بعد قوات الأوان ٠٠ « ١١ » ٠٠

ثم يصمت برهة يشرد فيها ببصره بعيدا محاولا استرجاع أحداث هامة وخطيرة لم تستطع الثلاثون عاما التى مرت عليها أن تطويها معها ٠٠ ثم يقطع صمته هذا قائلا : « كان أطول وأخطر نقاش - دار بينى وبين النائب العام - هو النقاش الذى دار حول النبيل عباس حليم - ابن عم فاروق - باعتباره وكيلا لشركة أركلين فى مصر وهى الشركة التى تولت توريد ستة عشر مدفعا للجيش من عيار ١٠٥ م ٠ م من أسبانيا ٠٠ مقابل مبلغ قدره خمسة ملايين من الدولارات تقريبا ٠٠ « ٠٠

ولكن ألم يخف كاتبنا من الملك رأس النظام المصرى وأعوانه الحونة حينما اندفع بكل قوة الى اتهام أحد أفراد أسرته رسميا أمام النائب العام ؟

يقول أستاذنا احسان :

« كنت واعيا تماما بكل هذه المخاطر . وكنت على علم تام بكل الاساليب القذرة التي كان يلجأ اليها القصر للتخلص من خصومه ، وخصوصا اذا تعلق الأمر بكرامة الأسرة المالكة . . . ومع ذلك لم أكن أتصور أن الثالث المسيطر على الحكم اذ ذاك يمكن أن ينحط الى درجة اغتيال خصومه في الرأي . . . ولكن ما حدث لي بعد ذلك أكد لي أنني كنت ساذجا أو حسن النية أو مثاليا الى حد بعيد . . . وأتذكر أنني كنت مدعوا للعشاء ذات ليلة مع الأصدقاء في مطعم الاريثاج الذي كان مكانه عند مدخل عمارة ايوبيليا بشارع سليمان ، وامتدت بنا السهرة في حديث ساخن حول الضراوة التي تتحرك بها السلطة لقمع الحركة الشعبية المتزايدة ، والتي بلغ بها السخط بعد فضائح الأسلحة الفاسدة والبورصة وغيرها ، مبتنا لم يكن أحد يتوقعه . . . وانتهى لقاءنا بعبارة مرحة داعبني بها أحد الأصدقاء بقوله :

– أرجو ألا تدفع ثمن قضية الأسلحة الفاسدة . . . رصاصة غير فاسدة يا احسان . . . !! . . . وخرجت تشيعني ضحكات الأصدقاء . . . ولم أكد أغادر المصعد في طريقي الى الشارع حتى فوجئت بشخص مختبئ في الظلام في مدخل العمارة ينهال على رأسي بضربة سكين عنيفة (واستدرت فتلقيت ضربة سكين أخرى فوق حاجبي الأيسر سقطت على أثرها والدماء تغطي وجهي . . . وخرج أصدقائي من المطعم وحملوني الى مبنى الاسعاف وجاء الدكتور اسماعيل محرز وأجرى عملية خياطة الجروح الذي لا يزال أحدها ظاهرا حتى اليوم فوق حاجبي الأيسر وكان رأيه أنني نجوت من الموت بأعجوبة . . . وفي التحقيق الذي أجرته النيابة قلت أنني لا أتهم أحدا ولكن أعنبرها جريمة سياسية ردا على ما كتبت في روز اليوسف وأنا أكتب في أكثر من موضوع وأوجه الاتهامات السياسية لأكثر من جهة ولذلك لا أستطيع أن أحدد شخصية الجاني وقد أنطلقت الاشاعات تتهم أكثر من شخصية من الشخصيات السياسية وقامت جهة أخرى تتبع السراى الملكية باطلاق اشاعة بأن دوافع الجريمة دوافع نسائية !! . . . كانت محاولة صريحة ومتمعدة لاغتيال . . . ولم يكشف التحقيق الذي أجرى يومها عن الفاعل أو المحرضين الذين أوعزوا اليه بقتل . . . وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو وأعيد التحقيق في هذه القضية استطاع المحققون الشرفاء أن يصلوا الى حقيقة مذهلة . . . لقد اعترف الجاني بأنه ارتكب جريمته بتحريض من ابن عم الملك . . . وعرفت يومها أن المحرض على قتلي هو النقيب عماس حليم – أحد المتهمين في

قضية الأسلحة الفاسدة - وتذكرت يومها زيارة غريبة قام بها عباس حليم لى فى منزلى وأنا طريح الفراش عقب محاولة اغتيالى - كما تذكرت ضحكته الساخرة وهو يقدم لى صينية فضية فاخرة محملة بحلوى « مارون جلاسيه » ٠٠ وعبارته الملتوية وهو يجلس : المجرم الخطير جاي يطمئن على البطل الخطير ٠٠ !!

ولم أكن أدري يومها أنه يقرر الحقيقة التى ظهرت فيما بعد ٠٠ وظننت أن ابن عم فاروق كان يقصد بعبارة « المجرم الخطير » التى وصف بها نفسه ٠٠ التهمة التى وجهت اليه فى قضية الأسلحة الفاسدة باعتباره أحد السماسرة الذين خانوا شعب مصر وقدموا لجيشها سلاحا وذخيرة فاسدة بل مى أقنعت نفسى بأن عباس حليم جاء ليكسب صداقتى لعلنى أعفيه من الاستمرار فى اتهامه وقد اتضح لى بعد ذلك أننى كنت ساذجا فقد جاء لزيارنى ليعبد الشبهة عن نفسه والأعجب من ذلك أنى عندما أعيد التحقبق فى حادث الاعتداء على بعد القبض على المعتدى واعترافه تنازلت عن حقى فى الاتهام ٠٠ وهذه طبيعى . أن أنسى الماضى وأتفرغ للمستقبل ثم أننى كنت مكتميا بأن الثورة قد قامت وأن عباس حليم لن يعيش مع الثورة أنتهى ٠٠ وقد أنتهى فعلا ٠٠

وهناك محاولتان أخريان تعرض فيهما أيضا الأستاذ احسان للاغتيال . أولهما حينما كان رئيسا لقسم التحقيقات الصحفية بصحيفة الزمان حيث فوجيء ذات يوم بخبر المحاولة التى وقعت وقصد بها مدبروها نسف بيت زعيم الوفد نفسه - مصطفى النحاس - فأسرع كرئيس لقسم التحقيقات الصحفية بصحيفة الزمان التى كانت تصدر مسائية فى ذلك الوقت لعمل تحقيق صحفى عن الحادث ٠٠ وأحس شباب الوفد المتزاحم حول بيت النحاس - عقب الحادث بوجوده - فأسرعوا يحيطونه فى محاولة حقيقية لقتله باعتباره أحد الكتاب الذين يهاجمون سياسة الوفد ٠٠ وجاءت نجاته من الموت المحقق على يد سيدة من أسرة البدرأوى يقع بيتها فى مواجهة بيت النحاس ٠٠ حيث أسرعمت بإدخاله الى منزلا وحمايته من موت محقق ٠٠

أما المحاولة الأخرى التى تعرض لها كاتبنا فقد دبرها له الملك فاروق بنفسه فى منفاه .

يقول الأستاذ احسان :-

« فى عام ١٩٥٣ ارسلنى مجلس قيادة الثورة لأمثل الصحافة المصرية فى مؤتمر رؤساء تحرير الصحف الذى انعقد فى مدينة كان على

ساحل الريفييرا بفرنسا وقد سافرت ومعى زوجتى أحرص الناس على
حياتى وهناك التقيت بالاستاذ أمين فهيم سكرتير الملك فاروق وأيامها
كان فاروق يقيم على شاطئ الريفييرا ٠٠ وكان قد بدأ أيامها ينشر
مذكراته فى الصحف الأجنبية وكلها هجوم على الثورة ورجالها على الرغم
أن الثورة تسامحت معه ولم تحاكمه على خطاياه فى حق الشعب وسمحت
له بالخروج هو وأسرته وضمنت له تحويل أمواله ومجوهراته للخارج .
وقلت لسكرتيه أننى أرى أن يتوقف فاروق عن نشر هذه
المذكرات فقد تؤدى الى أن تغير الثورة موقفها منه وتنتقم منه وقال لى
سكرتير فاروق أنه سينقل اليه هذا الكلام .

وفى اليوم التالى جادنى الفندق قائلا :-

.. لماذا لا تقابل الملك بنفسك لعلك تستطيع ان تقنعه برأيك ولم
اتردد ووافقت وربما لم يكن سر تسرعى بالموافقة هو الحرص على منع
فاروق من نشر هذه المذكرات ولكنها كانت الشهوة الصحفية التى تجعلنى
أتشوق الى نشر حديث صحفى مع فاروق بعد عزله ٠٠٠

وحدد الموعد فى الساعة الرابعة مساء اليوم التالى على أن يرسلوا
لى سيارة الى الفندق تحملنى الى فاروق وعلمت زوجتى بأنى على موعد
اللقاء فاروق فنارت ٠٠٠ أنهم سيقتلوننى وقضت الليل وهى تصر على
منعى من هذا اللقاء ولكى أريحها وافقت وكتبت ورقة اعتذار لسكرتير
فاروق ٠٠ ومرت شهر ٠٠ وترك أمين فهيم عمله مع فاروق وعاد
الى القاهرة وبدأ ينشر مذكراته فى مجلة اخر ساعة وسجل فى هذه
المذكرات أن فاروق وضع خطة لاغتيال والحمد لله أنقذت قبل أن تقضى
على شهوتى الصحفية ٠٠ أنقذتنى زوجتى ٠٠

ومن الطريف أن الاستاذ احسان أنقذ الملك من محاولة اغتيال كانت
تدبر له وجاء مخطوطها يعرضون الخطة على كاتبنا وكانوا من الضباط
الشباب ولكنه عارضهم وأستطاع أن يقنعهم بأن قتل فاروق سيقضى على
كل أمل فى الثورة لأنه سيؤدى الى أن يرث الأمير محمد على العرش وبالتالي
سيستغيب بالجيش البريطانى ليحميه وتكون النتيجة عودة القوات
البريطانية الى القاهرة ونعيش عشرات السنين الى أن نستطيع أن نحقق
الثورة ٠٠ واقتنعوا ٠٠ وألغى مشروع اغتيال فاروق وقامت الثورة وكان
هؤلاء الضباط من أبرز رجالها ٠٠٠

١٠ - احسان مخبر سرى

حرص الأستاذ احسان منذ البداية وقبل أن يكتب أية كلمة عن فضيحة عباس حليم ودوره المخجل فى القضية ٠٠ على تتبع صفقة المدافع هذه من أولها الى آخرها ، أى منذ تقدمت الشركة بعطائها الى أن وصلت هذه المدافع الى مصر ، وحصل على جميع المتصلين بها ، وأسماء جميع الضباط الذين علموا شيئا عنهما ، وأسماء أعضاء اللجان الذين اختبروها ٠٠ ! بل حصل أيضا فوق كل هذا على تاريخ حياة كل مدفع ، والمكان الذى وضع فيه والمرات التى طلب فيها تجربته ، ورفض المختصين اجراء هذه التجارب خوفا على حياتهم ، ٠٠

٠٠٠ ولكن من أين حصل الأستاذ احسان على تلك المعلومات السرية الهامة ؟! ٠٠ والى تدين ابن عم الملك ٠٠ تلك المعلومات التى تتمثل فى المستندات المبعثرة بين مكاتب شركة أرليكن التى كان يشرف عندها وبين مكاتب وزارة الحربية ، وقيادات الأسلحة المختلفة ٠٠ كلها أماكن ليس من اليسير أن يدخلها بلا أدنى شك صحفى نائر مثل احسان عبد القدوس يعرفه الحوثة جيدا !!

يقول استاذنا احسان : ، أعترف أننى تقمصت فى فترة البحث والتحرى والجري وراء أدلة اتهام عباس حليم ، شخصية مخبر سرى متمكن ٠٠ وقد ساعدنى فى هذا أمران ٠٠ أولهما ما اخترزته ذاكرتى من عشرات القصص البوليسية التى قرأتها فى صباى وطفولتى ، تلك

القصص التي كان أبطالها من رجال المباحث الذين يتصدون في فروسية
وذكاء لمحاربة المجرمين والأشرار ٠٠ !

والأمر الثاني خبرتي التي اكتسبتها كصحفي يجيد الجري وراء
الأحداث ومصادر الأخبار التي يطلع بها على قرائه ، ٠٠

« وكان للثائرين على خطايا الحكم من شباب الضباط ، فضل
معاونتي في الحصول على كل ما حصلت عليه من وثائق وبيانات ٠٠ وإذا
كنت قد تقدمت للنائب العام بأدلة الاتهام وفي مقدمتها الصورة الأصلية
للعقد الذي اشترت به هذه المدافع ، والمذكرة التي اشترت على أساسها
والمذكرة التي قدمتها شركة « بوفرز » وكان المسئولون في وزارة الحربية
اذ ذاك - قد أخفوها حتى لا تقع في أيدي المحققين ٠٠ فان الشيء الذي
لا يعلمه الجميع حتى الآن وفي مقدمتهم النائب العام نفسه ٠٠ أن هذه
الأوراق لم تصلني الا في صباح اليوم الذي سافرت فيه من القاهرة الى
الاسكندرية ، لكي أدلي بأقوالى فى التحقيق وأنا واثق أن صديقى الأستاذ
عبد الغنى أبو سمرة المحامى - وعضو مجلس النواب الذى صحبنى ليوقف
بجانبي فى التحقيق لم يلاحظ أن شخصا طويل القامة قد احتك بى فى
محطة مصر ، ودس فى جيبى مجموعة من الأوراق بطريقة خفية تماما كما
يحدث فى القصص البوليسية التي قرأتها فى صغرى ٠٠ وكان هذا
الشخص المجهول هو رسول الضباط الثوار ٠٠ وكانت الأوراق التي
دسها فى جيبى بخفة هى واثق اتهام عباس حلیم ٠٠ !!

٠٠٠ وهكذا تجمع أمام النائب العام كل أدلة الاتهام الكفيلة بتقديم
الحونة الى محكمة الجنايات على الرغم من محاولته العديدة لتضييق الخناق
على الأستاذ احسان عندما زج اسم عباس حلیم الى قائمة المتهمين فى تلك
القضية مدعما قوله بالمستندات والوثائق القاطعة التي تدينه الادانة
الكاملة ٠٠

وفى العدد رقم ١١٨٠ من مجلة روز اليوسف نشر فيه جانبا من ذلك
التحقيق الهام الذى أجراه معه النائب العام ٠٠ والذى يقول فيه :

« وسألنى النائب العام ٠٠ و « أنا أكتب من الذاكرة » ! :

- ما هى معلوماتك عن دور صاحب المجد النبيل عباس حلیم فى

هذه الصفحة ؟

- انه وكيل شركة أوليكن فى مصر ٠٠ !!
- اسألك عن الدور الذى قام به فى توريد هذه الصفقة من المداخى للجيش المصرى ٠٠ ما دوره بالضبط. ؟
- لا أدرى شخصيا ٠٠ الوثائق وحدها تحدد ٠٠
- ما هى مسئوليته ؟
- ان النبيل عباس حليم نفسه يستطيع أن يحدد مسئوليته ٠٠!
- لقد ذكرت فى مقالاتك اسم النبيل عباس حليم تحت عنوان « النبيل الشريف » ٠٠ فماذا تقصد بهذا العنوان ؟؟
- أن عباس حليم يحمل لقب نبيل لأنه أحد أفراد العائلة المالكة وقد سبق للوفد المصرى أن أطلق عليه لقب « شريف » عندما حرم من لقب نبيل فى عهد الملك فؤاد ٠٠ !
- ولكن العادة لم تجر بالجمع بين لقب « النبيل والشريف » فماذا تقصد بالجمع بينهما ؟
- أقصد المعنى الظاهر منهما ٠٠ !
- يفهم من هذا العنوان أنك تتهم النبيل عباس حليم فى نزاهته ٠٠ !
- أنا لا أتهم أشخاصا بل سردت وقائع ومهمة النيابة هى الكشف عن المسئولين فى هذه الوقائع ٠٠ وكل ما كتبت عن النبيل هو أنى رجوته أن يصدر بيانا يشرح فيه وقائع هذه الصفقة ويحدد موقفه منها « ٠٠
- ٠٠٠ وهكذا انتهت حلقة الصراع الدائر بين الأستاذ احسان والنائب العام الى انتصار الحق مهما كان الزمن ٠٠ بل يندفع النائب العام فى حماسه الشديد - كما يقول الأستاذ احسان - « الى الاتفاق معى على أن أدلى له شفها بما لدى من معلومات قد تنقصها المستندات ، ثم يتولى هو تحقيقها حتى اذا ثبت صحتها ، ذكرها على لسانى فى التحقيق . وقلت له وقائع كثيرة كان يتولى التحرى عنها فى التو واللحظة ٠٠ وبدأت أثق فيه واطمئن اليه وأؤمن به » .
- ٠٠٠ وهنا يحس الأستاذ احسان بشىء من الراحة والطمأنينة بعد فترة المعاناة الطويلة والصراع الدائر بينه وبين النائب العام من أجل

تعزية الحونه مرتكبي جريمة الأسلحة الفاسدة أمام الشعب وكان أول ما كتب في الصحف بعد أن انتهى من الإدلاء بشهادته هو نداء الى الجمهور بطالب المواطنين فيه بأن يتقدم كل من لديه معلومات تتصل بالقضية للإدلاء بها للنيابة مع وعد بحمايته ، وبمجرد نشر هذا النداء يندفع الشعب الثورى بالبلاغات التى تكشف عن خفايا كل ما يتعلق بهذه الجريمة البشعة وقد ثبت فيها أن الملبس « عبد اللطيف أبو رجيلة » الذى عرف فى إيطاليا باسم السنيور روى ٠٠ ! ٠٠ قد انتشل الذخيرة من البحر بواسطة الغواصين من سفن الحافاء التى أغرقتها غواصات هتلر إبان الحرب العالمية الثانية على شواطئ إيطاليا ٠٠ وكانت الذخيرة التى مضت عليها سنوات وهى راقدة فى مياه البحر الأبيض ، فاسدة على سبيل التأكيد ، ولكن السنيور روى ، لم يتردد فى بيعها لجيش بلاده ، وهو يخوض معركته الأولى ضد الصهيونية العالمية وعندما وجه أبو رجيلة بالاتهام - على البعد - وهو مقيم بإيطاليا ، أرسل عن طريق وكلائه الذين اشتراهم بماله ، يبرر فساد الذخيرة التى وردها للجيش بأنها كانت سليمة ، ولكن البأخرة التى حملتها الى مصر تعرضت لعاصفة وأمواج عالية أصابت برذاذها صناديق الذخيرة فأتلفتها ٠٠ !

٠٠٠ وهنا يكشف أبو رجيلة ، فيحاول اللعب على المكشوف مع الأستاذ احسان فيطلب منه كرئيس لتحرير مجلة روز اليوسف والذى أسرع بنشر الواقعة بمجرد أن شم رائحتها الكريهة وقبل أن تحقنها النيابة أن يسمح له بنشر بيان للقراء استعمالا لحقه القانونى فى الدفاع عن نفسه مفسرا وجهة نظره فيما نشرته المجلة مع التلميح باستعداده لدفع ثمن المساحة التى سينشر فيها ٠٠ وبالطبع لم تنجح لعبة المليونير مع ذكاء أستاذنا ، إذ يسمح له بنشر بيانه وينشر الأستاذ احسان فى الصفحة المقابلة له فى نفس العدد تفنيدا لما جاء بالبيان مدعما بالأرقام والأدلة والتواريخ والوثائق الرسمية ٠٠

وكتب الاستاذ احسان فى مقاله يوم ٦ - ٦ - ٥٠ تحت عنوان « انصحف المصرية تدافع عن المليونير المتهم » لقد أثار مصطفى مرعى غبار الاتهام حول الميونير المصرى المدعو روى أبورجيله ومن تعامل معه فى الصفقات التى باعها للجيش المصرى وقد كانت اثاره هذا الاتهام فى الوقت الذى لم ترد فيه بعد جثث الشهداء ولم تحف دماؤهم من فوق رمال فلسطين كافية ليثور الرأى العام وتثور الهيئات مطالبة برأس المتهم ٠٠

كان هذا يحدث فى أى بلد من بلاد العالم اما فى مصر فلم يحدث منه شى
بل لم يبق الاتهام معلقا أربعة وعشرين ساعة حتى تتولى الحكومة التحقيق
وانما ظهرت الصحف كلها فى اليوم التالى وقد نشرت دفاعا مجيدا يعدد
فيه أبور رجيله الخدمات التى أداها لوطنه بل رأت أحسدى الصحف أن
ليس من اللياقة أن تنشر أسم أبور رجيله فى محضر جلسة مجلس الشيوخ
ويو على ماهو عليه من ملايين فحذفت أسمه من بين أقوال مصطفى مرعى
واكتفت بأن تشير اليه بكلمة واحد من الناس « ٠٠٠ وبذلك اطمأن
صاحب الملايين الى ان الرأى العام معه ما دامت الصحافة قد سكنت عنه
بل وأشادت بوطنيته ٠٠٠ ويستطيع أبور رجيلة بعد ذلك أن يتفرغ لبناء
قطعة الأرض التى اشتراها فى شارع سليمان باشا ودفع ثمنها نصف
مليون جنيه كاش « ويستطيع بعد ذلك أن يكتفى بابتسامة يوجهها الى كل
مصرى يزور ايطاليا وبخدمة أو خدمتين يقدمها له فيطمئن الى ان كل
مصرى سيشهد بكرمه وحماسه الوطنى ٠٠٠

وهذا حرام ٠٠٠

حرام فى حق مصر وفى حق الأخلاق وفى حق المستقبل ٠٠

١١ - احسان يقول :

« كان هناك فساد .. وكانت هناك أسلحة فاسدة ! »

ليست فضيحة المليونير أبو رجيلة الوحيدة التي أسرع مجلة « روز اليوسف » الثورة بنشر وقائعها قبل أن تحققها النيابة إبان تصديها لحملات جمع المعلومات عن خفايا قضية الأسلحة الفاسدة ، فهناك صفقة أخرى وفق الأستاذ احسان في جمع مستنداتها ضمن صفقات الأسلحة وكان المحرك لها رجلا انجليزيا التقى به في ظروف غامضة ..

قال لي الأستاذ احسان : « كنت في زيارة صديق يقيم باحدى الفنادق الكبرى ، عندما النقيت بسيدة مصرية معروفة ، حادثنى مليا عن قضية الجيش ، ثم قدمتنى الى رجل انجليزى من رجال الأعمال ، قالت لي عنه أن لديه معلومات هامة عن احدى صفقات سلاح البحرية .. وبدأ الانجليزى الغامض حديثه معى بأنه لا يريد أن يتدخل في هذه القضية ، أو يذكر اسمه فيها ، ولكنه سمع عنى وعن مدى اهتمامى بأمر هذه الصفقات .. ثم أن مصر قد أكرمته كثيرا !! وأقل ما يستطيع أن يدلى بما لديه من معلومات خطيرة عن صفقة تمت على حساب مصالح الجيش ومصالح مصر .. »

« والتقىنا فى اليوم التالى فى مكان بعيد .. !! وكانت معنا السيدة المصرية المعروفة .. وبدأ يحدثنى عن صفقة شراء الباخرة ناقلة

السوائل « لوتشيا » التي اشتراها السلاح البحري - الملكي - وأطلق عليها اسم « الغردقة » . . .

وكانت هذه المركب سبق أن عرضها أحد التجار (كابتن حسن عزو) على السلاح البحري بمبلغ ٢٢ ألف جنيه ورفض عندئذ السلاح البحري شراءها بحجة أنه ليس بحاجة إليها . . . وفجأة وبدون مقدمات عاد السلاح البحري نفسه ليشتري نفس المركب بمبلغ ٣٦ ألف جنيه . بينما الثمن الحقيقي لها لا يتجاوز ستة عشر ألف جنيه ، وعلى الرغم من أن الرجل الانجليزي قد سلم الأستاذ احسان جميع الوثائق الخاصة بالصفقة ومدى التلاعب الراضح فيها . . . الا انه لم يسرع بتقديمها الى النائب العام بل أنه تأنى وتروى كماداته دائما وتحرى عن صحة تلك الواقعة عن طريق أصدقائه من الضباط وعندما تأكد صحة هذه المستندات التي بين يديه قام بتقديمها للنيابة وعندما أطلع عليها النائب العام شد على يده مهنتا فقد كان يبحث بنفسه عن أسرار هذه الصفقة

وبصفقة البحرية هذه يكون كاتبنا قد قدم آخر حلقة في السلسلة الغليظة التي أحاطت عنق المتهمين في أخطر قضية شهدتها مصر وكان محررها الاول والأخير الصحفي الجريء ، صاحب القلم الحر ، الشائر دائما احسان عبد القدوس . . . حيث يدق جرس التليفون في مكتبه بمجلة روز اليوسف ويبلغ بأن المتهمين الكبار في القضية التي فجرها انما ينزلون ضيوفا غير مكرمين في سجن الأجانب !!

وعندما يضع السماعاة تتون قد ارتسمت على شفثيه ابتسامة الرضا بهذا النصر العظيم الذي حققه لوطننا الحبيب . . .

ويكتب احسان عبد القدوس مقالا في روز اليوسف في ١٥ يونية ١٩٥٣ تحت عنوان « كان هناك فساد . . . وكانت هناك اسلحة فاسدة » حيث جاء فيه .

« لو أن القضية كانت مجرد قضية جنائية ، ولم يعتبرها المسئولون من ذلك الوقت قضية سياسية خطيرة فيتدخلوا فيها ، ويضعوا العقبات في طريقها ويثيروا من حولها أزمات في الوزارة وأزمات في القضاء ، وفي الجيش . . . ولو ان القضية سارت سيرا جنائيا عاديا فانهى تحقيقها بسرعة وبلا ضجة ، وحكم على المتهمين فيها بالادانة أو بالبراءة . . . لو أن هذا حدث لما كانت هناك قضية اسمها قضية الأسلحة الفاسدة . . . !! . . . بل لكانت مجرد قضية صحفية معتادة . . . ولما أدت الغرض منها . . . !! » .

١٢ - احسان يجبر حيدر باشا على تقديم استقالته

كتب الأستاذ احسان في روز اليوسف سلسلة من المقالات، تطالب بالتحقيق مع حيدر باشا وزير الحربية عن هزيمة ١٩٤٨ وانسحاب الجيش المصرى ٠٠٠ فكتب بتاريخ ٢٤/١٠/١٩٥٠ مقالا تحت عنوان :

انى اطالب بالتحقيق مع الفريق محمد حيدر / باشا الضابط الذى قال : « أن الجيش لم يهزم ولكن هزمت قيادته المواوى كان يجهل أسرار حملة فلسطين وموعدها ! القائد العام لم يكن له حق اختيار ضباطه ومعاونيه

يقول الأستاذ احسان : « فى نوفمبر عام ١٩٤٨ كان الجيش المصرى قد بدأ ينسحب من مواقعه فى فلسطين ، وعقد القائد العام للحملة اجتماعا عاما فى مركز القيادة حضره ضباط من جميع الوحدات المحاربة ومن جميع الرتب ٠٠ وكان الاجتماع حماسيا أو على الأصح عصبيا أبدى فيه الضباط الصغار آراء صريحة فوقف الصايغ حسن الهادى وصرخ قائلا أن الجيش المصرى لم يهزم ولكن قيادته هى التى هزمت !! قال الضابط هذه الكلمة الماثورة ، فانتقلت على شفاه الضباط حتى وصلت الى القاهرة ودخلت مكتب معالى حيدر باشا وزير الحربية ورغم ذلك لم يحقق أحد مع الضابط فيما اتهم به قيادته ، ولم يحقق أحد مع القيادة فيما اتهمت به ! مع أن

التحقيق مع القيادات في حالة الهزيمة هو تقليد من تقاليد الجيوش العريقة التي تحرم على معالجة مواضع الضعف فيها والتي تحرص على تجنب الوقوع في خطأ سبق أن وقعت فيه ورغم ذلك فان أحدا لم يحاول أن يقنع هؤلاء الضباط بأن جيشهم كبقية الجيوش له تقاليد تحمي أبطاله من أخطاء القيادات وعمرها ولم يحاول احد أن يصون سمعة هذه البطولة الحازقة التي وصلت الى أبواب تل أبيب بلا سلاح وبلا قيادة بل أن وزارة الحربية لم تحاول حتى اليوم أن تصدر كتابا عن حملة فلسطين تبين فيه ما رقع من أخطاء حتى يستريح الأبطال وتستريح أرواح الشهداء» . .

يقول الأستاذ احسان في نفس المقال : « كل ما فعلته وزارة الحربية ووزيرها الفريق حيدر باشا عندما انسحب الجيش المصري من مواقعه هذه الانسحاب السريع المريع أن سحبت اللواء أحمد على المواوي بك من قيادة الحملة ووضعت مكانه اللواء فؤاد صادق باشا ولم تعزله انما منحتة اجازة بقضيها في القاهرة » . .

وأسال أستاذنا هل كانت القيادة العامة تستطيع أن تحقق مع المواوي ؟ وهل هو المسئول عن الخطط التي وضعت للحملة ومسئول أيضا عن الانسحاب ؟ .

فيقول : كان بين يدي مذكرة ونشرتها في روزاليوسف يقول فيها المواوي بالحرف الواحد : « مما زاد الطين بله التدخل المستمر في سلطتي واملاء عمليات على كنت أرفضها فيقال لي : بالأمر !! ولم تعط لي الفرصة أو السلطة لانتخاب الضباط الذين كنت أرى أنهم أصلح للقيام بالأعمال الشاقة التي كلف بها الجيش وأن معظم الضباط فرضوا على فرضا » . .

وجاء في المذكرة أيضا « قبل بدء العمليات ابان تجمع وحدة من الوحدات بجملة تاديبية في فلسطين . . وانه ألح مرارا في أن يعين له الجيش بالعريش في أوائل مايو لم يكن القائد على بينة تامة بأمر قيام الغرض ولكنه لم يعط له الا قبل دخول الجيش الى فلسطين بأيام قليلة . .

هذا هو بالضبط ما سجل في المذكرة الخطيرة والتي نشرتها مجلة روز اليوسف وعلق عليها الأستاذ احسان في نفس المقال قائلا : « ان المسئولين عن حملة فلسطين كانوا يلهون . . اما غباء منهم واما عجزا . .

وكانوا للأسف يلهون بأرواح الضباط والجنود .. فهذه المذكرة الخطيرة تبين لنا أن الموارى بك لم يكن قائدا لحملة فلسطين وانما كان ساعى يريد « أو عامل تليفون » يتلقى الأوامر من القاهرة وعليه أن يبلغها - بالأمر - الى قواد الوحدات حتى لو لم يقتنع بها .. ولكن هذا لا يعنى الموارى بك من المسئولية ولكنه يعفيه أن يكون المسئول الأول .. ادن من هو المسئول الأول ؟ لقد كان المشرفون الكبار على حملة فلسطين هم الوزير - أى حيدر باشا - ورئيس هيئة أركان حرب الجيش وقائد العمليات والمرحوم اللواء أحمد عبد البارى واللواء شعراوى (الخ) وأحب أن أعفى كل هؤلاء من المسئولية وأحصرها فى حيدر باشا نفسه فهو أكثرهم نفوذا وسلطانا .. ونكبة فلسطين وقعت بفضل أصحاب النفوذ والسultan !! ان حيدر باشا هو المسئول الأول ويجب أن تكون لديه الشجاعة الكافية لتحمل هذه المسئولية ..

يجب أن تتحمل الوزارة قبل أن تضطر للتحرك فتؤلف مجلس تحقيق يتولى تحديد الأخطاء ثم يواجه حيدر ولو بكلمة لوم قد يستقيل بعدها سعادته ان لم يعزل ..

وأسأل الأستاذ احسان عبد القدوس : ماذا فعل حيدر باشا بعد هذا المقال الجريء من المؤكد أنه طالب بنفسه تكوين مجلس ليحقق معه ؟

قال : لم يفعل شيئا ولم يتحرك وكان الموضوع لا يعنيه بشئ مما اضطرني لكتابة مقالى الثانى فى الأسبوع التالى ..

ففى يوم ٣١/١٠/١٩٥٠ كتب احسان عبد القدوس فى افتتاحية مجلة روز اليوسف تحت عنوان :

انى اطلب بالتحقيق مع الفريق محمد حيدر باشا

اخطاء حيدر باشا واخطاء ابراهيم عطا الله باشا

كيف عين حيدر باشا وزيرا ، وكيف عين قائدا عاما ؟

الجبهة الثانية التى فتحها حيدر باشا وهزم فيها

« ان الذين يطالبون باستقالة الفريق محمد حيدر باشا يترفقون به - أكثر مما يحقدون عليه .. وأنا من المترفقين بحيدر باشا ومن المشفقين عليه ولكنى رغم ذلك لا أطالبه بالاستقالة وانما اطلب بالتحقيق معه ..

فاستقالة سعادته ليست سوى اعتراف منه بالخطأ أو بالفشل وهو اعتراف بينه وبين نفسه لا يستفيد منه الجيش ولا تاريخ الجيش ولا يصون التقاليد المتبعة في جميع جيوش العالم .. أنى أشفق على معاليه من همسات ضباطه وجنوده .. هل يريد معاليه أن تترجم له هذه الهمسات ؟ ولكنها لم تعد همسات فقد أصبحت صرخات لا بد أنها وصلت الى أذنى حيدر باشا رغم أنه حرص كل الأيام الأخيرة على أن يغلق على نفسه النوافذ والأبواب .. ويستمر احسان عبد القدوس فى مواجهة حيدر باشا بالحقائق لعله يتحرك ويطلب لجنة للتحقيق معه ولكنه أبدا لم يتحرك !!

وعن دخول فلسطين وحالة الجيش وهى كان مستعدا لدخول فلسطين ؟ كتب الأستاذ احسان يقول :

« لا شك أن معالى حيدر باشا كان يعلم مدى النقص فى أسلحة الجيش وذخيرته ومعداته وتدريب جنوده ويعلم أن هذا النقص وصل الى حد أن أوقفت التدريبات السنوية لضرب النار وحدد الضرب بأقل من « المرتب » المعتاد فى بعض الوحدات وذلك لعدم وجود طلقات .. »

ويسترسل أستاذنا احسان فى مقاله ذاكرا له الاجتماعات السرية التى عقدت قبل الحرب وما دار فيها والحطة التى اتبعت وفشلها ويدعم ذلك بالوثائق والأوراق التى تحت يديه والتى هى صورة من تلك الأوراق التى يحتفظ بها فى وزارته ..

ويكتب احسان عبد القدوس مقاله الثالث بتاريخ ١١/٧/١٩٥٠ :

**انى اطالب بالتحقيق مع الفريق حيدر/ باشا
الفرق بين قيادة الجيوش ، وتفريق المظاهرات !
الحظة التى وضعها حيدر باشا وانتهت بالانسحاب
المواوى يقول : لقد كنت مأمورا بالتقدم رغم اعتراضى
فؤاد صادق يقول : انها رواية هزلية مثلت على مسرح فلسطين
البرقية التى أرسلها السفير المصرى ، وأهمها حيدر باشا
المواوى لم يكن له الا ستر المولى والتوكل على الله !!**

يقول فيه : « أنى أريد أن أحتفظ لحيدر باشا بجميع الصفات الحميدة أريد أن أقول عنه انه شجاع ونزيه وشهم وكريم وطيب وقد لا يدري.

معاليه مدى الألم الذى أعانيه عندما أضطر للخضوع أمام المنطق فأدع القلم ينزع عنه إحدى هذه الصفات أو بعضها !! ولكن الصفات الحميدة ليست مجرد كلام يقال ولا مجرد حروف تكتب ولكنها دائما صفات لأعمال فليقل لى معاليه أى عمل يمكن أن أنسبه اليه من بين مواقفه الأخيرة يستحق عليه لقب شجاع أو لقب شهيم أو لقب غيور على مصالح وطنه وجيشه ؟! « ٠٠ ويصرب له الأستاذ احسان مثلا من أمثلة الشجاعة والغيرة حدث فى مثل عوقفه اليوم ٠٠ الماريشال بيتان الذى طلب عقب هزيمة الجيش الفرنسى فى أوائل الحرب الأخيرة وفى عهد الاحتلال الألمانى أن يؤلف مجلس لتحقيق أسباب هزيمة الجيش الفرنسى وتحديد المسئولية عن الهزيمة ٠٠٠ طلب اجرا هذا التحقيق وهو القائد الأول للجيش الفرنسى وكان يمكن أن ينتهى المحققون اليه ويحملونه المسئولية وحده ولكنه وضع التقاليد العسكرية ومصالح جيشه فوق سلامته ومصالحته الشخصية ٠٠٠ رطالبه احسان أن يقتدى به ليختم عمره الطويل بموقف يؤهله لصفحة من صفحات التاريخ !! « ٠٠

يقول أستاذنا فى هذا المقال :

« حيدر باشا وهو وزير للحربية ٠٠ أخطر على الجيش من الأسلحة المغشوشة ، فإن السلاح المغشوش قد يتغلب عليه القائد الصالح ، أما القائد القاصر فقد ينهزم حتى لو لم يكن السلاح مغشوشا » ٠٠

سألت الأستاذ احسان ألم تتقدم الوزارة الى النيابة للتحقيق معك فى هذه المقالات احقاقا للحق وازهاقا للباطل ٠٠ كما سبق وأن قدمتك للنيابة العمومية للتحقيق معك فيما كتبتة عن صفقات الأسلحة الفاسدة؟! أجاب : « أبدا لم يحدث هذا على الإطلاق مما أثار دهشتى ودهشة مصر كلها من هذا العناد الغامض ولم أجد أمامى ازاء هذا الا الاستمرار فى الكتابة والتي لم تكن كتابة بقدر ما هى نقل لهمسات محبوسة فى صدور الضباط والجنود والأبطال ونقل لآيات السخط من فوق شفاه أرامل وأينام الشهداء ونقل للمعلومات الخطيرة التى تتلمل فى ظلام الأدرج ٠٠ وقد كتبت عن الحطة الحربية التى وضعها سعادته والتى اتبعت فى تأديب عصابات اليهود والتي انتهت بالانسحاب من فلسطين » ٠٠

ولا شك أن هذا اتهام خطير لأنه ليس للوزير أن يتدخل فى وضع خطة حربية فنية يجازف فيها بأرواح الجيش وسمعته وكرامته وهو اتهام لا يجرؤ على توجيهه الصحفى النائر احسان عبد القدوس ان لم يكن تحت يده دليل ٠٠

يقول الأستاذ احسان : « كان نست يدى دليل ينوم على وافعه واحدة
نشهد على جميع الوقائع ٠٠ فقد حدث ان وضع حيدر باشا خطته للاستيلاء
على بعض المستعمرات وحمل مدير مكتبه هذه الخطه الى رئيس هيئة اركان
حرب الجيش فى يوم ٢٢ يونيو ١٩٤٨ ولا تزال صورة من هذه الخطه
محفوظه فى ادارة العمليات الحربيه وأصلها محفوظ فى مكتب
الوزير ٠٠

وقد وضعت هذه الخطه تحت عنوان « مقترحات عن عمليات
حربيه مقبله » وقد نشرتها فى روز اليوسف ٠٠

ويكتب الصحفى الجرىء احسان فى روز اليوسف متسائلا : « كيف
أباح معاليه لنفسه أن يضع خطة حربيه فنيه ٠٠ وأى تجارب اعتمد عليها
ليغتصب لنفسه هذا الحق وأى ثقافة حربيه يتمتع بها معاليه ليجرؤ
حتى على أن يشير أو يقترح فى عمليات تحركات الجنود ٠٠ لقد تخرج
معاليه فى الكلية الحربيه عام ١٩٠٥ وعمل بالجيش عاما واحدا أمضاه
فى سلاح الخيالة للتدريب على ركوب الخيل ثم نقل الى سوارى بوليس
مصر وظل ضابط بوليس حتى نال رتبة أميرالاي ثم نقل وكيلا لمصلحة
السجون ثم مديرا لها فوكيل وزارة لها ثم وزيرا للحربيه ٠٠٠ فأى
تجربة فى هذا العمر الطويل تتيح لحيدر باشا التدخل فى وضع خطة
حربيه ٠٠ هل كان معاليه يعتقد أن انتصار جيش على الأعداء لا يستلزم
من الذكاء والعلم أكثر مما يستلزمه انتصار البوليس على احدى مظاهرات
عام ١٩١٩ ٠٠ وهل كان معاليه يعتقد أن قيادة جيش لا تستلزم من
البهمة والدراية أكثر مما تستلزمه قيادة مساجين مصلحة السجون ؟ ! »

ويكتب الأستاذ احسان تحت عنوان « طرائف حيدر باشا »
« فى سبتمبر عام ١٩٤٨ أرسل سعادة أحمد ثروت بك سفير مصر فى
باريس برقية خطيرة بالشفرة الى وزارة الخارجية المصرية وهذا نص
ما بها من معلومات :

« وصلنى من مصدر ثقة لا أشك فى سلامة أخباره أن اليهود
يجمعون حوالى ٤٠ ألف عسكرى فى النقب أمام القوات المصرية
للحصول على نتائج حاسمة من خلال النصف الاول من شهر الثوبر » .
وأحالت وزارة الخارجية هذه البرقية الى معالى وزير الحربيه الفريق
حيدر باشا فأحالتها بدوره الى رئاسة هيئة اركان الحرب وأحالتها هذه
الى ادارة العمليات وأحالتها ادارة العمليات الى القائد العام للحملة

وأحالها القائد العام الى قواده فكتب كل منهم على الاشارة التى تحملها
كلمة « علم » !! وكان هذا هو كل شيء ..

انه لشيء غريب حقا .. ففي الفرصة الوحيدة التى كان يجب ان
يتدخل فيها حيدر باشا ويشرف على استعداد القيادات لمقابلة هذا
الهجوم الذى يشير اليه السفير المصرى لم يفعل معاليه شيئا وانما
اكتفى بكلمة « علم » ..

يقول الأستاذ احسان : « وفي منتصف أكتوبر تحقق ما جاء في
برقية السفير وما علم به حيدر باشا قبل حدوثه بشهر فقام اليهود
بهجومهم المعروف الذى أعقبه الانسحاب ..

وطرفة أخرى يذكرها لنا احسان عبد القدوس : فقد حدث أثناء
الارتباك الذى صحب الانسحاب أن أرسل أمر انسحاب الفالوجا الى
المجدل وأرسل أمر انسحاب المجدل الى الفالوجا فتسلم سيد طه أمرا
نصه : انسحب عن طريق البحر » !! ..

ولعل حيدر باشا يعلم أن بين الفالوجا حيث قيادة سبده طه
والبحر أميالا ..

وطرفة ثالثة :

حدث أن قررت القيادة العامة فى القاهرة استرداد بير سبع وهى
من أهم المواقع العسكرية وكانت جميع الحملات التى دخلت فلسطين
من عهد نابليون حتى حملة النبي تتخذ منها قاعدة حربية هامة وكان
اليهود قد بذلوا الكثير فى سبيل اخراج الجيش المصرى منها .. أتدرون
كيف صدر الأمر لاسترداد بير سبع .. لقد صدرت اشارة الى
الأميرالاي فؤاد ثابت تحمل الأمر التالى :

بسريتين من الكتيبة الأولى احتياط استرد بنفسك بير سبع
والسرية لا يزيد عددها على مائة عسكري .. وقد اعتبر الضباط هذا
الأمر نكتة ، وتندروا فيما بينهم أن المقصود هو أن يسترد فؤاد ثابت
بير سبع بنفسه بفتح النون والفاء !!

ويستمر الأستاذ احسان فى ذكر طرائف حيدر باشا ويرجوه فى
نهاية المقال أن يشفق به ان لم يشفق بنفسه فيقول له : « حرام أن
تكلفنى بعد كل ما بذلته من جهد خلال الأسابيع الثلاثة الماضية ..

أن أكتب مقالا رابعا حتى تتحرك .. تحرك يا رجل .. واعفنى من مقال
الأسبوع القادم ...

ويكتب احسان عبد القدوس المقال الرابع بتاريخ ١٤/١١/١٩٥٠
تحت العناوين التالية :

انى اطالب بالتحقيق مع حيدر باشا
وزير الحربية يقول انه مشغول فى الأسلحة الفاسدة
حيدر القائد العام يحقق مع حيدر الوزير السابق
فؤاد صادق يأمر بعدم اطاعة أوامر حيدر باشا
كيف تعاون حيدر مع جلوب باشا لانقاذ الفالوجا
الخطة التى وضعت لابادة قوات الفالوجا ونسف أسلحتها
كيف تسرب الخطط المصرية الى اليهود

كتب يقول : « انى لا اطالب باستقالة معالى الفريق حيدر باشا
من منصبه بصفته قائدا عاما للقوات المسلحة بل انى لم أتحدث عنه
اطلاقا بهذه الصفة ولا اطالب حتى بالتحقيق معه تحقيقا مباشرا بل كل
ما اطالب به هو التحقيق فى أسباب انسحاب الجيش المصرى من فلسطين
تحقيقا اداريا و فنيا ينتهى بتحديد المسئولين عن هذا الانسحاب ..
وأسئلة قائلة : هل ما طالب به احسان عبد القدوس به ما يجافى
المنطق ؟ وهل كان يحتاج المنطق الى أربع مقالات يحرق فيها دمه
وأعصابه ليقنع معالى وزير الحربية فيهتم باجراء هذا التحقيق !!

يقول الأستاذ احسان : « لقد قيل لى على لسان معالى الأستاذ
مصطفى نصرت أن معاليه قد حضر كل جهده فى مشكلة استيراد
الأسلحة الجديدة وأنه بلغ من حرصه على أعمال وزارته أن يطلع على كل
ورقة صغيرة أو كبيرة بنفسه قبل أن يوقعها حتى أنه أصبح يتناول طعامه
فى بيته وبين يديه أعمدة من الدوسيهات يقلبها بينما يقلب اللقمة بين
شذقيه وهو لذلك قد ضاق وقته عن الاهتمام بفتح تحقيق ادارى وفنى
فى أسباب انسحاب الجيش » ..

ويطالب احسان عبد القدوس حيدر باشا القائد أن يحقق
مع حيدر باشا وزير الحربية السابق ليعترف بالأخطاء التى وقعت فى
عهد كوزير للحربية ويعد هذه الأخطاء ولعل أبرزها تسرب الخطط الحربية

المصرية الى اليهود .. فقد نبت ان اليهود نانووا على علم بالخطة التي رضعها جلوب لايادة قوات الفالوجا عن احرها قبل ان يعلم بها فؤاد باشا صادق (القائد العام) ولكن فؤاد صادق وضع خطه اخرى طلب فيها معاونة جلوب لفك الحصار على الفالوجا فرفض جلوب ان يتعاون في تنفيذ هذه الخطه .. وقد حدث أن أسرع الصاغ معروف الحضري وهو الذي يحمل تفاصيل الخطه الى الفالوجا فكان أول سؤال وجهه اليه رجال قلم المخابرات الاسرائيلي هو « لماذا لم ينفذ الجيش المصرى خطة انسحاب الفالوجا التي رضعها جلوب » .. وهذا السؤال نفسه سمعه رجال راسميون في مناسبة رسمية ومع ذلك لم يفقد حيدر باشا ثقته في جلوب باشا ..

ويكتب احسان : « كان يجب أن يعلم حيدر باشا أن اليهود على علم بهذه الخطه منذ أن تركوا القافلة المكونة من خمسة وأربعين جملا التي حملت أوامره ، تمر في هدوء الى الفالوجا دون أن يتعرضوا لها وقد أمر السيد طه بنحر أربعين جملا من هذه الجمال لتموين جنوده وأعاد خمسة جمال فقط الى بيت لحم بصحبة معروف الحضري تحمل المرضى وبعض المدنيين فاعتدى اليهود على هذه القافلة الصغيرة وأسروا معروف وقتلوا واحدا من الرجال واستطاع الباقون أن يتشتتوا ..

ويتساءل احسان عبيد القدوس ألا تكفى هذه الحادثة وحدها للتحقيق وهل لو نفذت خطه جلوب وأبيدت قوات الفالوجا كاسلة واستحلت دماء رجالها باردة لليهود فهل كان أحد يفكر في التحقيق ؟
قد لا يكفي كل هذا ..

ويختم مقاله قائلا : « حيدر باشا نفسه يعلم أنى لم أنته من كل ما يمكن نشره ويؤدى الى التحقيق معه وأنا لم أتعجب .. ولكن من يدري ؟ قد يكون

وفعلا قد كان وقدم حيدر باشا استقالته قبل أن يواجهه كاتبنا بمزيد من الوقائع والمحاضر والمستندات التي تدينه وتلوث تاريخه الطويل ..

وهذه المقالات الأربع تعد من أهم الانتصارات الصحفية التي حققها الأستاذ احسان عبد القدوس على مر تاريخه الحافل بالانتصارات ..

١٣ - احسان يؤيد ٠٠ ويهاجم ٠٠ النحاس باشا

كان المد الثورى قد بلغ مداه فى المطالبة بجلاء الانجليز عن مصر ، كانت المفاوضات المتتالية تفشل واحدة تلو أخرى ، حتى وصلت الى طريق مسدود ٠٠ الانجليز يرفضون التسليم بالجلاء والوفد غير قادر على الاستسلام لشروطهم تحت ضغوط التيار الشعبى المتزايد ٠٠

« ويجتمع البرلمان فى جلسة تاريخية مساء الثامن من اكتوبر عام ١٩٥١ ليستمع الى مصطفى النحاس وهو يعيش لحظة من لحظات الزعامة الغابرة وهو يعلن بقوة (٠٠٠ من أجل مصر وقعت معاهدة ١٩٣٦ ومن أجل مصر اطالبكم اليوم بالغائها ٠٠ »

وعلى الفور كتب احسان عبد القدوس مقالا فى افتتاحية العدد رقم ١٢١٧ من مجلة روز اليوسف والذى صدر صباح الاثنين التاسع من اكتوبر عام ١٩٥١ أى فى اليوم التالى مباشرة لهذا القرار التاريخى يؤيده قائلا : بأن المراسيم بمشروعات القوانين الخاصة بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى سنة ١٨٩٩ ، وعلان دستور السودان ٠٠ انما هى تعبير صادق عن الثورة التى أفرغنا العمر فى المناداة بها ٠٠ والحكومة التى تضع هذه المراسيم موضع التنفيذ العملى : هى حكومة الثورة ، ونحن جميعا معها ، نهتف فى هتافها بسقوط الاستعمار الانجليزى : ونحن جميعا معها ، يدا واحدا فى التضحية والجهاد ، ما دامت قد فتحت لنا أبواب الكفاح والجهاد ٠٠ انها مراسيم لا بكفى أن يتقدم بها

رئيس الوزراء ، ولا يكفي أن يقرها البرلمان ، بل يجب أن تصبغ بالدم ، ويزكى عنها بالمال والبنين .. انها دعوة لكل مصرى أن يستعد للتضحية الكبرى ..

ولكن هل يعتبر هذا التأييد من جانب الأستاذ احسان تراجعا عن موقفه العام من حكومة الوفد ؟ ومن السلطة بوجه عام !!

يجيب الأستاذ احسان عن ذلك قائلا :

« لم يكن هناك أى تناقض مع موقفى العام من حكومة الوفد ومن السلطة بوجه عام .. فهو موقف الخصومة المستمرة ما دامت هذه السلطة مستمرة فى عدرانها على حرية الشعب وحقوقه .. ولهذا كان طبيعيا ، بل كان واجبا على أن أقف الى أبعد مدى مع الحكومة عندما ألغت معاهدة ١٩٣٦ ، لأن هذا القرار فى الواقع ليس ملكا للحكومة ، بل هو قرار الشعب المصرى كله ، واذا كانت الحكومة الوفدية قد واثتها الشجاعة للتعبير عن ارادة الشعب بإصدار هذا القرار ، فقد كان واجبي أن أنحاز الى جانبها فى تلك اللحظة التاريخية ، بصرف النظر عن كل ما أثير حول الأسباب التى حدثت بحزب الوفد الى الغناء معاهدة ١٩٣٦ ، .. »

لقد كانت الصحوة الأخيرة لزعامة النحاس الشعبية القديمه تمثل دورا أساسيا فى قرار الغناء المعاهدة حيث كان حزب الوفد قد تقدم للحكومة البريطانية فى شهر مارس عام ١٩٥٠ ، بطلب اجراء مفاوضات عاجلة حول جلاء قواتها عن مصر ، ووافقت بريطانيا على الطلب ، ولكنها أخذت تراوغ فى المفاوضات التى طالت حتى بلغت مدتها ١٩ شهرا بلا فائدة ، فى الوقت الذى كان الشعب فيه يغلى ثورة وغضبا ، عندما وصلت المفاوضات الى طريق مسدود بسبب مشروعات الدفاع المشترك وغيره من المشاريع الاستعمارية ، وجدت حكومة الوفد نفسها واقعة بين مطرقة الشعب الغاضب وسندان الحكومة البريطانية بكل برود أعصابها ورغبتها فى كسب الوقت .. وكان الغناء المعاهدة هو الحل الوحيد أمام الحكومة لكى تبقى على مابقى لحزب الوفد من ثقة فى نفوس الجماهير ..

وكان موقف انجلترا من هذا القرار واضحا اذ أسرعت السفارة البريطانية فى مصر وأذاعت بيانا فى نفس ليلة الغناء المعاهدة مساء يوم

٨ أكتوبر ١٩٥١ تقول فيه : « ان الغاء الحكومة المصرية لمعاهدة ١٩٣٦ من جانبها وحدها ، عمل غير قانوني ، ويخالف أحكام المعاهدة ٠٠ !! » وأن الحكومة البريطانية تعتبرها سارية المفعول ، وتعتزم التمسك بحقوقها التي تكفلها لها المعاهدة ٠٠ ! ويسارع هربرت موريسون - وزير خارجية إنجلترا في ذلك الوقت الى الرد على قرار الحكومة المصرية بتصريح يقول فيه (ان بريطانيا لن تتردد في استخدام القوة اذا اقتضى الأمر ، لابقاء قواتها في منطقة قناة السويس ٠٠٠ وانها لن تدعن لمحاولة مصر تمزيق المعاهدة ٠٠ !! »

يلقى الأستاذ احسان على ذلك قائلا : « أن « ونستون تشرشل ، وكان وقتها زعيما للمعارضة في إنجلترا قد اتجه للقول « بأن اقدام حكومة مصر على اجلاء الانجليز عن منطقة قناة السويس يعتبر ضربة أخطر ، وأكثر مهانة لكرامة بريطانيا عن اضطرارها الى الجلاء عن عبدان بايران » ٠٠٠ أما القصر الملكي فقد أرسل على الفور رسله الى السفارة البريطانية مؤكداين لسفيرها - سير رالف ستيفنسون - بانهم غير راضين عن ذلك القرار الأحدث من وجهة نظرهم والذي اتخذته حكومة الوفد ٠٠ ووصل الأمر بأحد سفراء مصر في الخارج - وكان معروفا بولائه الشديد للملك ٠٠ !! أن أدلى بتصريح لصحيفة « نيويورك تايمز » الأمريكية ، أعلن فيه « أن الحكومة المصرية ترحب دائما - بصرف النظر عن أية قرارات - بالتعاون مع بريطانيا ٠٠ !! » ٠٠

ولكن ما موقف الشعب المصرى الثائر عن هذا القرار التاريخي ؟

يقول الأستاذ احسان :

« تآن المفروض - بعد أن ألقى النحاس بيانه الوطنى فى البرلمان، أن تقوم المظاهرات تأييدا له ولبيانه ٠٠ وكان يجب أن تكون هذه المظاهرات من القوة والجلال بحيث تضم الطبقات العاملة المثقفة ، وبحيث تشترك فيها كل نقابات المحامين والمهندسين والأطباء والعمال ، ويشرف على تنظيمها النواب والشيوخ ، كتعبير أولى عن وقوف الجميع وراء القرار ٠٠

« ولكن للأسف الشديد لم يكن هناك تنظيم لحركة الشعب الثورية المؤيدة لالغاء المعاهدة ، فقد انطلقت بالفعل بعض المظاهرات سواء فى القاهرة أو فى غيرها من المدن المصرية ولكنها كانت بوجه عام مظاهرات هزيلة وغير منظمة ولا تتكافأ فى حجمها شكلا وموضوعا مع عظمة القرار التاريخي الذى انطلقت لتأييده .

ولكن هل ظل تحرك الشعب على هذه الصورة العفوية اثر القرار التاريخي بالغاء معاهدة ١٩٣٦ ..

يقول الأستاذ احسان :

« قد حاول بعض الشرفاء ان يتحركوا لانقاذ الموقف وحماية حركة الشعب من انتكاسة قد يحدثها التفكك الذى بدأ فى القيادات الحزبية، ونبعت فكرة قيام حكومة جبهة وطنية نقود معركة الشعب ضد الاجليز الذين أعلنوا صراحة تمسكهم ببقاء الاحتلال - ولكن فكرة الجبهة الوطنية التى تمثل فيها جميع الأحزاب لم تلق قبولا لدى الملك - الذى كان قد قرر نهائيا التخلص من النحاس ومن حكومة الوفد بعد أن خرجت على طاعته بقرارها التاريخي - كذلك لم يرحب مصطفى النحاس نفسه بالفكرة .. ربما خوفا من دسائس تدبر لحزبه داخل الحكومة الائتلافية المقترحة ..

ونبتت فكرة أخرى هى قيام جبهة شعبية غير رسمية تضم الأحزاب والتنظيمات غير المشتركة فى الحكم .. والجناح المتحرر من الحزب الحاكم .. وحدثت فى هذا الشأن أحمد يوسف الجنسدى .. وعقد الاجتماع فعلا فى مكتب المرحوم حمادة الناحل المحامى .. ولكن الاجتماع لم يصل الى نتيجة مرضية لأن الخلافات بين المجتمعين كانت - مع الأسف - أقوى من كل رغبة فى قيام التجمع الوطنى الشعبى الذى أردنا قيامه كقيادة شعبية تملك حرية الحركة التى قد لا تتوفر للحكومة كهيئة رسمية .. »

ولكن ما رأى احسان عبد القدوس الشخصى فى فشل الاتحاد بين الأحزاب السياسية القائمة حينئذ والوافق بينها من أجل مواجهة معركة المصير التى كان يجتازها الشعب المصرى عقب الغاء معاهدة ١٩٣٦ .. وعزم انجلترا على مقاومة الغاء القرار ولو بالقوة وارسالها بالفعل قوات اضافية الى مصر لكى تنضم لقواتها العسكرية المرابطة فى منطقة القناة ..

يقول الأستاذ احسان :

« اعتقدت يوما أن كل حزب من الأحزاب المصرية ، يمثل طبقة معينة .. كنت أعتقد مثلا أن حزب الوفد يمثل الطبقة الشعبية الفقيرة . وأن السعديين يمثلون الطبقة الوسطى من رجال الأعمال الحرة

والتجار ٠٠ وأن الأحرار الدستوريين يمثلون طبقة كبار أصحاب الأملاك وأبناء البيوتات ٠٠ وكان اعتقادى السابق مجرد نظرية ٠٠ وعندما حملت هذه النظرية المجردة لأطبقتها على أرض الواقع فجمعت لأننى وجدت أن الأحزاب المصرية جميعها تمثل طبقة واحدة ٠٠ متفقة المصالح والأهداف والأهواء ٠٠ هى طبقة كبار الملاك وأصحاب الأفيان ٠٠ وهى الطبقة التى كان يمثلها فى الوفد فؤاد سراج الدين « باشا » ويمثلها فى الأحرار الدستوريين « أحمد عبد الغفار باشا » ٠٠ ويمثلها فى السعديين « سامح موسى بك » ويمثلها فى الحزب الوطنى « عبد العزيز الصوفانى بك ومحمد محمود جلاك بك » ٠٠ ولهذا كانت الأحزاب المصرية كلها متفقة فى برامجها ٠٠ ولهذا أيضا كانت الحكومات المصرية - كلها - متفقة فى سياستها وأهدافها ٠٠ ولهذا ثالثا ٠٠ لم يعد غريبا فى مصر أن ينتقل شخص من حزب الى حزب - فيترك الوفد الى حزب الأحرار الدستوريين أو العكس - وأن يبدل هذا الشخص أو ذلك لونه السياسى كما يبدل جواربه دون أن يفقد مكانته السياسية ، ودون أن يثير غرابة أو استمرازا ٠٠ لأنه عندما ينتقل من حزب الى حزب لا يحتاج الى تغيير مبادئه ٠٠ لأن كل الألوان السياسية قد ذابت فى لون واحد ٠٠ ولهذا أيضا ٠٠ كانت حجة كل حزب - الحجة الوحيدة - عندما يائم فى حق البلد ٠٠ أن الحزب الآخر قد أثم قبله فى حقها ٠٠ ، ٠٠

أن كاتبنا عاشق لمصر ٠٠ التاريخ والأرض والشعب ٠٠ وجه العظيم لمصر هو الذى دفعه للثورة على خطايا الحكم - حين رأى الأحزاب والقصر والاستعمار يعقدون حلفهم غير المقدس ضدها .

وهنا أستعين ببعض مقالاته المثيرة التى فجر بها الطاقات الثورية لشعب مصر عقب إلغاء معاهدة ١٩٣٦ .

حيث يقول فى العدد رقم ١٢٢٦ فى ١١/١٢/١٩٥١ تحت عنوان « الرجل الغائب » :

« ويقود المعركة الآن شبان فدائيون وهبوا أنفسهم للموت وهم الذين نسفوا محطات المياه والمجارى وقاموا بهذه الهجمات على المعسكرات الانجليزية ولكنهم قلة وينقصهم السلاح والمال والحكومة لا تمددهم بالمال ولا بالسلاح ولا بالرجال وقد أغلقت فى وجوههم باب التبرعات وباب التطوع العلنى حتى أصبحوا الآن جمعيات سرية لم يعلم عنها الا المتصلون بها لماذا اختفى الرجل المسئول هذا الاختفاء المريب فى

هذه الظروف المريبة أم أن أمرا صدر اليه بالاختفاء ؟ ثم لماذا يمنع وزير الداخلية المظاهرات وتغلق وزارة المعارف المدارس .. هل يمكن أن تذيب السويس بينما تظل القاهرة ساكنة وكان شيئا لم يحدث ؟ .. أن المظاهرات ليست فقط تعبيرا عن العواطف ولكنها أيضا تعطيل للمصالح مشاركة في الاحتجاج .. وتعطيل المصالح هو وحده الذي يدفع الدول كلها الى التحرك لايجاد حل للأزمة القائمة ..

ورغم ذلك فالوقت لم يفت .. فاما أن نعمل واما أن نعتزل « ..

وفى مقال آخر تحت عنوان : « الحكومة معنا .. أم علينا » فى العدد ١٢٢٥ الصادر ١٢/٤/١٩٥١ كتب الأستاذ احسان يقول :

« منذ أن ألغيت المعاهدة وأعلنت حالة العداء بين مصر وبريطانيا وأنا أصرخ مطالبا بأن يتحمل الشعب وحده المسئولية كلها ومطالبة الحكومة بأن تفسح الطريق للشعب ليتحمل المسئولية .. فهل تحمل الشعب المسئولية ؟ وهل أفسحت الحكومة له الطريق وشجعتة على المضى فيه ؟ .. أين الثورة المسلحة التى تشمل مصر كلها ويجند فيها شبابها وأموالها ومرافقها ؟ .. وأين زعيم الثورة .. خطيب الجماهير ومنظم الجموع ومدبر خطط الهجوم ؟ لقد رأيت الحكومة كيف استجاب الشعب لها عندما سمحت له بالسير فى مظاهرات صامتة ضد الانجليز .. فلماذا لا تسمح له بالسير فى مظاهرة مسلحة ينطلق فيها الرصاص وصرخات الانجليز ؟ أما الحكومة فقد نادينا منذ اليوم الأول بأن تكون حكومة ثورة .. فأين هى الثورة ؟ وأين هو زعيم الثورة ؟ أن النحاس باشا لا يستطيع أن يحتج بالمرض وكبر السن عن قيادة الجماهير ، فمصدق فى مثل عمره وأشد منه مرضا ورغم ذلك استغل كبر سنه ومرضه فى اثاره الجماهير وتوجيهها ..

ثم اختتم مقاله قائلا : « أخشى أن أقول أن الحكومة تخشى تحرك الشعب أكثر مما يخشاه الانجليز خصوصا اذا كان شعبا مسلحا !!

وفى مقاله فى العدد ١٢٢٨ الصادر يوم ١٢/٢٥/١٩٥١ تحت عنوان : « قطرات الدم فى فنجان الشاي ، ورائحة الجثث فى قطع الحلوى » كتب الأستاذ احسان بقول :

« توجهوا الى القتال أيها المصريون وانتحروا أمام رصاص الانجليز .
فهناك أمل كبير .. أمل لا في الجلاء ولا في الوحدة ولكنه أمل في أن
يتقابل الوزيران مرة ثانية وربما قوى الأمل حق يصل الى دعوة
النحاس باشا شخصيا الى لندن ليقابل تشرشل شخصيا .. جودوا
بدمائكم وأرواحكم أيها المصريون فاننا لم نجد بالدم والروح منذ عام
١٩١٩ الا في سبيل مثل هذه المقابلات .. مقابلات سعد وملنر ،
ومقابلات محمد محمود وهندرسون، ومقابلات النحاس وماكدونالد .. الخ .
انر، اكتب والقلم يكاد يطق غيظا وينفث السطور كحمم النار .. كيف
رضى صلاح الدين وهو الرجل الوطني الذي تعودت أن أتق به .. أن
يقابل ايدن حول مائدة شاي ويصافحه باليد .. بينما الانجليز يقابلون
المصريين في ميدان القتال ويصافحونهم بطلقات الرصاص ؟

« والدرس الأول الذي يجب أن تتعلمه الحكومة هو أن الشعب في
أوقات الحروب والثورات يتكون كله من طبقة واحدة .. فلا غنى ولا فقير
ولا قريب ولا بعيد ولا كبير ولا صغير .. وانما كلنا ثوار ، ..

... وفي مقال نشر في العدد ١٢٢٧ بتاريخ ١٨/١٢/١٩٥١ تحت
عنوان « كونوا رجالا .. وتعلموا كيف تكون حكومات الثورة » كتب
الأستاذ احسان يقول :

« لو أن الحكومة ألغت المعاهدة ، ثم رفعت يديها أمام الشعب وقالت
وأمرها لله : هذا هو كل ما أستطيعه .. لوجدنا لها بعض العذر ، وربما
كل العذر .. ولكن الحكومة ألغت المعاهدة وقالت انها أعدت للأمر عدته
وانها استعدت حتى آخر زرار في سترة جندي - كما يقول المثل الفرنسي -
ثم اعتذرت عن التصريح بما أعدته بأن ليس من اللباقة ولا من شيم القواد
الكبار المحنكين أن يكشفوا عن أوراقهم أمام العدو .. وأعقب ذلك سلسلة
من التصريحات الرسمية نهدد الانجليز بالويل والثبور .. وعظائم
الأمور ..

ويختتم الأستاذ احسان مقاله قائلا :

« لقد حددت الحكومة مطالبها صريحة بعد ان أعلنت انه لا امل في
أى مفاوضات ولهذا أعلننا الثورة فاما أن تجاب مطالبنا بلا مفاوضة واما أن
نستمر ثائرين .. وبعد .. هل هي حرب أم ثورة أم مظاهرة ؟ انها
مظاهرة .. فضوها أو كونوا رجالا وتعلموا كيف تنور الأمم وتكون حكومات
الثورة .. »

... وهكذا استمر أستاذنا بثورته ووطنيته معبئا الرأى العام
استعدادا لمعركة المصير بعد أن ينس من حكومة الوفد ابان عجزها عن
مسايرة الجماهير غير مبال بالقصر وأعدائه ولا يعرف في نضاله معنى اليأس
ولا الهزيمة .

١٤ - احسان موردا للسلاح

تعرض الأستاذ احسان ذات يوم لحملة قاسية من التجريح الشخصي .. شنتها عليه صحيفة صوت الأمة .. لسان حال حزب الوفد وركزت هجومها ضده ، على أنه ابن ممثلة ، وأنه مثل أمه لا يفهم فى السياسة ويجب عليه أن يتعد عنها .. !! وغضب احسان غضبا شديدا لهذا التجريح المسف ، وفكر فى اعتزال الصحافة والعودة للمحامة .. وأحست أمه - فاطمة اليوسف - بما يعاينيه ، فقدمت له مجموعة أعداد من مجلة « الكشكول » التى كان يحررها سليمان فوزى باسم « الأحرار الدستوريين » وبها شتائم وسباب شخصى موجه لأمه .. وعندما رأت الدهشة تملو وجهه وهو يقرأ هذا السيل من العفن من السباب الرخيص .. ابتسمت قائلة .. من الذى بقى يا ولدى .. الكشكول أم روز اليوسف .. يا ولدى .. اذا شتمك خصمك فى الرأى ، استبشر خيرا .. فهذا دليل عجزه .. !! واذا كنت قويا فذع العجزة وامض فى طريقك .. !!

وفى وقت من الأوقات اقترح عليه البعض ألا يكتب عن فساد الأداة الحكومية ولا عن الدستور ولا عن حقوق الشعب بل يكتب عن القرع والقوطة والخيار !! .. أو أن تصدر روز اليوسف وصفحتها الأولى بيضاء وليس فيها الا توقيعه ، ..

يعلق الأستاذ احسان على ذلك ويقول :

« لقد رفضت وأرفض لأننى لا أؤمن بالاحتجاجات السلبية مهما كان

الثمن !! » ..

ولكن هل اقتصر دور الصحفي الثائر عقب الغاء معاهدة ١٩٣٦ على تلك المقالات الثورية فى الوقت الذى تحرك فيه الشباب الثائر على شكل جماعات فدائية من القاهرة الى منطقة القناة لى تقوم بحرب العصابات المشروعة ضد المحتل الانجليزى معلنة سخطها ورفضها التام فى وجوده على أرض مصر ..

يقول الأستاذ احسان : « لم تصفق انجلترا لقرار النحاس ، بل سارعت بارسال تعزيزات لقواتها المرابطة فى القناة .. وفى يوم ١٣ أكتوبر عام ١٩٥١ عقب صدور القرار ببضعة أيام - وصل الى ميناء بور سعيد ثلاثة آلاف جندي بريطانى ، مزودين بأحدث الأسلحة للانضمام الى العسكرات البريطانية وعندما توجهوا الى محطة السكة الحديد لركوب القطارات التى ستقلهم الى معسكراتهم فوجئوا بعمال السكة الحديد يرفضون تشغيل القطارات ، وكانت هذه اشارة البدء فى التحرك العملى للجماهير الثائرة .. انطلقت بعدها قوى الشباب ، لتشكيل الجماعات الفدائية من الاخوان المسلمين ، وحزب مصر الاشتراكي .. وطلبه الجماعات .. وأثارت حماسة الشباب وفدائيتهم روح النضال فى العناصر التى احتفظت بنقاها من قيادات مصر .. وكان على رأسها المرحوم الفريق عزيز المصرى ، الذى تقدم لقيادة واحدة من أهم المنظمات الفدائية هى منظمة « خالد بن الوليد » .. واتصل بى عزيز المصرى طالبا معاونته فى المنظمة ولم أتردد فى الموافقة ..

فهناك لحظات فى حياة أى شعب تحتم على أى فرد متوافق مع مجتمعه - أو مع الأغلبية الساحقة فى هذا المجتمع .. أن ينسب نفسه وأن تذوب شخصيته الفردية فى الشخصية الكلية لمجتمعه فإذا به ينسى لغته الخاصة وعواطفه الخاصة ، لى يتحرك بايمان وصدق كاملين مع حركة الجماهير كلها .. وهذا ما واجهته فى أواخر عام ١٩٥١ .. فقد كان الأمر محسوسا بشكل لا مجال فيه لأى تردد .. وكانت كل الأطراف قد حددت موقفها فى القضية بما لا يدع مجالاً للشك فى نوايا كل منهما .. الملك والاستعمار والقوى المستغلة فى جانب .. وجماهير الشعب بتجمعاتها

السفوية أو المنظمة في جانب آخر .. وكان الجانب المعادى قد حدد لغة التفاهم الهجدة في القضية على لسان القائد الانجليزي في الشرق الأوسط الذي أعلن صراحة ان انجلترا لن تنزدد في استعمال القوة للاحتفاظ بمكانها على القناة .. وكان على جماهير الشعب الغاضبة ان نرضح للتهديد تستسلم له .. أو تقبل التحدي وتخاطب المستعمر بلغته التي يفهمها .. وقد قبلت جماهير الشعب التحدي ، وأسرعته عناصم الشباب الفدائي تتقدم المسيرة داعية كل مصر - وخاصة الأسماء البارزة على سطح الحياة السياسية والاجتماعية الى تحديد موقفه .. وقد حددت موقفي بسرعة ، وقبلت الاشتراك في منظمة « خالد بن الوليد » التي يتوحد بها عزيز المصري ، ورغم أنني لم أحمل في حياتي مسدساً ، فقد كان عليّ - كأمين لصندوق المنظمة - أن أتولى تدبير موارد المنظمة وامداد شبابها المناضل بالمال والطعام والسلاح والذخيرة .. وتحولت روزاليوسف - المجلة - وقتها الى مخزن للسلاح .. وتحولت مكاتب الادارة الى « سلاحليكي » به كل أنواع الاسلحة ، كما تحولت أدرج المكاتب الى صناديق للذخيرة الحية .. ورغم اضطرابي - بل وفزعى - الطبيعي عند رؤية أى سلاح نارى مهما صغر ، فقد كنت أجلس أيامها في مكتبي وحولى في حجرتي الخامسة عشرات المدافع من مختلف الأعيرة ومئات البنادق ، وكلى اطمئنان وهدهد ، واثني أجلس وسط غابة من الزهور والورود الجميلة .. !! وليس ما حولى آلات حرت تمثل أحدث ما وصل اليه العقل البشرى من أدوات الفتك والدمار .. بل أن الموقف وحاجة المنظمة الى مزيد من السلاح والذخيرة - دفعتني ذات يوم للقيام بأغرب رحلة يقوم بها صحفى .. فقد سافرت الى الصعيد بصحبة صديق لكى أجمع كل ما نستطيع الحصول عليه من السلاح والذخيرة ، سواء لدى تجار السلاح المنتشرين في عواصم محافظات الوجه القبلى ، أو في حوزة الرجال المختلفين فى كهوف الجبال على امتداد ضفتى النهر .. وأشهد أنهم جميعاً كانوا يسارعون بتقديم كل ما يملكون من سلاح وذخيرة لكى تضعه المنظمة فى أيدي الشباب الذى تقدم مسيرة النضال ضد المستعمر .. »

ويعلق الاستاذ احسان على هذه الفترة من تاريخ مصر قائلاً :

« ان الأحداث المضيئة فى حياة أى شعب تصنعها شخصيات مضيئة ونماذج مشرفة .. وقد لمست فى تلك الفترة نماذج من الشعب كادت تصل فى تجردها من كل مصلحة سوى مصلحة مصر - الى مرتبة الملائكة الأظهار .. ولست أنسى من هذه النماذج صورة شاب اقتحم مكتبي ذات

ثيلة بالمجلة ، ليقدم لى نفسه بايجاز وغموض مثير ٠٠ أنا من الصعيد ٠٠ وأطلب سلاحا لأنضم به لمن يقاتلون عدو بلدى ٠٠ فهل تعطيني، ما أطلب؟ ولم أسأله عن اسمه ٠٠ ولم أجد بنفسى أدنى حاجة لكشف شخصيته ٠٠ كانت نبرة صدقه أقوى من كل شك ، ودفء الاخلاص الذى اشاعته حرارة حماسه فى نفسى ، أسمى من كل حاجة للتأكد من شخصيته وأعطيته ما يريد ٠٠ وخرج من مكتبى لينضم لصفوف المحاربين فى القتال ٠٠ وسافر الفتى ٠٠ وحارب عدو بلاده طوال الفترة التى سمحت فيها الحكومة للمنظمات الفدائية بالعمل ٠٠ وعندما أقيمت حكومة الوفد ٠٠ وتتابع الأحداث فى الحط الذى رسمه الملك بالتعاون مع الاستعمار ٠٠ فوجئت بصاحبى زائر الليل الغامض يدخل على فى منتصف احدى الليالى ٠٠ ويبيده مدفعه الذى استعاره منى ٠٠ ورد الى المدفع فى سكون ٠٠ ولحمت ساقه المصابة التى يعرج بها ٠٠ وحاولت أن أسأله المزيد عن شخصيته ٠٠ ولكنه أخفى بطولته وراء ابتسامة غامضة فيها من التواضع والاعتذار أكثر مما فيها من الفخر بما صنع من أجل مصر ٠٠ ومثل هذه النماذج كانت تشعل نار الغضب فى نفسى ٠٠ ونزید من كراهيتى للمعسكر المعادى للشعب ٠٠ وتزید من اندفاعى فى الكتابة عن خصوم الشعب ، وعن مبادئهم ، لأزید فى تعريتهم أمام الجماهير الغاضبة ، ولأزید من اصرار الثوار على المضى بثورتهم حتى النهاية ، التى تخلص مصر وشعبها من تلك الطبقة المستغلة ، المستبدة ، ٠٠

ويصف الأستاذ احسان الفدائيين المصريين حينذاك قائلا :

« كانت قوة الفدائيين المصريين فى القتال ٠٠ قد وصلت الى حد محاولة اغتيال البريجادير جنرال اكسهايم قائد القوات البريطانية فى الاسماعيلية ٠٠ وحين جنون القيادة البريطانية وقررت القيام بعمل نحاول به استعادة هيبة بريطانيا فى المنطقة ٠٠

٠٠٠ وهنا ينهى أستاذنا احسان حديثه معى عن ذكرياته الطويلة الحافلة بالنضال الثورى قبل ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ضد اخوانه اعداء الشعب سواء الملك رأس النظام وأعوانه او الاحزاب انسياسيه المتعنه القائمة فى ذلك الوقت والاستعمار الانجليزى الغاصب ٠٠ ذلك الثالث الذى عانى منه الشعب المصرى طويلا الى أن تفجرت ثورة ٢٣ يوليو المجيدة ويقول لى :

« أننى حينما أسنرجع ما كتبتة فى هذه الفترة الطويلة تأخذنى
الدهشة... كيف كنا نستطيع أن نكتب، وننشر كل هذا... منتهى الحرية...
وكانت حرية النشر تصل الى مستوى واسع حتى أيام الحرب العالمية التى
فرضت الأحكام العرفية والرقابة على الصحف ولم تكن حرية ممنوحة من
الحاكم ولكنها كانت أساسا حرية مستمدة من المجتمع المصرى الذى كان
قائما أيامها... المجتمع السياسى والمجتمع الاقتصادى والمجتمع الفكرى
... كان مجتمعا تتصارع فيه الآراء والأحزاب والطبقات ومن طبيعة أى
صراع انه يتطلب الحرية وفى عام ١٩٥٠ - أيام حكومة الوفد - الغيت
الأحكام العرفية والرقابة على الصحف وأطلقت الحريات حتى آخرها وكانت
فترة هذه الحرية هى التى أدت الى قيام ونجاح ثورة ٢٣ يوليو عام
١٩٥٢... »

وبعد الثورة تجمدت الحريات فى جميع مجالاتها... الحرية الفكرية،
والحرية السياسية ، والحرية الاقتصادية والحرية الاجتماعية جمدت كل
الحريات... ولم تعد مصر تعيش مجتمع الصراعات التى تتطلب الحرية
لأن الثورة جمدت كل صراع... »

وقد كانت مصر فى حاجة الى الحرية بعد الثورة أكثر مما كانت فى
حاجة اليها قبل الثورة ، لا لتتغلب على الثورة ولكن لتستمر بها فى
طريق البناء... ولأن الحريات ليست كاملة فبناء الثورة لن يكتمل
أبدا... »

١٥ - علي ماهر رئيسا لأول وزارة بعد الثورة .

كتب أستاذنا في مجلة روز اليوسف قبل الثورة بإيام يقول :
« لن يدفع الشعب المصرى الى الأمام الا رجل يؤمن بالشعب وينق
به ويتكفل عليه ... »

« .. لنعمل .. لنحمل السلاح الى أن تتصدى لنا الحكومة وتنتزعه
من أيدينا فيكون لنا موقف آخر ولنقاتل الانجليز قتال الثورة .. الى أن
تقف الحكومة فى وجهنا فننتقلب الى قتالها ... ولنكتب منادين بالثورة
الى أن تصادر الحكومة صحفنا فنصادرها من الحكم .. لنعمل أما اذا كنا
نخاف الحكومة فكيف اذن لا نخاف الانجليز !؟

ترى هل كان كاتبنا يعلم بساعة الصفر لثورة ٢٣ يوليو العظيمة ؟

يقول أستاذنا احسان : على الرغم من كل ما أشيع من قبل ،
عن علاقتى بتنظيم الضباط الأحرار الذى قاد الثورة فالحقيقة التى أعلنها
الآن .. اننى حتى الساعة الخامسة من صباح يوم ٢٣ يولية عام ١٩٥٢ ،
لم أكن على علاقة بتنظيم الضباط الأحرار ولكنى كنت على علاقة بكثير من
النسباط دون أن أعرف أو أهتم بمعرفة أنهم من الضباط الأحرار أو من
ضباط تنظيم من التنظيمات القائمة داخل الجيش .. ولم يكن يعينى

هذا .. فأنا أولا وقبل كل شيء كاتب سياسي ، وأديب قصصى لا أكثر .. هكذا كنت .. وهكذا سأظل .. أما التنظيم والتخطيط ثم التنفيذ فهذه أمور لها رجالها .. وكان يكفينى من هؤلاء الرجال حماسهم لكل كلمة تكتب بالمجلة .. بل أن حماس هؤلاء الضباط الثائرين وصل الى حد الاسهام - من وراء ستار - فى تحرير المجلة .. الرئيس الراحل أنور السادات يكتب بلا توقيع عن فلسطين وغيرها من القضايا السياسيه .. وعبد القادر حاتم يكتب عن أزمة الأرقام فى مصر الأربعينات !! .. وضابطان آخران يتطوعان بالعمل كمخبرين - سرين - لباب « أسرار المجتمع » الذى يشرف عليه محرر كان يتلقف منهما فضائح الطبقة الحاكمة ليصوغها فى أخبار مثيرة تعجل بنهاية النظام ، كالحبر الذى نشرناه - أيامها - عن ابنة عبد الفتاح يحيى « باشا » التى تنفق على كلبها مائتى جنيه شهريا .. ومتى ؟ .. فى عام ١٩٤٦ .. وبعد أن نشر الخبر قامت مظاهرة كبيرة اتجهت الى وزارة المالية وهى تهتف « نريد المساواة بكلب ابنة عبد الفتاح يحيى ! .. »

ولكن ألم يتصور يوما وهو فى جهاده المستمر ضد خطايا نظام الحكم القائم .. من هو قائد الثورة المنتظر الذى سيقودها الى تحقيق المبادئ التى جاهد من أجلها ..

يقول الأستاذ احسان : لم أشغل نفسى بهذا الحاطر أبدا لأننى كأديب قادر بهبة الخيال على صنع البطل الذى تحتاجه أية قصة آكتبها .. ولم أفكر فى هذا ككاتب صحفى ومفكر .. لأن هذا يحمل نوعا من ترشيح الغير ، وهو أمر أرفضه تماما لايمانى بأن الزعامة تفرض نفسها بحكم تفاعلها من آمال وآلام الشارع السياسى ..

ومن هنا لم أشغل نفسى كثيرا - لا كمفكر سياسى ولا كأديب - باكتشاف - أو حتى مجرد توقع شخصية قائد التنظيم الذى يعد للثورة - ولكننى لاحظت أيامها ظاهرة هامة .. هى أن الرئيس الراحل - جمال عبد اناصر .. والرئيس الراحل السادات .. كانا دائما أقل الضباط الثائرين كلاما وأطولهم صمتا .. وأكثرهم قدرة على الاستماع للآخرين .. ثم اطلاق العبارة المناسبة التى تحسم الموقف - فى الوقت المناسب ، بعد استيعاب كل وجهات النظر .. وهذه فى تصورى من ألزم الصفات للثورى الناجح ، القادر على القيادة والتوجيه .. ومن هذه الظاهرة وحدها ،

كنت على ثقة من أنه اذا كان هناك تجمع منظم للضباط الثائرين فى الجيش ، فلا شك أن جمال عبد الناصر وأنور السادات ، سينوان فى مقدمة أعضائه البارزين ٠٠ وقد تحقق ظنى فى الساعة الخامسة من صباح ٢٣ يولية ١٩٥٢ - عندما وصلت الى ثكنات الجيش بالعباسية بعد أن أبلغنى ضابط صديق بقيام الثورة ٠٠

فقد وجدت فى القاعة المزدحمة بالثوار ، وجها كنت على ثقة من وجوده هناك فى المقدمة ٠٠ رصافت عيناى وجه عبد الناصر ٠٠ « ٠٠ ولكن ما هو شعور كاتبنا عندما علم بقيام ثورة ٢٣ يوليو المجيدة لتحقيق المبادئ التى ناضل من أجلها سنوات وسنوات ؟

يقول الأستاذ احسان : « كنت على علم جيد أن النبأ الذى زفه الى صديق العمر - يوسف السباعى - عن قيام الثورة ، يعنى شيئا خطيرا بالنسبة لمصر وشعبها ، وبالنسبة للاستعمار ومركزه فى الشرق الأوسط ، بل بالنسبة لمستقبل هذه الأمة العربية المتحكمة فى قلب العالم القديم كله ٠٠ وقدرة على صنع المستقبل !! ٠٠ وترجمة هذا عندى ببساطة ٠٠ أن على هؤلاء الثوار أن يتسلحوا بأكبر قدر من الحذر ٠٠ وألا يتبرعوا باكتساب الحصوم بلا مبرر مصرى !! ٠٠

كما كان عقلى يموج بسؤال خطير ٠٠ ترى ما هى الخطوة الأولى لثوار اليوم التى يبدوون بها رحلة الألف ميل ٠٠ !!٩

كان المنظر الذى طالعتة عيناى فى مبنى القيادة بكوبرى القبة هو نفس المنظر الذى رسمته بخيالى وأنا جالس بالسيارة التى اخترقت بى شوارع القاهرة الساكنة - فى تلك الساعات الأولى من الصباح ٠٠ وهو نفس المنظر الذى سجلته فى روايتى « شىء فى صدرى » بعد ذلك بست سنوات « ٠٠

فى الوقت الذى كان الراديو يردد فيه البيان الأول للثورة ، الذى يتحدث عن الفساد داخل الجيش ٠٠ !! ٠٠ وعن قيام الجيش بحركة ليظهر نفسه بنفسه - دون أدنى اشارة ولو خفية توحى بأن الهدف هو رأس النظام نفسه فاروق ٠٠ !! ٠٠ وفى الوقت الذى كانت الجماهير فيه تندفع بمئات الآلاف ، لتعائق رجال الجيش الذين نزلوا الى الشوارع بدباباتهم وأسلحتهم ٠٠ وكانت الجماهير بهذا الحماس الفطرى الصادق ٠٠

نعلم رفضهم للاثفاء باصلاح حال الجيش وحده !! ٠٠٠٠ وتطالب بان تمتد يد الثورة الوليدة الى جذور الفساد لتقتلعه من أعماق الحياة المصرية ٠٠ !! فى هذا الوقت بالذات ٠٠ كان الحوار الساخن الذى دار بمقر القيادة منذ الصباح الباكر . قد وصل الى نتيجة مؤكدة وهى ضرورة ابعاد الممثل المشماتق ربما لدور البطل - احمد نجيب الهلالي - عن مقعد رئيس الوزراء !! ٠٠

وقد كتب استاذنا العديد من المقالات قبل الثورة يهاجم فيها رئيس الوزراء « أحمد نجيب الهلالي » ففي مقال تحت عنوان « رئيس الوزراء الذى لن يفهم شعبه لا يكتب له البقاء » بتاريخ ١٩٥٢/٥/٢٦ كتب يقول:

« ان الهلالي باشا يظلم نفسه عندما يحاول أن يحكم شعبه مغمض العينين يحاول أن يحكم شعبا مغلق الذهن يرفع قدميه ولا يسير ويحرك يديه ولا يعمل ويفتح فمه ولا يتكلم ٠٠ انه رجل يبدو بلا برنامج وبلا سياسة مرسومة وبلا هدف محدود وان كل ما هنالك أنه يحكم مصر حتى لا يحكمها رجل آخر ويشغل فراغ مقعد حتى لا يشغله جسم آخر ٠٠ انه يبدو كهذه البطاقة التى توضع فوق مائدة فى منتدى عام وقد كتب عليها كلمة محجوز ٠٠ !!

وفى مقال آخر بعنوان رئيس الوزراء من أصحاب السوابق فى يوم ١٩٥٢/٦/٩ كتب يقول :

ان السوابق كلها لا تبعث على الثقة ولا على الاطمئنان سبق أن أعلن هلالى باشا عن اجراء انتخابات فلم تجر وسبق أن أعلن عن حملة تطهير وهدد المفسدين بالويل فلم تزد الحملة عن حدة الاعلان ولم يزد التهديد عن التصريحات التى أقيمت فى الهواء فلا وزير اعتقل ولا مفسد اختشى ، وسبق أن أصدر قرارا بالغاء الاستثناءات ورد الفوارق فلم يكدهم القرار يرى النور حتى عدل وسبق أن أعلن عن سياسة التقشف فلم تر مصر أى مظهر من مظاهر هذا التقشف ولا يزال الغنى يزداد غنى ولا يزال الفقير يزداد فقرا . وسبق أن أعلن عن قرب الغاء الأحكام العرفية ثم عاد وأعلن تأجيلها !! ٠٠

وفى مقال آخر بعنوان « الرجل الذى لا يستطيع أن يكون بطلا » يوم ١٩٥٢/٣/٢٤ ٠٠ كتب يقول :

« لن يكون الهلالى باشا الا اذا اضاء من حوله النور والا اذا استطاع
أن يحكم بلا أحكام عرفية ٠٠ من يكون الهلالى بطلا الا اذا أصبحت كل
خطوة للقضاء على الفساد خطوة جديدة فى سبيل الإصلاح ٠٠ ولن يكون
طلا اذا صحب كل كشف عن صفقة كشف فى القضية الوطنية ، وكل
حديث عن الماضى حديث عن المستقبل وكل اعلان عن القضية الخارجية .
وفى مقال آخر بعنوان « امنحوا الشعب حرية المطالبة بالحرية »
يوم ١٩/٥/١٩٥٢ ٠٠ كسب يقول :

« لا زلت أعارض نجيب الهلالى فى أسلوب حكمه وفى الطريق الذى
حاول أن يسير فيه لحل القضية المصرية ٠٠ فلم يحدث فى التاريخ كله
أن قامت حركة وطنية فى ظل الأحكام العرفية . ولن يتحرك قلم ومن فوقه
قلم الرقيب ٠٠ فليبلغ الهلالى باشا الأحكام العرفية ويفرج عن المعتقلين
وليعهد الدستور ٠٠ وليجر الانتخابات ٠٠ وليتح للشعب حرية
المطالبة بالحرية ٠٠ ولينزع القيود المصرية لنزع القيود الانجليزية .

وكتب فى مقال آخر يوم ١٠ مارس ١٩٥٢ فى العدد ١٢٣٩ تحت
عنوان « الرجل القوى هو الذى يحكم بلا أحكام عرفية » يقول :

« الرجل القوى لا يملك الشعور القومى بالأحكام العرفية بل يملكه
بالاقناع وبثقتة فى نفسه وبإيمانه بقدرته ٠٠ ورئيس الوزراء أحوج
ما يكون الى الشعور القومى وأحوج ما يكون الى الغاء الأحكام العرفية حتى
يثبت قدرته أمام مصر قبل أن يثبتها أمام الانجليز فهل يستطيع ذلك
نجيب الهلالى ؟ ٠٠ هل يستطيع أن يلغى الأحكام العرفية ؟ ٠٠ هل
يستطيع أن يصون الأمن ؟ ٠٠

وفى نهاية المقال يتساءل : « هل أخطأت هذه المرة أيضا ؟ هل
خاننى المنطق ؟ ٠٠

اذن فاطلبوا اعتقالى حتى أستريح مع المنطق فى أحد السجون !؟ »
ولذلك كان طبيعيا أن يكون أول المتحمسين لاستبعاده .

لا أذيع سرا إذا قلت ان الأستاذ احسان عبد القدوس صاحب
الاقتراح الأول لمجلس قيادة الثورة صباح يوم ٢٣ يولية باختيار على ماهر
كأول رئيس للوزارة عقب الثورة ٠٠ فما هى ملابس ذلك ٠٠

يقول أستاذنا : « لقد كانت الثورة محتاجة الى فترة انتقال
تسهل بين عهدين ٠٠ عهد من المظالم والفساد والتسلط تغرب شمسها ٠٠!!
وعهد من الأمل في حياة أفضل للشعب كله بلا تسلط ولا استغلال
ولا استعلاء بدأت شمسها في الشروق ٠٠ وعهد الانتقال هذا كان ضروريا
لثورة لكي تلتقط أنفاسها وتعيد حساباتها وترتب أمرها باناة وحذر .
استعدادا للضربة القاضية التي تقتلع الفساد من جندوره - في
الوقت الذي تكون فيه كل ركائز الفساد تضحك في سرها ، متصورة
أنها نجحت في خداع الثورة عن حقيقتها أو وقفت على الأقل في
احتوائها ، وتقليم أطرافها ٠٠ !!

وقيادة الحكومات في عهود الانتقال فن صعب . يحتاج الى مواصفات
خاصة ٠٠ أهمها ٠٠ الذكاء الفردي الحاد ٠٠ والطموح بلا حدود ، والمرونة
الشديدة التي تطوع لصاحبها القدرة على اقناع الجميع بأنه صديق شخصي
لكل منهم ٠٠ ثم - وهو الأهم - عدم الانتماء لجهة ما - أو مذهب ما ، أو
حزب ما ٠٠٠٠ وأخيرا خلو صحيفة ذلك الشخص من المواقف الحادة التي
تجعله مكروها . أو متهما بالعداء الساخن ضد أحد الأطراف ٠٠ وهذه
الصفات اذا اجتمعت في فرد واحد ، كان أقدر من غيره على صنع
ما أسميه بالكوبرى السياسى بين عهدين متضادين ٠٠ وقد كان على ماهر
ذلك الرجل القادر على اقناع الجميع بأنه رجلهم - أو صديقهم على الأقل -
الانجليز لن يظنوا بالثورة شرا وهم يرونها توليه الوزارة ، لانهم يعرفون
جيذا عكس ما كان يشاع أن الرجل ليس خصبهم اللدود ٠٠ !!

والملك سيفرح من أعماقه لأنه قادر على ارهاب على ماهر وتحزيكه
كما يشاء ٠٠ !! ٠٠ والأحزاب جميعها ليس لديهم ضده ما يدعوهم الى
رفضه ٠٠ !! لهذا كنت سعيدا غاية السعادة ، حتى انتهى الاجتماع
الساخن في الساعة الحادية عشرة من صباح ٢٣ يولية ، وبعد نقاش استمر
بضع ساعات - الى الموافقة على اقتراحى بتكليف على ماهر ببناء الكوبرى
السياسى الذى ستعبر عليه مصر تاريخها بين عهدين ٠٠ !! وكلفنى بأن
أبلغ على ماهر بقرار مجلس الثورة على أن يصحبنى في ابلاغه أنور السادات
وكمال الدين حسين ٠٠ وقد ذهبنا اليه بعد أن حادثته في التليفون وذهبنا
في سيارة جيب عسكرية حتى نحفظ بطابع الثورة ٠٠

بعد أقل من شهر من اختيار على ماهر رئيسا للوزراء كتب أستاذنا
مقالا بروز اليوسف يوم ١٨ أغسطس ١٩٥٢ تحت عنوان « من الذى
يحكم ؟ الجيش ٠٠ أم على ماهر » يقول فيه :

« من الذى يحكم اليوم ؟ » ٠٠ هل هو الجيش ٠٠ أم هل هو على ماهر ٠٠ هل هما الجيش وعلى ماهر معا ؟ ٠٠ اذا كان الجيش هو الذى يحكم فلماذا لا يؤلف وزارة عسكرية ؟ واذا كان على ماهر هو الحاكم فلماذا لا تلقى المسئولية كلها على كاهله فى حدود المبادئ العامة التى قامت عليها الحركة ٠٠

واذا كان الجيش وعلى ماهر يحكمان فلماذا لا تؤلف وزارة عسكرية مدنية فيضم على ماهر الى وزارته عددا من الضباط أو يضم محمد نجيب الى قيادته عددا من المدنيين بصفة مستشارين حتى تتكون هيئة تمثل الأوضاع الحقيقية وتحمل المسئولية كاملة .

وقد كنا نعيب على العهد السابق ميوعة مسئولية الحكم وتعدد أبوابها مما كان يفسح مجالا واسعا للفساد ٠٠٠

وأستطيع أن أقول أن الذى يحدث الآن هو أن الذى يريد أن يضرب فى الجيش يضرب فى على ماهر والذى يريد أن يضرب فى على ماهر يضرب فى الجيش ٠٠ ولن يقدر لا الجيش ولا على ماهر أن يحدد كل منهما عدوه .
قال لى الأستاذ احسان :

« كنا فى هذه الفترة أشد ما نكون حاجة الى الاستقرار فى شكل الحكم ونوعه ومسئوليته وتوحيد المسئولية فى هيئة واحدة يعنى ألا نترك منفذا تندس خلاله يد عدو فكتبت مطالبا بأن يبدأ ذلك سريعا لأن الأحزاب بدأت تناضل نضال البقاء كلما أحست بيد الفناء تقترب منها ٠٠ وأصحاب الأطماع لا يخافون انتزاع أراضيهم فحسب بل يخافون انتزاع نفوذهم الذى سادوا به مصر مدى أجيال وقانون تحديد الملكية سيقضى على هذا النفوذ وسيقضى على سطوتهم وسيحرر العبيد من بين أصابعهم وسينزل بهم الى طبقة سيتلاشون فيها وفى سبيل الإبقاء على هذا النفوذ ٠٠ سيحاربون حتى النفس الأخير ٠٠ وأصحاب المبادئ المتطرفة بدعوا يحسون أن الثورة لم تكن لهم بل بدأت تنقلب عليهم فبدعوا ينقلبون عليها فكتبت مطالبا بأن نسبق الأيام لأن المعركة أكبر مما نظن ولن نسبقها الا اذا نظمنا أنفسنا عند خط الابتداء ولن نتنظم الا اذا استقرت الهيئة الحاكمة وتوحدت وتحملت مسئولية صريحة واضحة » ٠٠

وهكذا كانت نظرة أستاذنا بعيدة وعميقة وهى نابعة مما لا شك فيه من خوفه على الثورة حلم حياته التى ناضل من أجل قيامها وما زال يناضل من أجل حمايتها من أعدائها ٠٠ المتربصين لها والمندسين بين أفراد الشعب

يتكلمون بمنطق مدهون تلمع فيه ألوان براقه من المبادئ والغيرة على
حقوق الشعب ويبدلون في الحفاء بدلا سخيا في سبيل تشويه المستقبل
ويحرقون ضلوعهم حقدا على الحاضر ويفتتون أكبادهم حسرة على الماضي ..
ومن هنا كانت صرخة الصحفي النائر الغيور على ثورته ونقائها ملء وجدان
الشعب المصرى كله فقد حذرهم كاتبنا قائلا :

« يجب أن يكون لنا ألف عين .. وألف أذن وألف أنف حتى نرى
ما لا يرى وحتى نسمع ما لا نراه وحتى نشم ما لا نسمعه . أوصيكم أن
تحصنوا آذانكم من همسات الشيطان وأوصيكم أن تحصنوا عقولكم من
مطوق المغرضين » !!

١٦ - احسان ٠٠ والملك فاروق

بدأ قادة ثورة ٢٣ يوليو في رحلة الالف ميل ٠٠ ولكن من أين
يبدءون تلك الرحلة الشاقة الطويلة الوعرة فقرررو البدء فوراً بطرد الملك
فاروق من مصر ٠٠

ولم يكده الملك يوافق على اقالة وزارة نجيب الهلالي الثانية القصيرة
العمر ، ليكلف بناء على طلب الثوار - على ماهر بتشكيل الوزارة ، ولم
يكده يستسلم لطلب الثوار ابعاد من رأوا ابعادهم من خاصة حاشيته
المقربين - أمثال بولبي ومحمد حسن - حتى تأكد لقادة الثورة أن الأفعى
الملكية قررت اللجوء الى نوع من البيات الشتوى ، حتى تمر العاصفة ٠٠
ثم تنقض بليل الحيانة والخديعة على الثورة فتقوض بنيانها على رأس الثوار
والشعب معا ٠٠ ومن هنا كان القرار المفاجيء بضرورة الاسراع بعزل
فاروق الذى كان موجودا بقصر المنتزه صبيحة ٢٣ يوليو فلما أعلنت
الثورة وأحس بالخطر ، قرر الانتقال الى قصر رأس التين ٠ حيث توجد
قاعدة السلاح البحرى « الملكى » وحيث توجد ككنات الحرس الملكى بقواته
الرئيسية أملا فى حمايتها له اذا احتاج الى حماية ٠٠ !!

وفى الوقت الذى كان فيه فاروق يسوق بنفسه سيارة خاصة
ركب فيها ليلا ٠٠ وبجوايه طياره الخاص « حسن عاكف » بينما جلست
فى المقعد الخلفى زوجته (ناريمان) وابنه « أحمد فؤاد » برفقة مربيته ٠٠٠

بينما ركبت بناته من زوجته الأولى « فريدة » سيارة ثانية ٠٠ فى نفس الوقت كان الثوار يتخذون قرارهم - بالقاهرة - بعزل الطاغية ، على أن يتم التنفيذ يوم الجمعة ٢٥ يوليه ٠٠٠

يقول الأستاذ احسان : « لم يخدع قادة الثورة بهذه التنازلات المريبة التى قدمها الملك ، بل لعلها كانت السبب فى التعجيل بالاطاحة به قبل أن يلتقط أنفاسه ويعيد ترتيب أموره ، بعد أن يفيق من صدمة المفاجأة الأولى ومن هنا كان قرار مجلس قيادة الثورة بتنفيذ قرار العزل يوم الجمعة ٢٥ يولية ٠٠ ولكن حماس الثوار الشبان ووجه بماتق عملى - عطل تنفيذ القرار أربعاً وعشرين ساعة ، مرت بطيئة ومرهقة لأعصاب الجميع كأربعة وعشرين قرناً » ٠٠

لقد انتبه الثوار من حماسهم لتنفيذ القرار . على صوت يحذرهم من مخاطر محتملة . اذا فكر فاروق فى مقاومة قرار العزل بالقوة وهو أمر محتمل جدا ٠٠ والضمان الوحيد ضد هذا الاحتمال ٠ أن يعد الثوار من أسباب القوة ما يمنع الطاغية من مجرد التفكير فى المقاومة ٠٠٠ وهذا يعنى ضرورة ارسال لواء مدرع بكامل أسلحته الثقيلة ليحاصر قصر رأس التين ، قبل أن يبلغ فاروق بقرار خلعه عن العرش ٠٠٠ ولكن قائد اللواء المدرع يعلن أن نقل القوات اللازمة للعمليات بكامل أسلحتها وذخائرها - من القاهرة حيث يوجد مجلس قيادة الثورة الى الأسكندرية حيث يوجد فاروق - يحتاج الى أربع وعشرين ساعة ، الأمر الذى يحتم تأخير العملية الى يوم السبت ٢٦ يولية بدلا من يوم الجمعة ٢٥ يولية - ضمانا لسلامة التنفيذ !!

« ويخضع الثوار الشباب للأمر الواقع . ويتقرر تأجيل قرار العزل أربعاً وعشرين ساعة ، ويسافر مع الطابور المدرع نصف أعضاء مجلس الثورة بقيادة رئيسه - فى ذلك الوقت محمد نجيب ٠٠ على أن يبقى نصف المجلس بالقاهرة بقيادة جمال عبد الناصر لمتابعة تطورات المواقف ونجدة المسافرين الى الأسكندرية اذا احتاجوا الى نجدة ، ومواجهة أى احتمال لتحرك العناصر المعادية للثورة »

وهكذا كان ذكاء الثوار واضحا فى البدء بفاروق - الذى كان فى نظر الثورة مجرد ضلع من أضلاع الفساد ٠٠٠ وكان عزله مجرد مقدم للثمن أو العربون - الذى قررت الثورة تقديمه للشعب لكى يحس بأن الثورة ثورته ، وبأن العطاء الذى سيبدله بتأييدها عطاء الشرفاء فى علاقة واضحة محددة المعالم بين الشعب وثورته ٠٠

« وللحقيقة والتاريخ ، فقد اجتاز قادة الثورة ليلة الجمعة ٢٥ يوليه امتحانا رهيبا ، حين أثار قائد الجناح - المرحوم - جمال سالم وكان أحد الذين سافروا مع محمد نجيب وأنور السادات الى الاسكندرية ٠٠٠ أزمة حادة باصراره على ضرورة محاكمة فاروق ثم اعدامه جزاء جرائمه ٠٠٠ وكانت حجته بسيطة ومقنعة وهى أن الشخص العادى يعاقب بالاعدام وينفذ فيه الحكم اذا قتل فردا واحدا ٠٠ بينما ارتكب فاروق جريمة الحيانة العظمى حين تاجر بأسلحة الجيش فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ الأمر الذى أدى بسبب جرائمه الى مصرع الكثيرين من رجال الجيش ضباطا وجنودا ٠٠٠ فضلا عن غير ذلك من الجرائم فى حق الشعب ٠٠٠ وكانت حجة المعارضين لرأى جمال سالم ٠٠٠ أن هذه الثورة امتازت بأنها لم ترق قطرة دم واحدة ٠٠٠ ويجب الحفاظ للثورة على طهارة يديها من الدم حتى لو كان هذا الدم المطلوب اهداره دم فاروق وكان من أنصار هذا الرأى « محمد نجيب » و (جمال عبد الناصر) وأنور السادات ٠٠٠ ولقد انتصر هذا الرأى بعد مناقشة حامية استمرت خمس ساعات فى الاسكندرية وبعد مداوات مع الموجودين بالقاهرة من أعضاء مجلس الثورة وكان هذا دليلا على وضوح الرؤية التى هياها القدر لقادة الثورة يومها ٠٠ لأنه جنبها العديد من المخاطر التى لم يكن من السهل حساب نهايتها اذا ما تداعت الأحداث ٠٠ وبدى بتنفيذ قرار العزل عندما توجه محمد نجيب بصحبة أنور السادات وجمال سالم الى رئيس الوزراء « على ماهر » الموجود بالاسكندرية يوم السبت ٢٦ يولية ليسلمه الانذار الموجه لفاروق بضرورة النجى عن العرش ، وهو الانذار الذى كتبه أنور السادات بخط يده . ولم يناقش على ماهر قادة الثورة بل أسرع بالتوجه الى قصر رأس التين، لابلاغ فاروق بالانذار التاريخي ٠٠ وتوجه على ماهر الى الملك فاروق محسوبا لاقتناعه على التخلي عن العرش بهدوء مستعملا ذكاه وقدرته على الاقتناع ليجنب نفسه ويجنب الثورة معه مخاطر أى صدام محتمل الوقوع ، وعلى الفور عاد السياسي المحنك الى مقر مجلس الوزراء - ببلوكلى - لكى يبلغ ممثلى الثورة بنجاحه فى مهمته ، ثم لكى يكلف « سليمان حافظ » وكيل مجلس الدولة - والمستشار القانونى لرئيس الوزراء اذ ذاك - صياغة التنازل صياغة قانونية ، ورأى القانونى المحنك ألا ينفرد وحده بهذه المهمة التاريخية ، فأشرك معه أبا القانون المدنى المصرى - ومؤسس مجلس الدولة - المرحوم الدكتور عبد الرزاق السنهورى ، ويحكى سليمان حافظ - الذى أطلق عليه فاروق فيما بعد لقب التمساح العجوز - ما حدث فى المقابلة التى انتهت بانزال ستار النهاية على أكبر مأساة فى تاريخ مصر الحديثة فيقول : « ٠٠ واستقبلنى

لأمرالاي أحمد كامل قائد بوليس القصور الملكية وقادنى الى فاعة فسيحة تتوسطها منضدة ضخمة من الرخام الأسود الموه بالأبيض . وبقبت وحدى للمحطات دخل بعدها فاروق يرتدى ثياب أميرالاي البحرية وتضافحنا حول المائدة وقدمت له وثيقة التنازل فألقى عليها نظراً عاجلة ثم قال :

- هل هى محكمة الصياغة من الناحية القانونية ؟

- نعم . . .

- وأسباب التنازل ؟ . . .

- استلهمناها من مقدمة الدستور . . . :

- هل يمكن أن أضيف كلمة « وازادتنا » بعد عبارة « نزولاً على ارادة الشعب » ؟

- اننا لم نتوصل لهذه الصيغة الا بعد بحث قانونى صعب . . .

- معنى هذا أن الصيغة التى وضعها الضباط كانت قظيعة :

- أننى لم أطلع عليها !

- لملك تجاملنى حتى لا تجرح شعورى بذكر الصيغة الأولى . . . ! . . .

ولكننى أعدك ألا أبوح بما ستذكره لى . . . !

ويقول سليمان حافظ : لقد أقسمت أننى لم أطلع على الصيغة

الأولى . . . وانحنى فاروق ووقع الوثيقة بيد مرتعشة ، فجاء التوقيع فى

أعلى الورقة ولم أمانع . . . ثم تناولت وثيقة التنازل ، وصافحت فاروق

وخرجت وفى جيبى القرار الذى وقع به بنفسه باعدام وجوده المعنوى كملك

صاحب سلطة . . . ! . . .

ولكن ماشعور كاتبنا عندما علم بموافقة الملك عن التخلل عن عرشه !؟

يقول الأستاذ احسان :

« كنت بالقاهرة أرقب الأحداث . . . ولم أفاجأ بسماع الخبر وقت

اذاعته ، فقد كنت على ثقة من حدوثه . . . أما عن أحاسيسى ساعتها ،

فلا أكتمك انها كانت مزيجاً من الاحساس بفرحة النصر . . . والأمل المشوب

بالاشفاق بالنسبة للمستقبل .. ولم تكن فرحتى ساعتها بالنصر ..
احساسا فرديا ، بل كان احساسنا جميعا ، يحس به الفرد المقاتل فى
النجيلة أو السرية العسكرية التى تتصدى لأداء مهمة خطيرة يتوقف على
نجاحها مصير الجيش بأكمله .. وقد كانت سنوات المخاض الثورى ..
التي شارك فى تحمل آلامها كل الشرفاء من أبناء مصر ، كتابا وصحفيين
وسياسيين وطلبة وعمال وفلاحين سنوات عذاب حقيقى ، تحمل مخاطره
وعناء كل هؤلاء بأصالة ليست غريبة على التراب المصرى .. ومن هنا كان
احساسى بفرحة النصر .. نفس احساس المقاتل فى الكتيبة المنتصرة ..
أما احساس الأمل المشوب بالاشفاق .. فقد نبغ فى نفسى عندما وجدت
نفسى فجأة - ككل الساخطين على خطايا الحكم المنهار - أمام حلم الثورة
الذى عشنا من أجله وقد أصبح حقيقة راقعة فى حياة مصر .. ترى هل
تظل الثورة - كحقيقة - زاهية ومضيئة ، كما كانت حلما زاهيا يضيء
الطريق للثوار فى سنوات الأعداد والتحضير ..؟! كان شريط ذكرياتى
يدور حول هذا المعنى .. ولم أكن أفكر فى نفسى اطلاقا ، فقد عودنى
إيمانى أن ما يتعلق بشخصى أو كله للسماء ، وهى قادرة على أن تهبنى
ما أحتاج وزيادة .. !

ويتساءل الأستاذ احسان هل يتشفى عاقل من الموت .. !
فخلع ملك عن عرشه - وخاصة اذا كان ملكا متجبرا كفاروق - لا يقبل
عن كارثة الموت .. صحيح أنه آذانى كثيرا ، بل وفكر فى اغتيال وحاول
إخراج الفكرة الى حيز التنفيذ حتى بعد أن وصل الى منفاه فى أوروبا ..
ولكن إيمانى بالقدر كان يغطيني بمظلة من حماية السماء فى كل مرة
أعرض فيها لمحاولة الاغتيال .. وهذه القدرة فى حياتى هى التى جعلتنى
لا أنتسى لى تنظيم وأصر على الاستمرار فى حياتى كصاحب قلم طلبق
بلا قيود حزبية أو تنظيمية .. وهذه الوحدة .. رغم انها كانت تفرى
خصومى فى الرأى بالفتك بى .. كانت فى نفس الوقت السبب فى فشل
كل محاولات الاعتداء على ، لأنها فى معظمها كانت محاولات ساذجة
وصيبانية ، لا تقييم وزنا لتنظيم يقف ورائى .. ولقد ذهب فاروق ..
وذهب ملك بأسرته كلها .. وبقيت أحمل قلمي المصرى السن والمداد ..
سائرا فى طريقى الذى اخترته لنفسى منذ البدء .. طريق العمل المخلص
بحثا عن حياة أفضل للإنسان المصرى .. كما يصور لى اجتهادى .. !
وإذا كان النضال قبل الثورة قد اقتضانى السير فى طريق معين مشيت
فيه على الشوك حتى النهاية .. فان قيام الثورة ، وضعنى بمنطق الأحداث
المحددة على بداية طريق جديد للنضال فيه معنى مخالف تمام المخالفة !

كتب أستاذنا تحت عنوان « الدستور لن يعزل الملك ولن يظهر الاحزاب » يوم ١٩٥٢/٨/٤ يقول :

« اعتقد أن الحديث عن المستقبل أجدى على مصر اليوم من الحديث عن الماضى .. عندما نخلصنا من الماضى لن نتخلص من شخص الملك ولن نتخلص من نظام معين بل نخلصنا من أسلوب ممقوت من أساليب الحكم وتخلصنا من عقلية مظلمة ظالمة من عقليات الحكم. ولن يعزل الملك انتقاما منه ولا تشفيا فيه ولا عقابا له ، بل عزل لأنه كان يحول دون عهد جديد نريد أن نقيمه وكان يحول دون مستقبل كريم نريد أن نسير فيه ، وكان يحول دون العقليات النظيفة والأخلاق القوية من أن تعلق لتكون عنوانا لمصر ، .. »

وقد كتب الأستاذ احسان العديد من المقالات بعد خلع الملك السابق يحذر فيها من أعداء الشعب الطامعين وضرورة حماية الشعب منهم ومن محاولاتهم الدينية التي تدبر في الحفاء فاعداء الثورة كثيرون ، أقوىاء حاولوا أن يستفيدوا منها فلما عجزوا حاولوا افسادها .. أعداء كان لهم عز قديم ضاع منهم تحت أقدام رجال الجيش فبدأوا يستعدون لثورة على الثورة .. أعداء ينظرون الى مشاريع الاصلاح نظرة هلع وخوف فيقبضون على أملاكهم وتراثهم بيد ويحاولون باليد الأخرى أن يقطعوا يد الحق قبل أن تصل اليها ..

قال لى الأستاذ احسان :

« كان لابد من القضاء عليهم وهذا ما ناديت به ولكن فى الوقت نفسه حذرت بأن حركة القضاء عليهم لن يكون لها نفس الطابع الذى كان لحركة القضاء على فاروق فقد كان فاروق فردا محدد المعالم ، محددا الشخصية ، محدد النفوذ .. أما هؤلاء فليس لهم حصر ولا معالم محددة واحدة .. ولا شخصية مرحدة ولا نفوذ واضح مرسوم وهذا ما وضحته الضباط هيئة القيادة العامة وقد حملت لنا الأيام بعد ذلك العجب الذى حذرت منه وكشفت عن المحاولات الدينية التى كانت تدبر فى الحفاء .. »

١٧ - احسان وتحديد الملكية الزراعية

لقد عاش احسان عبد القدوس حياته لا يوافق أحدا ولا يسمح لاحد أن ينافقه ، فهو لا يؤمن بالنفاق ، ولا يستطيعه حتى لو سولت له نفسه ممارسته ، فهل كان من السهل على هذه الشخصية التفاعل الكامل والاتفاق التام فى الرأى مع قادة الثورة !

يقول أستاذنا : « لقد كنت واثقا أن لحظة الصدام قادمة لا محالة ، ولم تكن المسألة عندى أقصى من مسألة وقت والسبب ان خوفى على الثورة ذاتها وهى ما تزال اذ ذاك فى مهدها ، فلم يكن من المصلحة العامة أن أثير علنا ، أى خلاف فى الرأى - قد يحدث - الأمر الذى لن يستفيد منه سوى أعداء الثورة المتربصين بها .. ولكن الأمر كان قد تجاوز طاقتى على الصبر ، عندما رأيت على ماهر يسوف فى اصدار قانون الاصلاح الزراعى الأول - ولم أتردد فى مهاجمته بقسوة فى مقال بالغ العنف .. أطلب فيه باعفائه من الحكم لأنه غير قادر على اصدار مثل هذا القانون بحكم عقليته التوفيقية » ..

« فلم يكن معقولا أن أسكت ، وأنا أرى على ماهر يضم لعضوية اللجنة التى تعد لاصدار قانون الاصلاح الزراعى ، أشخاصا من كبار الملاك الزراعيين ، الذين يملك بعضهم بضعة آلاف من الأفدنة .. ! .. وكان هذا موقفا مرفوضا تماما ، أيا كان موقع صاحبه من نفسى .. ! ..

وعلى الفور قررت مهاجمته بصراحة - بعد التعريض به تلميحاً في أعداد سابقة من روز اليوسف ٠٠ ! ٠٠ وكتبت بالفعل مقالا عنيفا أطالب فيه بذهاب هذا الرجل - أى على ماهر - لأنه أثبت بموقفه من قانون الإصلاح الزراعى ، أنه تجاوز - بحكم السن أو التعود - القدرة على الاستجابة الواضحة لمطالبات ثورة تنسب للشعب ٠٠ ! وكانت المفاجأة التى لم أتوقعها والتي عجلت ببذر بذور الشقاق الفكرى بينى وبين بعض الكبار من قادة الثورة ، حينما رفض الرقيب التصريح بنشر مقال لا أبغى به سوى مصلحة الملايين التى سهونا اللبالي معا نحلم بتحقيق العدل لها ٠٠ فكيف يمنع مقالى ٠٠ ؟ ٠٠ ولماذا ١٩ ؟ ٠٠ وأسرعت على الفور للقاء جمال عبد الناصر ، شاكيا له هذا الرقيب حيث استقبلنى بإتسامته التى تحار فى تحديد موقفها منك : هل هى معك أم عليك ٠٠ ! وفاجأنى بقوله ، وعيناه تتجنبان مواجهة نظراتى الفزعة من وقع كلماته :

- الرقيب مظلوم يا احسان ٠٠ أنا الذى رفضت المقال ٠٠

ولم أحد كلمة تسعفنى فى هذا الموقف العسير ٠٠ سوى كلمة واحدة :

- لماذا ١٩

- لأن هيبة الحاكم تحتم على أن أسمع نشر هذا المقال !

- هيبة الحاكم - ٠٠ ! تقول الحاكم ٠٠ ! اننى لا أفهم !

وحقيقة لم أفهم ساعتها ماذا يقصد جمال عبد الناصر ٠٠٠ لقد اعتدت أن ألقاه لقاءً ثائر بثائر ٠٠ ان تكن وسيلة التعبير عن الثورة قد فرقت بينهما ، فقد جمعت بينهما روح الثورة ، وجمع بينهما الايمان بالحرية ٠٠ ولهذا وجدت نفسى عاجزا عن فهم عبارته عما أسماه هيبة الحاكم ٠٠ ولعله أحس بمدى الحرية التى أوقعتنى فيها عبارته فسارع يفسر لى ماذا يقصد بها ٠٠

- اسمع يا احسان ٠٠ أنا واثق تماما من اخلاصك فى كل حرف كتبتته فى المقال ٠٠ ! ٠٠ ومتفق معك تماما فى أن على الماهر يجب أن يذهب ، لأن مرحلة التوفيق بين الأطراف ، واسترضاء خصوم الثورة - الذين تخشى خطرهم قد انتهت وانتهى معها دور اعلى الماهر كالكومبروى عباس كما يسمونها ، ومتفق معك أيضا فى أن على ماهر بحكم تكوينه الفكرى

وماضيه السياسي ، غير قادر أبدا على إصدار قانون يحدد الملكية الزراعية لكبار الملاك ، الذين هم في نفس الوقت زملاؤه في ممارسة الحكم قبل الثورة . . هذا الرجل يجب أن يذهب فعلا كما كتبت أنت في مقالك . .

– لماذا اذن منعت نشر المقال . . ولماذا أنت بالذات . . ؟

– لأن حرصى على الثورة كنظام حاكم يحتم على أن أمنعه . . !

– لماذا ؟

قلتها في شبه ضراخ بك . . !

إن جمال عبد الناصر يوشك أن يصيبنى بالجنون . . ! . . انه يعترف بصحة كل ما كتبت ، ويؤمن بأخلاصى فى كل حرف كما يقول . . فلماذا اذن يمنع ما يؤمن بصحته واخلاصه ؟

– لأننى لا أريد أن أرسخ فى أذهان الشعب أن هناك من يقترح على الثورة ، فتنفذ اقتراحه . . حتى لو كان هو عين الصواب . . ! لا أريد أبدا أن يتصور الناس أن هناك وصاية على الثورة ، حتى لو جاءت هذه الوصاية فى شكل مقال يكتبه صحفى لا شك فى نظافته وطهارة قلمه وفكره وسلوكه . . ! . .

– تصور يا احسان ، لو ان الثورة نشرت مقالك اليوم . ثم أقالت وزارة على ماهر غدا ، وشكلت وزارة جديدة تصدر القانون المنتظر فى نفس يوم تشكيلها . . ماذا يقول الناس عنا فى اليوم الرابع . . ؟

واستدار فجأة ليقول لى بصوت هادىء ولكنه قاطع وحازم . . رعم الابتسامة الغامضة التى تحار فى تحديد موقفها منك . . هل هى معك أم عليك :

– لو أننا نفذنا اقتراحك يا احسان . . وأنت صحفى صناعتك انقلم . . فماذا يبقى لنا لنعمله ؟ . . وقد صرنا كمستولين عن الثورة ، حكاما . صناعتنا الحكم . . !

ولم أجب . . فلم يكن هناك ما أقوله . . لقد أحسست ساعتها ، بأن لصوصى الثورات فى كل عصر ، قد بدءوا يتجمعون من حول صديقى فى كل زمان ومكان . . ولم ينشر مقالى الا بعد أخذ ورد اشترك فيه المرحوم جمال سالم الأمر الذى أصابنى بمرارة داخلية ولكنه أخيرا نشر . . وأقيلت وزارة على ماهر يوم ٨ سبتمبر عقب نشر المقال بثلاثة أيام وتألقت وزارة

محمد نجيب الأولى التي أصدرت قانون الإصلاح الزراعي يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٢ ، وكان في ذلك كل العزاء لما أصابني من ألم نفسي عقب لقائي بجمال عبد الناصر . . . ورغم احساسى بأن طبقة « لصوص الثورات » قد بدأت تتحرك لتعزل الثورة فكرا وسلوكا عن آمال الشعب ، فلم أستسلم ، وقاومت عوامل السخط فى نفسى ، . . .

لكن ما هو الأثر النفسى الذى تركته هذه الواقعة لكاتبنا تجساء الثورة ؟

... يقول الأستاذ احسان : « انا ضد الكراهية . . . والحقد على طول الخط . . . ومع الحب الى النهاية . . . لأن الحب كان طوق النجاة الذى تعلقت به حياتى فنجوت من الغرق فى بحر التناقضات من عالم أمى وعالم جدى . . . !! ولهذا لم اكره جمال عبد الناصر وبالتالى فلم أغير موقفى من كره انسان ما . . . فانا غير قادر على التخلي عن قضية الثورة التى آمنت بها - كحل لحيرتى السياسية فى الأربعينات . . . ومن هذا المنطلق . لم أتردد فى الاندفاع بكل ما أملك من وقت وجهد فى اثارة قضية الغاء آخر وجود لأسرة محمد على فى مصر - ذلك الوجود الوهمى الذى ظل ممثلا بعد قيام الثورة فى لجنة الوصاية الثلاثية على العرش التى تحكم باسم الملك الطفل أحمد فؤاد الثانى !!

« وعلى الرغم من أن الجميع كانوا يثقون تماما فى نظافة واخلاص اتجاهاتى السياسية ، الا أن صلابتى التى لا تعرف الحدود فى قضية الحرية ، جعلت طريقة التفاهم معى مهمة بالغة الصعوبة ، وخاصة بالنسبة لجمال عبد الناصر . . . الذى ربما التمسث له العذر فيما بينى وبين نفسى فى بعض ما كنا نختلف حوله . . . فيأخذ هو جانب « الثائر الذى أصبح حاكما مسئولا » بينما لم يتغير موقعى من الثورة ، حيث بقيت كما كنت قبل ٢٣ بولية ، الثائر الذى يعيش الثورة بقلبه وفكره . . . دون أن يتحدث من حرية خياله الثورى متطلبات « الواقع العملى للحكم » . . . !!

« ومع تكرار مواقف الصدام بين حرية الخيال الثورى - لكاتب منطلق مثل ... وبين متطلبات الواقع العملى للحكم !! رثى أن يتولى مهمة التفاهم معى أقدر أعضاء مجلس الثورة على فهمى ، أنور السادات ، باعتباراه أقربهم الى قلبى وعقلى معا . . .

١٨ - احسان واعلان الجمهورية

تحمل الأستاذ احسان مسئولية اثاره قضية اعلان النظام الجمهورى من اقتناع كامل بأنه النظام الطبيعى الذى لا يحتاج الى تبرير أو الى دفاع لأن من الحقوق البديهية لكل مجتمع أن يختار رئيسه وحاكمه ورمز كيانه وأن يكون له الحق فى سحب الثقة من هذا الرئيس أو هذا الرمز اذا ما أخطأ أو أفسد دون حاجة الى ثورة قد تنجح وقد تفشل وقد تكون ثورة بيضاء وقد تراق فيها الدماء ولذلك كان بديهيا أن نرى كاتبنا يقف يدعو الناس الى الجمهورية فى الوقت الذى تناذلت وتراجعت فيه أقلام كثيرة .

يقول أستاذنا :

« عندما طالبت باعلان جمهورية مصر لم يكن الأمر سهلا كانت آلاف السنين من النظام الملكى قد ضربت على عقول الناس - أو بعض الناس - ستارا مظلمًا فلم يعد خيالهم السياسى يتسع لأى نظام آخر من نظم الحكم وكان الحرص على الاستقرار والخوف من التطور السريع والحذر من المستقبل يدفع البعض الى محاربة الدعوة الى الجمهورية واعتبار أصحابها من الثائرين المتطرفين الذين يسعون الى قلب الأوضاع وقلب نظام الحكم بل انى اتهمت فى حديث أذيع من محطة الاذاعة بأنى مفرض دساس ومن أعداء الثورة » .

وقد فجر الأستاذ احسان مقالات عديدة عن « كيف نريد أن نتحكم مصر » أخذ يشرح فيها النظم السياسية المختلفة ويحلل نظرياتها العديدة

موضعا مزايا وعيوب كل منها على حدة ليترك للمواطن حرية التعبير عن رأيه دون ضغط من أحد ولم يكتف بذلك بل أعلن في روز اليوسف عن استفتاء شعبي لاختيار نظام الحكم ، وفي الواقع أن كاتبنا وقف يدعو الناس الى الجمهورية وحيدا فلم ترض صحيفة من الصحف أن تشاركه دعوته رغم الحاحه عليها حتى استفتاءها الشعبي رفضت الصحف أن تنشر بطاقات هذا الاستفتاء رغم أنها أرسلت اليها كاعلانات ورفضت الرقابة أن توافق على النشر كأن أمرا غير مصدق أن تقوم دعوة الى الجمهورية وكان أمرا غير متصور أن تعلن الجمهورية فعلا بل أن الصحف أخذت توالى نشر العناوين الضخمة محاولة أن تحطم بها الدعوة : « الجمهورية لن تعلن » .. « الملكية باقية » .. « لا تفكير في تغيير الحكم » ... الخ ... ورغم ذلك استمرت دعوة كاتبنا ونجح الاستفتاء نجاحا كبيرا فقد انتهى بأن طالب ٩٥ ٪ من مختلف طبقات الشعب بالجمهورية وفعلا تعلن الجمهورية يوم ١٨ يونية ١٩٥٣ .

قال لي الأستاذ احسان :

أعلنت الجمهورية لا لأنى دعوت اليها .. فلم يكن دورى يتعدى اعداء الشعب لها .. انها أعلنت لانها كانت الخطوة الطبيعية ولأن حركة الجيش كان لا يمكن أن تستكمل أهدافها الا اذا كانت الجمهورية أول هذه الخطوات ..

وبعد أن نجحت دعوة كاتبنا .. هل هدأ واستراح .. طبعا كمهدنا به كان لابد من خلق قضية جديدة يتبناها وقد وجدها توأما لقضيته السابقة وهي نوع الجمهورية التي يختارها الشعب .. فكتب العديد من المقالات موضعا نظم الجمهورية فى مختلف البلاد كالولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا والهند التي تقوم على النظام الديمقراطي وفرق بينها وبين الجمهوريات الديكتاتورية التي تقوم فى أسبانيا والبرتغال والأرجنتين وأخذ يعبا رأى العام نحو رفض هذا النظام ..

يقول الأستاذ احسان فى مقاله « كيف نريد أن تحكم مصر » :

« ان نظام الجمهورية الديمقراطية هو النظام الأمثل بين الجمهوريات ولكنه يحتاج فى مصر الى فترة انتقال .. وهذه الفترة لا يمكن تجنبها لأننا نجتازها الآن ، المهم هو تحديدها وتحديد مدتها والذي يحدد هذه الفترة هو الشعب لاعداد نفسه للنظام الذى يريده فنحن لا نريد نظاما تمنحه لنا قيادة الحركة بل نظاما نختاره ونصر عليه ونفرضه على أنفسنا .. ودور قيادة الحركة هو أن تتيح للشعب فرصة اعداد نفسه بلا قيود

وبلا ضغوط وبلا تدخل ومن الخطأ أن ننكر على الشعب حقه في نظام جمهوري بحجة أن أغليبيته جاهلة ويمكن استغلالها في توجيه نتائج الانتخابات توجيهها فاسداً فإن الشعب المصري ليس أكثر جهلاً من الشعب الهندي أو الشعب الباكستاني » .

ونجده في مقال آخر من مجموعة مقالاته «كيف نريد أن تحكم مصر؟» يحذر من أن النظام الجمهوري يحتاج إلى شعب واع قوى مفتوح العينين وإلا انقلب أول رئيس جمهورية إلى ديكتاتور له سلطات الملك كما حدث نبي لبنان عندما قوى النفوذ لرئيس الجمهورية إلى حد أنه استطاع أن يعدل الدستور ليجعل من نفسه رئيساً مدى الحياة . . كما أن الجمهورية لم تنجح في سوريا واضطر الشعب أن يدفع الجيش إلى أحداث انقلاب عسكري ليتخلص من أول رئيس جمهورية بعد أن منح نفسه سلطات الملوك » . .

ثم انتقل بقلمه لمعركة أخرى . . المطالبة بدستور مؤقت لفترة الانتقال المؤقتة يشتمل على المبادئ العامة للدستور المتعلقة بصيانة الحريات العامة وطالب أيضاً بتحديد مدة هذه الفترة المؤقتة . .

وكتب أستاذنا في هذا الصدد العديد من المقالات . . أذكر منها « دستور مؤقت لفترة انتقال مؤقتة » يقول فيه « . . لا يكفي أن تعلن القيادة هذه المبادئ في تصريح لمصدر مسئول أو في حديث للمتحدث رسمي . . أو في خطاب ياقه الرئيس محمد نجيب بل يجب أن تعلن القيادة ارتباطها بهذه المبادئ في بيان مكتوب له قوة القانون ترتبط به ويحسب عليها ويكون أشبه بدستور مؤقت لفترة انتقال مؤقتة » . . وفي مقال آخر بعنوان لا مستبد عادل . . ولا عادل مستبد بتاريخ ١٩٥٣/٢/٩ . . كتب يقول :

« منذ أن طالبت بهذا الدستور وأنا في نقاش حاد حول إصداره وكان محور النقاش أنني رغم إيماني بعادل القادة ووطنيتهم وإخلاصهم إلا أنني لا أؤمن بالأكذوبة التي تتغنى بالمستبد العادل . . فالمستبد لا يمكن أن يكون عادلاً ما دام مستبداً والعادل لا يمكن أن يكون مستبداً ما دام عادلاً . . والعادل نفسه لا يمكن أن ينبعث عن مزاج شخصي أو عن هوى إنسان مهما بلغ هذا الإنسان من قوة الخلق وشدة الإخلاص لوطنه والغيرة على شعبه أن العادل لا ينبعث إلا عن مبادئ مسجلة صريحة واضحة معلنة يحاسب من يخرج عليها سواء كان من أفراد الشعب أو

أفراد الهيئة الحاكمة .. والأنبياء أنفسهم كانوا يستندون على عدلهم على مبادئ الكتب السماوية .. وكانت هذه المبادئ تطبق عليهم كما تطبق على أتباعهم .. ولذلك يجب أن يصدر دستور لهذه الفترة المؤقتة التي نجتازها حتى يكون حجة على القادة إذا أخطأوا وحجة علينا إذا أخطأنا وسيجا للعدل .. وحدا للحاكمين وأمانا للشعب » .

وتحققت دعوة أستاذنا هذه .. وحددت فترة الانتقال بثلاث سنوات وأعد الدستور المؤقت ولكن كاتبنا الذي لا يبدأ أبدا أحس بأن هناك شيئا آخر لم ينحقق بعد وهو أن يكفل الحاكمون للشعب حقه في ممارسة الحرية الشعبية المنظمة وأوضح مظاهر هذه الحرية هي حرية المعارضة ما دامت معارضة شريعة صريحة تستهدف المصلحة العامة ولا تقوم على الدس والتآمر .. فكتب يقول :

« لن ننتصر - نحن مؤيدو هذا العهد - الا اذا كانت هناك معارضة ننتصر عليها .. ولن يكون هناك انتصار اذا لم تكن هناك حركة .. ولن تكون هناك معركة اذا لم يكن هناك من يعترك معنا ..

والمبدأ التالي هو : البقاء للأصلح

ونحن نريد الفرصة لنثبت أننا الأصلح ..

وهكذا نرى أن إيمان أستاذنا بثورة يوليو بلا حدود ، إيمان نابع من ثقته بطهارة ونقاء قادتها الذين يدينون بمجموعة من المبادئ أمانا بها معهم في محاولة الوصول اليها وفي محاولة تحقيقها .. وقد كتب الأستاذ احسان في هذا الصدد في مجلة روز اليوسف يوم ١٢/١/١٩٥٣ تحت عنوان « أننا نؤمن بالمبادئ والمخلصين لهذه المبادئ » يقول : « اننا نؤمن بهم من أجل هذه المبادئ ومن أجل اخلاصهم لها وتضحياتهم في سبيلها .. نؤمن من أجل هذا لا لمجرد أنهم ضباط بالجيش .. وهم جميعا قد اشتركوا في كل الحركات الوطنية التي مرت بمصر منذ عام ١٩٢٣ ولم يشتركوا فيها كضباط بل أن مهمتهم الرسمية كضباط كانت تحرم عليهم الاشتراك في مثل هذه الحركات الوطنية ولكنهم اشتركوا فيها لانهم مصريون ولأنهم وطنيون ولأنهم من الشعب .. فالحركة ان كانت عسكرية في أدواتها فهي ليست عسكرية في مبادئها ولا في أهدافها واذا كان قادتها يرتدون الزي العسكري فانهم يضعون في صدورهم مبادئ شعبية .. مبادئ الديمقراطية ومبادئ الحرية ومبادئ الدستور .. ولهذا المبادئ التي سجلوها على أنفسهم في منشوراتهم قبل الحركة .. ولهذا طالبت بعد الحركة بأسابيع أن يتولى هؤلاء القادة بأنفسهم مناصب الوزارة

ولم أكن أعنى أن يؤلفوا وزارة عسكرية تدين بمبادئ الديكتاتورية العسكرية فانهم هم أنفسهم لا يستطيعون أن يكونوا ديكتاتورين ما داموا يؤمنون بالمبادئ التي ارتبطوا بها وعرفناها عنهم .. وانما كنت أعنى أن أحملهم المسئولية كاملة الى أن ينتهوا من اقرار هذه المبادئ وتحقيقها ثم بعد ذلك يتركون الوزارة ليعودوا الى الجيش أو يتركوا الجيش ليظلوا في الوزارة بتأييد الشعب في انتخابات عامة .. لم أطلب لهم الوزارة كسبأفة على نجاح حركتهم وانما أحملهم المسئولية تحميلا صريحا وأضعهم في مواجهة الشعب ليحاسبهم على أخطائهم اذا ما أخطأوا وليؤيدهم فيما يستحقون من تأييد .. كان هذا .. في رأيي هو النظام الطبيعي الصريح الذي يجب أن يقوم في فترة الانتقال .

وتحقق أيضا ما نادى به في دعوته واشترك ضباط القيادة في الوزارة ولكن بعد عام من دعوته وبعد أن شكلت الوزارة كتب استاذنا مقالا بروز اليوسف يوم ١٩٥٣/٦/٢٢ بعنوان « هؤلاء الوزراء الأقوياء .. وهذا الشعب القوى » يقول فيه : « يوم طالبت بأن يشترك ضباط القيادة في الوزارة اتهمت من بعض الجهات بأنى أدعو الى الديكتاتورية العسكرية ولم أكن كذلك ولن أكون أبدا .. ولا أريد أن أهنئهم فالمستقبل الكفيل بإرسال التهانئ واعداد باقات الزهور .. بقى شيء .. أننا لا نزال نعد أنفسنا للديمقراطية الكاملة وأول حقوق الديمقراطية هو حق نقد الوزراء وتوجيههم ومطالبتهم .. وهو حق لا يمكن التنازل عنه أبدا حتى في فترة الاعداد .. والوزير القوى هو الذى ينقد ويبدى رأيه في حرية الشعب القوى » .

١٩ - احسان والأحكام العرفية

كان الصحفي الثائر احسان عبد القدوس يريد أن يرى بصسات نورته - التي ناضل بقلمه وفكره وتحمل في سبيل قيامها الكثير ولم يعسا مما يقابله فهو ماض في طريقه الى أن يتحقق حلمه ٠٠ على كل بقعه من أرض وطنه الحبيب ٠٠ مصر ٠٠ كان يريد أن تقتلع هذه الثورة كل فساد أمامها في التو واللحظة .

فكتب في مجلة روز البوسف يوم ١٩٥٢/٨/٤ تحت عنوان « الدستور لن يعزل الملك ولن يظهر الأحزاب » يقول : « هذا العهد الجديد الذي سعينا اليه لم يبدأ بعد ٠٠ فلا تزال مواكب النفاق التي كانت تسيير في ركاب كل عهد وبين يدي كل صاحب سلطان ٠٠ لا تزال تطوف بيننا وتحرق البخور في هيكل السيد الجديد حتى لو كره منهم نفاقهم وسسد أنفه عن رائحة بخورهم ٠٠

« ولا تزال الأحزاب تسيطر عليهم نفس العقليات وتتحرك في نفس الاتجاه وتستعمل نفس الأسلوب والمعرفة السياسية التي بدأت تنشب وتثير الغبار في الميدان هي المعركة نفسها التي تعودناها ولها نفس الطابع الشخصي ونفس السلاح ونفس الهدف ٠٠ الهدف الذي ينحصر في الاستيلاء على الحكم ٠٠ والبرنامج الذي أعلنته الأحزاب ليس فيه جديد وإنما هو نفس الكلام البراق الذي كفر به الشعب ما دام على شفاه تعودت أن تخدعه وتعودت أن تعمل بغير ما تقول به ٠٠ ولا تزال السياسة

الاقتصادية نسير في منهاجها القديم ولا يزال الغنى فاحش الغنى ولا يزال
الفقر مدقعا في فقره ..

وقد ترتب على الغاء الألقاب ازالة مظهر من مظاهر فوارق الطبقات
ولكن الفوارق نفسها لا تزال قائمة ولا تزال قائمة في الثروات العقارية
ولا تزال قائمة في الحزائن المكدسة .. ولا تزال قائمة في قطع الماس
وسبائك الذهب .. ولا تزال في القصور والموائد المتخمة .. ولا يزال
هناك تردد في اطلاق الحريات والغاء الأحكام العرفية والرقابة على
الصحف .. ان ما كان يخشى منه في الماضي لا يزال يخشى منه في الحاضر
والمستقبل ..

« .. ولنذكر أن الدستور لم يعزل الملك وانما عزله الجيش الذي
عبر عن ارادته والدستور أيضا لن يطهر الأحزاب بل يجب أن يصر الشعب
على نظيرها ..

يجب أن يصر الشعب على أن تتخلص هذه الأحزاب من أعضائها
المجرمين المتهمين ..

ويجب أن يصر على أن تقوم هذه الأحزاب على خدمة الأغلبية الفقيرة
على أن يصرها لا على خدمة عبود والبدرأوى وأحمد عبد الغفار ويجب أن يصر
على أن يبدأ أفراد هذه الأحزاب من الأغنياء لادارة ثرواتهم لصالح الفقراء
:التنازل عنها أو عن معظمها لانقاذ الحالة الاقتصادية ورفع مستوى الفلاح
وتحطيم فوارق الطبقات ..

ويجب أن يصر على أن يبدأ يرى بين هذه الأحزاب وجوها جديدة
فيتمتع بها تضع برامج اجتماعية قابلة للتنفيذ لا مجرد عناوين براقية تحمل
التصليب وأن تبحث القضية الوطنية بحثا جديا مدعما لا أن تتخذ سلاحا
للمعارضة والتمويه ..

وقد كانت قضية تطهير الأحزاب احدى القضايا الهامة التي شغلت
فكر كاتبنا وسخر لها قلمه في العديد من المقالات قبل الثورة وبعدها ..
وحيسما دعت الثورة الى اتحاد الأحزاب كتب في روز اليوسف فى يوم
١٩٥٢/١٢/٢٢ مقالا تحت عنوان « دعوة الأحزاب الى الاتحاد .. عبث »
يقول :

« .. هذه الأحزاب نفسها لم تستطع أن تتحد فى أحلك أيام مصر
وأمام أمدح مصائبها ، لن تستطع أن تتحد أمام حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢
ولم تستطع أن تتحد أيام حملة فلسطين ولم تستطع أن تتحد أيام معارك

القنال ، ولم تستطع أن تتحد في عريضة واحدة تقدمها للملك السابق ليرده عن غيه ؟

فماذا حدث حتى تتحد هذه الأحزاب اليوم .. ماذا حدث ؟ والوجه لم تتغير والعقليات لم تتغير .. بل كيف تدعوها الحكومة الى الاتحاد بينما هي - الحكومة - تعترض على قيامها وتضع حولها القيود التي تحرمها من مزاولتها لنشاطها الطبيعي ..

انها أحزاب ليس لها هدف الا الوصول الى الحكم سواء عن طريق طبيعي أو غير طبيعي .. قد يكون الوصول الى الحكم من حقهم ولكن هذا الهدف يحول بينها وبين الاتحاد بعضها مع بعض ويحول بالأولى بينها وبين الاتحاد مع الحكومة التي تتولى الحكم فعلا فاذا ما اتحدت بعد ذلك فانما تتحد على الحكومة لا معها حتى تزيل العقبة المشتركة لتتفرغ بعد ذلك للنزاع بينها وبين بعضها البعض .

قال لي الأستاذ احسان :

« لقد جرب محمد نجيب أثر هذا الاتحاد مع الأحزاب حينما زار مصطفى النحاس يومها فسروا هذه الزيارة بأن الوفد سيتولى الحكم والنحاس سيتولى رئاسة الجمهورية وحينما كذبت هذه الاشاعات رسميا عاد الوفديون ينكمشون استعدادا لفرصة الوثوب ولم يحاول أحد منهم أن يؤيد شعائر الاتحاد ، لم يحاول مصطفى النحاس نفسه أن يقول كلمة يؤيد بها « دعوة الاتحاد » ..

وحينما رأى قوى الرجعية تزحف في عنف منتظم وطبقا لخطوط موضوعة مرسومة لتحتل الميادين في نشوة النصر .. لم يستطع أن يقف متفرجا فكتب في مقال تحت عنوان « الملائكة الذين عزلوا الملك ثم ارتفعوا الى السماء » يوم ٨/٩/١٩٥٢ يقول :

« لا أستطيع أن أسكت وأنا أرى أمانى العمر - عمر مصر - قد وضعت في يد جماعة من الملائكة الأطهار يتأبون على الأرض ويتعلقون بالسماء ويتعففون أن يكونوا بشرا لهم حسنات ولهم أخطاء .. أنهم ملائكة هؤلاء الذين قاموا بالثورة وتحملوا مسئوليتها وتمهدوا بالوصول الى أهدافها .. ملائكة يؤمنون بالدستور ايمانا قويا مجردا من الأطماع .. ملائكة يؤمنون بالنظام الحزبي وبالحرية الحزبية ايمانا مقدسا ثم يرفعون رؤوسهم الى السماء داعين بالخير والفلاح لبلد رأوا أحزابه وقد هدمتها الشبهوات ولوثتها الأغراض وسودتها الرأسمالية وطلبت جدرانها بالخداع

والزور والكذب والبهتان .. ملائكة يؤمنون بالحرية الشخصية ايمان العابد بربه ثم يرون هذه الحرية وقد تقوى بها الفساد وأصبحت سلاحا للاحتيال السياسي والدجل الحزبي وسيجا يحتمى وراء الاقطاع فلا يصنعون شيئا الا أن يتكلموا على الله ..

(ملائكة تعفوا وتمادوا في الزهد وخافوا ربهم وشعبهم فلم يعملوا شيئا خشيته أن يخطئوا ولم يتقدموا خشيته أن يتعثروا ولم يتحركوا خشيته أن يتجنبوا الصواب .. اننى لا أدعوهم الى الكفر بالدستور ولا بالنظام الحزبي فليس هناك دستور بلا أحزاب .. ولا أنى أدعوهم الى الكفر بالحرية الشخصية ، فقد صهزنا ايماننا دفاعا عن هذه الحرية ولن نتنازل عنها حتى لو قبض عليها الملائكة ولكنى أدعوهم الى أن ينزلوا الى الأرض وأن يكونوا بشرا وأن يعملوا وأن يصدوا الزحف الذى أعد لهم وأن يحطموا صفوف الشر قبل أن تتجمع فى جيوش ويطلقوا طلقة واحدة قبل أن يضطرها الى انطلاق ملايين الطلقات أننا لا نريد أن نقيم منهم نظاما لحكم مصر وقد قلت أننا نعارض وسنعارض دائما أن تفرض على مصر دكتاتورية عسكرية .. ولكننا نريدهم أداة نافعة لتطهير الأرض التى نقيم عليها النظام الجديد ..

قال لى الأستاذ احسان :

« كنت مؤمنا ايمانا لا حدود له بأن مهمة هؤلاء الثوار لم تنته بعزل الملك فهناك ما هو أخطر من فاروق نفسه ، أذئاب حكمه وبقايا عهده الفاسد فكان لابد لهؤلاء الثوار أن يتحركوا كما تحركوا فى اليوم الأول فمحطوا بقية الصخور التى تعترض الطريق فطالبت بضرورة الحماية من الذين يتكلمون باسم الدستور وهم نكبة على الدستور وكذلك هؤلاء الذين يتكلمون باسم الاستقرار الاقتصادى وكانوا نكبة على اقتصاد مصر. وأيضا الحماية من الذين يستغلون القضية الوطنية للتمويه على الناس ولصرفهم عن البناء الجديد وقد فشلت القضية الوطنية فى أيديهم منذ سبعين عاما .. وكان فى رأى أن هؤلاء الثوار هم فقط الذين يستطيعون توقيف هذه الحماية لأنهم يمثلون قوة شعبية هائلة وهى التى استطاعت أن تقضى على رأس الفساد فاروق » .

هذه هى القوة الشعبية التى يتكلم عنها كاتبنا نادى بها فى العديد من مقالاته قبل الثورة وبعدها .. أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر هل يستطيع رئيس الوزراء أن يرى الراى العام ؟ .. النار للكافرين .. فإين جنة الصالحين ؟ متى يقدر لمصر أن تحكم بلا احكام عرفية ؟ .. الخ .

فأستاذنا يرى أن سر قوة عرابي عندما قام مطالباً بالدستور هو أنه كان يمثل قوة شعبية ٠٠ نفس هذه القوة كانت مع مصطفى كامل عندما قام يطالب بالجلاء ٠٠ وأيضا استطاع سعد زغلول بهذه الفكرة الشعبية أن ينتصر على الفساد الذي سبق زعامته وأن يقضى على عملاء الانجليز الذين كانوا يسيطرون على مصر. وأن يوحد المسلمين والأقباط بعد أن دق الاحتلال بينهم سورا من نار البغض والحقد والتعصب ٠٠ بل أنه استطاع أن يقضى على بقية الأحزاب الوطنية عندما نزع الفكرة الشعبية عنه ٠٠ استطاع سعد زغلول أن يفعل كل ذلك بمجرد تمثيله للفكرة الشعبية ولم يحتاج لقانون ولا لقوة الحاكم ولا الى الاضطهاد ٠٠

وكان يرى أن العهد الجديد - عهد الثورة - يحمل هذه الفكرة الشعبية وهو بها يكون أقوى من أن يحتاج الى قوة الحاكم وأقوى من أن يحتاج الى الأحكام العرفية وأقوى من أن يحتاج لقوانين استثنائية وأقوى من أن يحتاج الى اعلان الرقابة على الصحف ٠٠ وأقوى من أن يخاف الأخطاء المتعمدة أو غير المتعمدة التي قد يرتكبها بعض الأفراد باسم هذه الحرية ٠٠

قال لي الأستاذ احسان :

« ناديت في بداية الثورة بضرورة تمكين هذه الفكرة الشعبية في العهد الجديد كاسلوب من أساليب الحكم ورفع شعائرها بين الناس وكنت أرى أن الفترة المؤقتة ما هي الا فترة ليختبر الشعب زعماء الجدد ويختبر قدرتهم على تحقيق الفكرة الشعبية ٠٠ وناديت بضرورة وضع دستور مؤقت ليضمن مبادئ الحريات العامة خلال فترة الانتقال المؤقتة كما طالبت أيضا بضرورة وضع برنامج مرسوم للعهد الجديد كي يحق للصالحين أن يؤمنوا به ويشتركوا في تنفيذه » .

كتب أستاذنا في روز البوسف مقالا تحت عنوان « متى يقدر مصر أن تحكم بلا أحكام عرفية ؟ » في عدد رقم ١٣١٢ يقول :

« انى عندما ألح فى طلب الغاء الأحكام العرفية ورفع الرقابة على الصحف فلأنى أومن بأن هذا العهد مؤيد من الشعب تأييدا جارفا وان هذا التأييد أقوى من الأحكام العرفية ومن الرقابة على الصحف .

ولم يكن سعد زغلول - مثلا - يملك اعلان الرقابة على الصحف

ورغم ذلك كانت الصحف كلها تقريبا تؤيده .. بل كانت الصحف تسعى الى تأييده وارضائه لتضمن انتشارها وعندما خرجت احدى الصحف عن الاجماع وحاولت أن تدس لزعامته لحساب السراى ولحساب الانجليز اكتفى سعد بأن وقف بيز الشعب ثم قال لا تقرءوا هذه الجريدة .. أنا أقرأها نيابة عنكم ان كان فيها ما يستحق القراءة .. وكان في هذا القول ما يكفي لتهوى الجريدة فلا يقرؤها أحد ويكاد الشعب لفرط كراهيته لها أن يحرق دارها ..

ولم يكن عرابى ولا مصطفى كامل ولا سعد زغلول يملكون حق الأحكام العرفية ورغم ذلك استطاعوا أن يصونوا زعامتهم من الدساسين وأن يصونوا أمتهم من أعدائها وعندما أعلن سعد زغلول مقاطعة لجنة ملنر الانجليزية لم يجرؤ مصرى واحد على الاتصال بها حتى الذين سعوا اليها فى الظلام انكشف أمرهم وساء مصيرهم ، الخ ..

وطالب فى نهاية مقاله من قادة هذا العهد الذين قاسوا من الأحكام العرفية فى العهد الماضى بضرورة تدريب أنفسهم على أن يحكموا بلا أحكام عرفية ندرىب شاق سيجتازون فيه تجارب عصبية ان لم يتحملوها اليوم فلن يتحملوها أبدا !! ..

وختم مقاله قائلا : « لن أتوقف عن الحاحى هذا وأرجو أن يكون لى دائما حق الإلحاح وقد استجاب القادة الى كثير مما ألححت فيه لذلك فانى الخ .. وكلى أمل وكلى ثقة .. » ..

قال لى الأستاذ احسان :

« كان رأيى دائما أن الأحكام العرفية والرقابة على الصحف يشوهان روعة التأييد الشعبى وروعة تأييد الأعلام مهما كان تأييدها صادرا عن صدق وإخلاص بل ان مجرد اعلان الأحكام العرفية هو دائما سلاح فى يد الأعداء على الحاكم أكثر منه سلاحا فى يد الحاكم على الأعداء .. ومن هذا المنطلق كان خوفى على قادة العهد الجديد » .

وفى الواقع أن أستاذنا كتب مقالات عديدة قبل الثورة وبعدها مطالبا بالغاء الأحكام العرفية .. فالحرية كما نرى هى قضيته الأولى ومن الجدير بالذكر أن الأحكام العرفية لم تلغ الا عام ١٩٨٠ فى عهد الرئيس السادات ثم عادت بعد اغتتياله مباشرة فى أكتوبر ١٩٨١ ..

٢٠ - احسان ٠٠ والعدوان على السنهورى ودفاعه عن الديمقراطية النيابية

بعد اعلان النظام الجمهورى الذى سعى من أجله كاتبنا الكبير بكل
شجاعة وجرأة متحديا كافة الصراعات التى ظهرت على مسرح الحياة
السياسية وبالتالى اتفاهه تماما فى المبادئ مع قادة الثورة ، هل هدا
هذا القلم واستراح ؟

يقول الأستاذ احسان : « ان الطريق الى المستقبل هو رفض الواقع
وعدم الاستسلام له وأنا طوال حياتى رافض للواقع السياسى والاجتماعى
فى جميع مراحلها ، وما أزال أرفضه حتى الآن ٠٠ !! ولن يتقدم الانسان
(الى المستقبل) ما لم يرفض واقعه أولا بأول ٠٠ ولهذا ٠٠ بدأت - وبعد
سنة من قيام ثورة ٢٣ يولية - أشعر بأن الطريق الذى اختارته الثورة
ليس أسلم الطرق لتحقيق المبادئ التى أومن بها ٠٠ !! مع أن مجلس
قيادة الثورة رفع - فى ذلك الوقت المبكر وباخلاص - شعار الديمقراطية ٠٠
الا أن الطريق لتحقيق هذه الديمقراطية - والذين فكروا فى اختياره -
لم يكن فى رأى أسلم الطرق ٠٠ فرحت أناقشهم فى تشكيل حزب ثورى
يتزعمه جمال عبد الناصر . على أن يدخل هذا الحزب المعترك السياسى
مع باقى الأحزاب التى كنت واثقا من أنها ستتهزم تماما أمام الحزب الجديد
الذى يملك بحكم تبنيه لفكرة الثورة ، منهجا سيربطه بالقواعد الشعبية
العريضة ٠٠ وقد استدعيت لحضور اجتماع لمجلس قيادة الثورة لم يحضره

الا بعض الاعضاء عرضت فيه فكرتي بانشاء حزب يمثل الثورة وطال النقاش دون أن تنتهي الى شيء محدد . . . ولكن بعد أيام فوجئت بانشاء هيئة التحرير . . . ولكن هيئة التحرير - وهي أسلوب الحزب الواحد - لم تكن تعبيراً عن الطريق الذي كنت أرجو أن تسير فيه (الثورة) لتحقيق الديمقراطية . . . وهنا احساست بأن الحرية - قضية عمرى كله - معرضة للخطر . . . ومهما كانت دوافع هذا الخطر بالغة الاخلاص . . . !! فهو فى النهاية خطر يتهدد الحرية . . . ولذا كان لزاماً على أن أصنع شيئاً . . . وصنعت ما فى وسعى . . . وشرعت قلمي لأعبر به - فى روز اليوسف - عن رأيى الذى بدا كأنه « معارضة للثورة » . . . بينما هو فى حقيقة الأمر استجابة لطبيعتى التى لازمتنى دائماً عندما أنفعل بالواقع بحرية . . . وأعبر عنه بحرية ولا ألتمز الا بما أشعر . . . وكانت الخطوة الأولى على الطريق الذى انتهى بى فيما بعد الى السجن الحربى . . . معتقلاً لأول مرة بعد قيام ثورة ٢٣ يولية !! » . . .

. . . وهكذا انتهى حال الأستاذ احسان فى تلك الفترة الحاسمة من تاريخ مصر الوطنى بعد الثورة الى السجن الحربى فى الزنازة رقم (١٩) . . . تصور ! . . . احسان المناضل الثورى الذى اشترك فى الثورة بقلمه وجاهد الكثير فى سبيل قيامها ينتهى به المطاف نزيلاً فى السجن الحربى على يد قادة الثورة الذين كانوا يوماً أصدقاءه قبل قيامها . . . احسان الذى طالب بالنظام الجمهورى . . . والعدالة الاجتماعية متمثلة فى قانون الاصلاح الزراعى . . . انه لشيء حزين على النفس حقاً !! . . . ولكن هل كان دخوله للسجن على يد هؤلاء الثوار نقطة تحول فى حياته الثورية بحيث غير هذه المبادئ الثورية ووقف عدواً معادياً للثورة ؟ . . . أم أن الثورة نفسها قد حادت عن الطريق الصحيح ؟ . . .

يلق الأستاذ احسان على هذه الفترة من حياته قائلاً :

« أنا انسان أو من بضرورة الحركة ، وأكفر بالجمود لأنه قرين الموت ومقدمة طبيعية له . . . والثورة قمة الحركة الدافعة انطلاقاً لصنع مستقبل جديد على أتقاض واقع تجمد . . . وأنا نصير المستقبل ، وعدو الاستسلام للواقع وخاصة اذا كان عقلنا كما كان الحال قبيل تفجر الثورة . . . فمن السذاجة أن أرجع بأسباب سجنى - بعد الثورة - الى عامل واحد . . . انما هى مجموعة أسباب ، توازت أو تقاطعت على فترات متلاحقة لتشكّل فى النهاية صورة قائمة . . . كان من الطبيعى أن يستضيفنى بعدها عبدالناصر فى السجن الحربى ! . . . وكان أول خط قاتم فى الصفحة النقيصة ،

ذلك اليوم الكريم ٠٠ الذى سمعت فيه نبأ الاعتداء على واحد من اعلام
القانون فى العالم العربى كله ، ومفخرة مصر فى الفقه المدنى والادارى .
الذى استحق عن جدارة لقب « أبو القانون المدنى المصرى » ٠٠

« تصورى عبد الرازق السنهورى يعتدى عليه بالضرب ١٩٠٠ !
وأين ١٩٠٠ فى مكتبه بأول حصن حقيقى للحرية فى مصر - ما قبل
الثورة - السنهورى الذى كافح كفاح الأبطال الحقيقيين حتى انتزع من
أنياب نظام الحكم الفاسد - قبل ثورة يوليو - الموافقة على انشاء مجلس
الدولة ليكون حصن أمان حقيقى يحمى المواطن من جبروت القرارات
الادارية التى كان يصدرها نظام حكم عات لا يرحم ٠٠ ولا يكتفى العالم
الحر باستصدار قانون مجلس الدولة كشكل ، بل يجاهد فى معارك
ضارية لكى يحول هذا الشكل الى واقع عملى يكبح جماح الحكومة ويوقف
طغيانها عند حد - ان لم يكن قضى على هذا الطغيان ٠٠ تصورى السنهورى
هذا ، الذى كان من الواجب أن تقيم له حكومة الثورة تمثالا . حارس
أمين لحرية المواطن فى وجه حكومات لم تكن تعرف المعنى الحقيقى للحرية .
هذا الرجل توجه ضده مظاهرة مدبرة لتهاجمه فى مكتبه - كرئيس لمجلس
الدولة - وتكافئه وهو فى سن الشيخوخة - بالضرب ، كأبشع مكافأة
على أحسن صنيع ٠٠ ! وانسبب ١٩٠٠ ! أنه وقف بجانب الحرية !!

« ٠٠ وبالطبع ثرت بعنف احتجاجا على ضرب د٠ السنهورى وذهبت
الى زيارته فى بيته ، ولم يعجب هذا بعض خصومى ، فأوقعوا بينى وبين
كبار رجال الثورة ٠٠ ؟ وقد لا يعرف الكثيرون أن صلة وثيقة كانت تجمع
بين المرحوم ، الرئيس جمال عبد الناصر وأحمد أبو الفتح ، وأن هذه الصلة
توطدت لتحول الى صداقة بين الاثنين ٠٠ وكان عبد الناصر يسهر فى
صحيفة «المصرى» بمكتب أحمد أبو الفتح ٠٠ وكنت شخصيا سعيدا بهذه
العلاقة بينهما ، فكلاهما صديقى ، وكلاهما يؤمن بهدف واحد ، وان اختلفت
تفاصيل الوصول الى هذا الهدف ٠٠ فقد كان أحمد أبو الفتح يؤمن بالحرية
بمعناها الديمقراطية الحزبى ، ويرى ضرورة وجود الأحزاب النظيفية ،
وكان يعجبني فيه حماسه الذى دفعه الى احتضان ما كان يسمى « بالجناح
اليسارى » فى حزب الوفد ٠٠ وعندما وقع الخلاف مع أبو الفتح - حول
موضوع بقاء الأحزاب أو الغائها - وانتهى الأمر بإغلاق جريدة المصرى
حسب خصومى - ضدى - اننى صديق لأحمد أبو الفتح ، واستطاعوا
براعة شيطانية أن يحولوا تلك الصداقة الى تهمة تضاف الى صحيفة
سوابقى التى كانت آخذة فى التضخم دون أن أدري ٠٠ ولك أن تصورى

مدى المرارة . بل مدى الرعب الذى أصابنى ، عندما أحسست باننى أعيش مرحلة من مراحل السياسة المصرية ، تتحول فيها الصداقة – مجرد صداقة – لانسان ما . أيا كان هذا الانسان الى تهمة تحسب على المرء دون أن يدري ليؤخذ بجريرتها عندما تحين ساعته ٠٠ ! ٠٠

وعن العوامل المتراكمة التى أدت الى الزج به فى السجن الحربى فى ١٩٥٤/٤/٢٨ يقول :

« لقد أسعدنى التطور الطبيعى الذى سارت فيه الامور بالاتجاه السليم نحو تحقيق الديمقراطية البرلمانية بالبيان التاريخى الذى أعلنه اللواء محمد نجيب بعد تسوية الخلاف بينه وبين جمال عبد الناصر ٠٠ ذلك البيان الذى سجل فيه (محمد نجيب) انتصار الرأى المنادى بالديمقراطية القائمة على تنافس الأحزاب . باعتبارها الشكل الذى يرضيه الشعب المصرى لحكومته القادمة فى الطريق !! كما أعلن « محمد نجيب » انه تقرر تشكيل « لجنة لوضع الدستور » الذى سيعرض على « جمعية تأسيسية » تحل بمجرد قيامها محل « مجلس قيادة الثورة » الذى يحل فوراً بمجرد مباشرة هذه الجمعية التأسيسية لعملها النيابى ٠٠

« كنت مؤمناً بأن الثورة حتى ذلك التاريخ – على الأقل – لم تكن ثورة تشريعية ، بل كانت ثورة تنفيذية ٠٠ والثورات التنفيذية التى تريد لنفسها الاحتفاظ بمبرر قيامها وبقائها ، يتحتم عليها أن تحافظ على النظريات التشريعية التى ارتضتها الأغلبية الساحقة من الشعب الذى قامت الثورة من أجله وباسمه ٠٠ فثورة ٢٣ يولية كانت ذات طبيعة تنفيذية بحتة لحظة قيامها ٠٠ فقد قامت كحلقة متممة لسلسلة ثورات شعبية سبقتها ، وهدفها جميعاً هو القضاء على الفساد واقتلاع جذوره ٠٠ ثم تترك الحرية للمشرعين ليسيروا فى أمان الله ٠٠ ولتتضارب آراؤهم بعضها ببعض فى ظل نظام برلمانى مكين ٠٠ وقد ظن بعض السذج أن الثورة تستطيع أن « تشرع » اتجاهاً جديداً لم تشهده مصر ، ولم يكن هدفاً من أهداف الشعب !! ٠٠ ولو أننى أردت تلخيص أهداف هذه الثورة التى هى نفسها أهداف ما سبقتها من ثورات فى كلمة واحدة . لكأنت تلك الكلمة هى ٠٠ الإصلاح !!

كتب الأستاذ احسان مقالا جريئا في روز اليوسف يقول فيه :

« كل ما تم في هذا العهد كان يمكن ، لولا عجز الشعب في ثورانه السابقة، ولولا خيانة بعض الزعماء ، أن يتمشى مع مبادئ العهد الماضي . . .
فالفاء الرتب طالب به صدقي باشا في البرلمان . . . وتحديد الملكية
انزاعية . طالب به محمد خطاب - وهو سعدى - وطالب به ابراهيم
نسكرى - وهو اشتراكي - في البرلمان . وقد تم هذا التحديد في الهند
وابطاليا دون حاجة الى ثورة . . . والتطهير كله ، شرع فيه نجيب الهلالي
ووضع له قانون « الغدر » الذي طبق في هذا العهد ، كما حاولته كل
حكومة عادت الوفد . . . !!

« والأحزاب الممثلة في وزارات العهد الجديد - عهد الثورة - عام
١٩٥٤ ، كانت ممثلة في وزارات العهد الماضي . . . فالحزب الوطني الذي
يمثله - أيامها - فتحى رضوان - ونورالدين طراف، كان يمثله زهير جرانة
في العهد الماضي . . . وجمعية الفلاح التي مثلت في هذا العهد بستة
وزراء ، فى يوم من الأيام ، كانت ممثلة برئيسها الدكتور أحمد حسين .
فى العهد الماضي . . . ومعظم المستشارين والموجهين الذين يتعاونون مع
هذا العهد ، كانوا يتعاونون مع العهد الماضي ، ولم يشعروا أنهم فى حاجة
الى تغيير شىء من مبادئهم أو من منطقتهم . . . حتى الاجراءات العنيفة التي
اتخذت فى سبيل الاصلاح ، اتخذ مثلها فى العهود السابقة ! محمد محمود
أعلن وقف الدستور لمدة ثلاث سنوات ، وكانت حجته الاصلاح !! . . .
وصدق كذب دستورا جديدا ، وكانت حجته أيضا الاصلاح . . . !! وحل
الاخوان المسلمين ، حاولته كل الحكومات فى سبيل الاستقرار . . . !! . . .
والاحكام العرفية والرقابة على الصحف ، اشتركت الأحزاب كلها فى
فرضها على البلاد وكانت حجتها واحدة لا تتغير . . . حماية الدولة
والاصلاح !! » . . .

ولكن ماذا حدث حتى يستمر احسان عبد القدوس فى مهاجمة
الثورة رغم اعلانها - صراحة - ما كان يناضل من أجله دائما قبل
الثورة ؟ . . .

يقول الأستاذ احسان :

« كنت خائفا من احتمال تحول الثورة عن خطها الديمقراطي الذي
ارتضاه الشعب ، وكان أخوف ما أخافه على الثورة وقادتها ، أن ينجح
أعداء الحرية فى تزيين فكرة الديكتاتورية العسكرية بكل اغراءاتها ،
للثوار الشبان . . .

ولهذا سارعت بهاجمة الديكتاتورية العسكرية بروز اليوسف في
معال عنيف قلت فيه بالحرف : « لماذا لا تستطيع هذه الثورة اذا شاءت ،
ان تفرض على الشعب نوعا من الديكتاتورية العسكرية ، وهي تملك قوة
الجيش وقوة البوليس ، وتستنطع بهما أن تفرض على الشعب ما تشاء ؟!
سمنحيل !! ٠٠ ألف مرة مستحيل ٠٠ !! فهل تقوم ديكتاتورية عسكرية
في اى ناحية من العالم الا مستندة على واحد من اثنين : اما رأسمالية
ضخمة قوية ٠٠ أو دولة أجنبية ٠٠!! ٠٠ قام هتلر مستندا على الرأسمالية
البريطانية والأمريكية ليقف في وجه الشيوعية ٠٠ وقام فرانكو مستندا
على دولة أجنبية – هي ألمانيا – ولما سقطت ألمانيا ، اضطر الى الاستناد على
أمريكا ٠٠ وقام موسوليني مستندا على الطبقة الرأسمالية الداخلية ٠٠
ثم استند على ألمانيا ، وجميع الديكتاتوريات في أمريكا الجنوبية تستند
على تأييد الولايات المتحدة ٠٠ وتسقط عندما تتخلى عنها ٠٠ !! » ٠٠

« كنت أريد فعلا أن أقطع الطريق على من تسول له نفسه التفكير
في الديكتاتورية العسكرية كشكل للحكم في مصر ، بعد أن أعلنت ثورة
٢٤ يوليو ، انها وفاء منها لعهدا مع الشعب ، ستفتح الباب للحرية على
مصر اعيه ليختار الشعب طريقه بنفسه ، دون وصاية عليه من أحد ٠٠
ولهذا قلت ، في نفس المقال الذي أعتبره الآن واحدا من ألغام ثلاثة انفجرت
تباعا على شكل تعادلات . قذف بي انفجارها الى قاع السجن الحربى ٠٠
وأذكر الآن أنني قلت بالحرف الواحد : « لن أفيض في شرح الأسس التي
يستند اليها نظام الديكتاتورية العسكرية ، ويكفى أن أضرب مثلا بتاجر
الرقيق ، فهو لا يستطيع أن يستمر في تجارته الا اذا وجد مشتريا
أجنبيا . والا اذا وجد رأسمالا كافيا لاطعام الرقيق ، حتى لا يموتوا من
الجوع ، أو يضعفوا فلا يجنى من وراثهم ربحا ٠٠ وكذلك الديكتاتور
العسكري ٠٠ فهو في حاجة الى من يشتري منه الشعب ، وفي حاجة الى
رأسمال يطعم به هذا الشعب ، ويرضى الجيش الذي يسنده ٠٠ وقادة
ثورة الجيش ليسوا من هذا النوع ٠٠ واني أعرفهم جيدا وأعرف أن ليس
بينهم واحد الا ويعادى كل القوى الأجنبية التي يمكن أن تتعامل مع تجار
الرقيق ٠٠ لهذا لا يمكن أن تتجه الثورة الى اقامة ديكتاتورية عسكرية ،
لا يمكن ٠٠ انها لا تستطيع ٠٠ وكل من حاول أن يحاول توجيه الثورة
الى هذا الاتجاه ٠٠ غبي لا يفهم ٠٠ ولن تنتهي محاولته الا الى
نارثة ٠٠ !! ٠٠ »

« ولذلك اتجهت فى كتابة مقالاتى السباسبية فى روز الیوسف فى تلك الفترة الى تأييد رأى هذا « ٠٠ »

وتدعيما لموقفه هذا نجده ينشر فى روز الیوسف فى عددها رقم ١٣٤٤ تصريحا لقائد الثورة ورئيس الجمهورية فى ذلك الوقت اللواء محمد نجيب قال فيه :

« ان الحياة النيابية الصحيحة للشعب المصرى تكون بواسطة انتخابات صحيحة للجمعية التأسيسية التى سنشرف على وضع الدستور الجديد فى أقرب وقت « ٠٠ وعنى أن تراقب هذه الجمعية - المنتخبه انتخاباتا صحيحا - أعمال الحكومة فى نفس الوقت « ٠٠ حتى يتم وضع الدستور الجديد ، الذى يبنى نظام الحكم النيابى الصحيح لمصر « ٠٠ »

ويضيف اللواء محمد نجيب :

« ان أنسب الطرق لانتخاب رئيس الجمهورية « ٠٠ هو أن ما تقرره لجنة الدستور ، وتوافق عليه الجمعية التأسيسية - المنتخبه انتخاباتا صحيحا - هو الرأى الذى يجب أن يأخذ به الجميع « ٠٠ وانتخاب رئيس الجمهورية المصرية لا يختلف عن باقى مواد الدستور الأخرى التى ستضعها اللجان المتخصصة ، ويوافق عليها الشعب كله مثلا فى الجمعية التأسيسية « ٠٠ واننى أرحب كل الترحيب بأى نظام لانتخاب رئيس الجمهورية ، لأننى سبق أن قلت ان كل فرد فى الشعب المصرى يجب أن يشعر بأن من حقه أن يلى كل مناصب الدولة حتى منصب رئيس الجمهورية ما دام كفؤا لذلك « ٠٠ »

يعلق الأستاذ احسان على هذه المقالات قائلا :

« كنت وصلت الى نقطة اللاعودة فى دفاعى عن الحرية الوليدة ، التى أراها مهددة - وهى لا تزال مجرد قرار لم ينفذ بعد - وكانت المسألة بالنسبة لى حياة أو موت « ٠٠ وكنت أشعر بحاستى السياسية التى تربت عندى طول المعاناة فى بحر السياسة المصرية الصاخب الموج - قبل الثورة وبعدها - أن ثورة ٢٣ يولية تقف فى مفترق الطرق « ٠٠ وعلى كل مخلص للحرية الحقنة أن يبادر الى تقديم النصح خالصا لوجه الله والشعب « ٠٠ والحرية « ٠٠ ولهذا تقدمت للدفاع عن الحرية - كما أؤمن بها « ٠٠ لا أبتغى مسلحة خاصة « ٠٠ بل لعل كنت أدوس مصالحى الفردية التى كانت تنادىنى باغماض عيني عن المعنى الحقيقى المستتر وراء بعض الاتجاهات !! ولم أر

فى تصرفى وقتها بطولة ، بل هو مجرد قيام بواجب حتمى من انسان يؤمن بأن واجبه الدفاع عن الحرية ٠٠٠ وقطع الطريق على كل محاولة لاغتيالها ، مهما كان خصم الحرية قريبا لنفسى كفرد ٠٠ ولهذا نشرت فى نفس العدد ثلاثة أخبار بسيطة فى عبارتها ولكنها من حيث المضمون ، تكمل الدائرة التى أردت بها محاصرة الاتجاه المعادى للحرية ، الذى كان قد بدأ يترنح فى ذلك الوقت تحت الضغط الجماهيرى المؤيد للاتجاه المناصر للديمقراطية داخل مجلس الثورة « ٠٠

٠٠٠ وهكذا أعلن اللواء محمد نجيب عن قيام جمعية تأسيسية منتخبة تقرر الدستور الجديد تمهيدا لعودة الديمقراطية البرلمانية بعد سلسلة من الصراعات الطويلة بين أنصار الديمقراطية الحزبية وخصومها ٠٠ ذلك الصراع الذى انتهى بالصلح بين اللواء محمد نجيب وأنصاره وبين الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ومؤيديه ٠٠

٢١ - احسان يكتب : الجمعية السرية التي تحكم مصر

قال لى الأستاذ احسان :

« أصدر بالفعل اللواء محمد نجيب بيانه المشهور الذى أعلن فيه عن قيام جمعية تأسيسية عننحية ٠٠ ولكن بعد أن كانت بذرة الشر قد زرعت فعلا فى حياتنا السياسية ٠٠ وتمثلت البداية فى « العيون » التى بثها كل من الفريقين حول الآخر ١٠٠ ماذا أقصد على وجه التحديد ٠٠! أن محمد نجيب عاذ لرئاسة الجمهورية بعد اتمام الصلح ٠٠ ولكن لم ينس أنه اضطر للتنحي تحت ضغوط معارضية وقوتهم ٠٠ وسى قوة لا تزال قائمة ومؤثرة وقادرة على ممارسة ضغطها فى أى وقت !! وخصوم فكرة الحرية بمعناها الديمقراطى ، لم ينسوا أنهم اضطروا تحت تأثير الضغط الشعبى الى التراجع عن فكرة « الحكومة القوية غير الحزبية التى تحمى الثورة وتصونها للشعب » ٠٠ !! ٠٠ ومعنى هذا أن كلا الفريقين كان يتربص بالآخر فى الحفاء ، وبعد العدة - فى صمت - للخلاص من صاحبه ٠٠ وهذا الصراع السفلى ، يقتضى بالضرورة نوعا معينا من الحرب ، يسمى فى الاستراتيجية الحديثة « بالحرب السرية » أى « حرب المخابرات » « والمكاتب الخاصة » القادرة على « جمع المعلومات » عن الخصوم والمعارضين ٠٠ ومنذ ذلك التاريخ كانت البداية المتواضعة التى نمت وتضخمت ، حتى أدت الى ظهور قوة عاتية وصل بها تضخم الاحساس بالذات الى تشكيل أكبر مركز للقوى شهدته مصر فى تاريخها الحديث وشهدت سقوطه فى الخامس عشر من مايو عام ١٩٧١ ٠٠ »

« لم يكن هناك في الواقع مجال للاختيار .. !! .. فاما أن أكون
- كما عشت دائما - مع الحرية ، أو ضدها .. !! .. ولقد وجدت نفسي
يوما مسوقا الى اختيار جبرى - ان صح التعبير - فانحزت الى جانب
الحرية ، بصرف النظر عن يقفون في صفها .. ورغم أن الألم كان يعتصرني
كفرد ، لأن هذا الاختيار « الجبرى » جعلنى أتخلى عن صداقة من صادقته
لسنوات عديدة فى مرحلة الاعداد للثورة .. الا أن الموقف فى مارس
١٩٥٤ كان عندى فوق الصداقة والعلاقات الخاصة ، لأنه كان يمس الحرية
التي أحسست انها مهددة بموت لا حياة لها بعده .. الا بعد سنوات يعلم
الله زحده مداها ، لو قدر لخصوم الحرية أن ينتصروا .. ومن هنا ..
كانت شراستى فى الدفاع عن الحرية ، الذى كان يمثل فى نظرى دفاعا
عن الثورة ذاتها .. تلك الثورة التي رحبنا جميعا بها ، باعتبارها منطلق
سيادة الشعب كله ، لا منطلق سيادة فرد بعينه مهما كان حبا لهذا
الفرد أو ثقتنا فيه ، لأنه فى النهاية « فرد » .. والحاكم الفرد - مهما بلغ
تجرده - بذرة بالغة الخطر ، وسريعة النمو .. لديكتاتور طاغية !! ..
واتجهت فى تلك الفترة الى تأييد رأى هذا بمجموعة من المقالات السياسية
أنشرها فى مجلة روز اليوسف ..

فى العدد رقم ١٣٤٥ نشر فى روز اليوسف تحت عنوان :
« أعداء الشعب » كلمة تقول : هذا السخف .. أو هذا العبث الصبباني
الذى حدث فى الجامعة ، المحطة ، وكرلوب محمد على .. عبث سخيف ومؤامرة
مفضوحة ، من أعداء الشعب .. لمصلحة من يحدث هذا ؟! لقد أجمع
الشعب ، طلبته وعماله وأساتذة الجامعة والمحامون والصحفيون ورجال
الجيش .. الشعب كله أجمع فى اصرار على المطالبة بحرياته واعادة الحياة
النيابية .. وانفجار القنابل فى هذا الوقت بالذات وفى القاهرة لن يكون
الا من أعداء الحرية وأعداء الحياة النيابية وأعداء الشعب .. !! ، ..

وعلى الصفحة المقابلة لتلك الكلمة نشر حديث خطير للصاغ صلاح
سالم عضو مجلس قيادة الثورة اذ ذاك .. يقول فيه :

« اننا لو كنا نهدف الى التلكؤ فى عودة الحرية والديمقراطية ، أو
نهدف الى التحلل مما أعلننا عنه - يقصد القرار الذى أعلنه اللواء محمد
نجيب بتشكيل جمعية تأسيسية منتخبة تحل محل مجلس الثورة - لو
كنا نهدف الى هذا كان من السهل علينا جدا أن نخلق جوا من القلق أو
التوتر أو الاضطراب .. نرى فيه أكثر من ميرر قوى لابقاء الأوضاع
الحالية .. كان من السهل علينا فعلا أن نسمح بقيام المظاهرات .. كل

مظاهرة تنتصر لرأى أو تخالف فكرة ٠٠ ثم تصطدم الآراء وتصطدم المظاهرات ، ويصطدم الناس بعضهم ببعض فى الطرقات ٠٠ ثم يتدخل البوليس ٠٠ ويتدخل الجيش لاعادة الأمن ٠٠ وتسيل الدماء ٠٠ وفى مثل هذه المواقف - مواقف القلق والتوتر والاضطراب - نجد ألف دليل مقنع وألف مبرر قوى لابقاء الأوضاع الراهنة على ما هي عليه !! ، ٠٠

٠٠٠ وكان أخطر مقال له بعد الثورة نشره فى روز اليوسف تحت عنوان « الجمعية السرية التى تحكم مصر » دعا فيه مجلس الثورة الى التخلي عن أسلوب « الجمعيات السرية » بعد أن تحولوا الى حكام مسئولين أمام الشعب ومن حق الشعب أن يحاسبهم على ما يتخذون من قرارات تمس مصيره وتؤثر على مستقبله ، لأن أسلوب « الجمعيات السرية » التى تعد للثورة ، لا يصلح أسلوبا لحكام يقودون الثورة بعد نجاحها ٠٠

يقول الأستاذ احسان :

« لم تكن لغة المقال فى ذاتها كافية لادانتى فى نظر خصومى ٠٠ ولكن مدلول المقال كمؤشر لعدائى وموقفى الصارم ضد خصوم الحرية ، وضد ما شرعوا فى تنفيذه من مخطط قاس ، هو الذى اثارهم ضدى ٠٠ ولهذا بادرت فى عدد (٢٩ مارس) الى كتابة مقال لم أتردد فى أن أطالب فيه صراحة بضرورة خروج جمال عبد الناصر وزملائه من قادة الثورة من الجيش ، قبل عودة الحياة النيابية المرتقبة كضمان للحياة السياسية مستقرة » ٠٠

وكان من أجراً ما قاله فى هذا المقال وسبب غضب قادة الثورة منه ، الجزء التالى :

« ٠٠٠ وجمال عبد الناصر ، وقادة الثورة ٠٠ يعلمون أكثر منى بالمشورات التى تصدر هذه الأيام ، ويعلمون من أين تصدر وماذا وراءها ٠٠ وهم يعلمون أكثر منى بما يقال وما يتردد هنا وهناك وما قد يعقب كل ذلك من محاولات ٠٠ ولن أناشد جمال فهو ليس فى حاجة الى من يناشده ، ولكن أريد أن يعترف بالأمر الواقع ويعلم أنه فعلا رئيس الحزب ٠٠ له جريدة كبرى وله هيئة تستطيع أن تدبر المظاهرات وتوزع المنشورات وتلقى القنابل ٠٠ وهو المسئول عن هذا الحزب وعن تصرفاته سواء اعترف بهذه المسئولية أم لم يعترف !!

« وأريده أن يضرب مثلاً جديداً في الجهاد بالخروج بجمعيته الى صفوف الشعب ليكافح كزعيم من زعماء الشعب ... انى وائق به وبوطنيته لأنى أخاف على مصر وعليه ان لم أثق به ... !! » ..

.. وهكذا استمر الأستاذ احسان فى نضاله الدائب بالكلمة الحرة من أجل تحقيق الديمقراطية النيابية التى ظل يحلم بها سنوات طويلة .. الى أن اتهمه أعداؤه بأنه يدعو الى تصفية الثورة وبالتالي أوقعوا بينه وبين قادتها الذين كانوا يوماً من الأيام أصدقاء له وزملاء، فى الكفاح الثورى ..

.. ويعلق الأستاذ احسان على ذلك قائلاً : « فى الواقع اننى كنت احاول فى تلك الأيام أن أقنع القادة بضرورة الوصول الى وضع طبيعى من أوضاع الحكم ، واقترحت - كخطوة أولى - انشاء حزب يمثل الثورة ويضم المدنيين فقط من أبناء الشعب ، واذا أراد أحد من القادة أو الضباط أن ينضم اليه فيجب أن يستقيل من الجيش أولاً : ... »

ولست مسئولاً عما صوره أعدائى من وراء ظهرى .. لأننى كنت واضحاً مع القادة الذين شرحت لهم اقتراحى فى جلسات طويلة متعددة ، وكنت أعتقد أن تكوين هذا الحزب سينقل الثورة من ثورة عسكرية الى ثورة شعبية ، وسينقل مجلس الثورة الى مجلس ادارة للحزب كبقية المجالس الادارية فى بقية الأحزاب .. وأن مجرد وجوده سيؤدى الى اجراء انتخابات ووضع الحكم فى وضعه الطبيعى ..

« واعتقدت انى أقنعت القادة « كلهم » .. ووصلنا الى حد تفرق بالاجماع أن يستقيل جمال عبد الناصر من الجيش ، ليتفرغ لتكوين الحزب « الثورى الجديد » ثم .. ينضم اليه القادة بعد ذلك !!

« ولم تمض الا أسابيع ، واذا بى أفاجأ بتكوين هيئة التحرير .. واذا بدارها هى ثكنات الحرس .. واذا بالجنود المدجج بالسلاح يقف على أبوابها .. واذا برؤسائها كلهم ضماط وخطبائها كلهم ضماط ..

... وهكذا تم انشاء هيئة التحرير وتلى ذلك على الفور القرار التاريخى المعروف بقرار حل الأحزاب !! ..

قال لى استاذنا :

« أحب أن أقول لك انى فى تلك الفترة لم أكن منحازاً الى محمد نجيب أو الى جمال عبد الناصر بل كنت منحازاً فقط الى آرائى .. والاتنان

محمد نجيب وعبد الناصر كل منهما كان لا يوافق على آرائى ، وأذكر أن مجلة روز اليوسف كانت أول صحيفة تنشر اسم عبد الناصر وتصفه بأنه الرجل الثانى بعد محمد نجيب . . . وقد نشرت هذا الخبر باتفاق مع جمال عبد الناصر ولكن محمد نجيب ثار وغضب وقال فى احدى خطبه انه سيحكم على بالاعدام فقد كان لم يقرر أن يكون عبد الناصر هو الرجل الثانى . . . ولم ينفذ محمد نجيب تهديده بالاعدامى ولكن جمال عبد الناصر أدخلنى بسدها السجن الحربى . . . ولو أنه عاد واعتذر لى . . .

٢٢ - احسان في السجن الحربى

ان قادة الثورة لم يدروا أنهم يحل الأحزاب - القائمة وقتها -
قد حلوا أيضا هيئة التحرير .. لأنه لا يمكن أن يقوم حزب - بالشكل
السلمى للحزب - الا فى اطار معركة مع غيره من الأحزاب الأخرى ..
ولأنه لا يمكن أن يقوم حزب بالقوة وفرضا على الناس ..

يقول الأستاذ احسان : « كنت فى دفاعى المصيرى عن الحرية صريحا
الى أبعد مدى مع جمال عبد الناصر .. ولقد قلت له يوما : ان تكوين
حزب يضم قادة الثورة لا يعنى بالضرورة أن يفوز رجال الثورة بالأغلبية
.. ان الطبيعى أن يفوزوا بالأقلية ، ومن الأفضل لهم كحزب أن يبدؤوا
كأقلية برلمانية .. وقلت لجمال عبد الناصر أيضا : ان الناس لم تعرفه
حتى الآن - عام ١٩٥٤ - الا كضابط وكحاكم وصاحب سلطان !! ومن حق
الناس عليه ، ومن حقه على الناس أن يعرفوه كصاحب فكرة شعبية يدعو
لها بين صفوف الشعب .. وهم لن يعرفوه ولن يعرفهم بنفسه الا اذا
خرج من الحكم ومن الجيش ومثل المعارضة فى مقاعد البرلمان .. الى أن
يتقدم فى الانتخابات التالية فيفوز فيها حتما بالأغلبية ، كما يحدث فى
جميع الشعوب وفى جميع البرلمانات .. ثم .. أن قوة الوفد ليست
فى رجاله .. بل قوته فى الفكرة الشعبية التى يمثلها والتى لم يستطع أحد
أو حزب آخر أن ينزعها منه .. وهذه الفكرة الشعبية - لن تنتزع
من الوفد بالقوة ولا بحله - كما فعلت الثورة - بل بمعركة شعبية كذلك

التي خاضها سعد زغلول وانتزع فيها الفكرة الشعبية من الحزب
الوطني ..

« لقد أحسست يومها أنني سرت في الشوط الى حيث لا مجال
للتراجع - الذي لم أفكر فيه لحظة - ولهذا تابعت كلامي قائلا لجمال
عبد الناصر : ان الثورة قد أخطأت في موقفها من الوفد .. اذ وقفت منه
نفس الموقف الذي وقفته منه أحزاب الأقلية قبل الثورة ، مع فارق واحد
هو أن أحزاب الأقلية كانت تعتمد في محاربتها للوفد على قوة الملك وأن
الثورة في محاربتها للوفد اعتمدا على قوة الجيش جعلت العواطف الشعبية
تتجه ناحية الوفد لتأييده .. واستغلها الوفد كعادته ليستعيد بها
قوته !! ، ..

... وهكذا استمر الأستاذ احسان في دفاعه الحر عن الديمقراطية
النيابية .. وفي الوقت نفسه تصاعدت حملات الكراهية والحقد من قبل
خصومه والاستمرار في الرقعة بينه وبين قادة الثورة بادعائهم بأنه
يهدف من آرائه الحرة هذه الى تصفية الثورة !!

ويعلق الأستاذ احسان على ذلك قائلا :

« اذا كنت قد طالبت - بما أسماه خصومي - انهاء الثورة ..
فلست مبالغا ولامطرغا .. بل لعل أقرب الى الشورية العلمية ممن
تظاهروا كذبا بالحرص على الثورة .. لأنه لا يوجد بلد يستطيع أن يعيش
في ظل نظام ثوري الى الأبد !! .. ولا حتى عام أو عامين .. انما الثورة
تقوم لتتقضى على نظام فاسد ، وتضع نظاما آخر بدلا منه .. وفورا ..
نظاما آخر طبيعيا تستقر عليه البلاد ويحقق الأهداف التي قامت من
أجلها الثورة .. فاذا حدث هذا .. تحقق الاستقرار ، وتوفرت الثقة
بين الحاكم والمحكوم .. ، ..

... وتمر الأحداث ويتخذ مجلس قيادة الثورة قرارا بحل
المجلس وعودة قادة الثورة الى مناصبهم في الجيش ..

وهنا نجد الأستاذ احسان يقف موقفا غريبا من ذلك القرار فيعلمز
رفضه لحل مجلس قيادة الثورة كما أعلن رفضه أيضا لانسحاب قادة
الثورة على الرغم من مطالبته المستمرة قبل اتخاذ ذلك القرار بعودة الحياة
النيابية الحرة في البلاد سواء في مقالاته الحرة أو في مواقف المتعددة مع
قادة الثورة .. وربما يتبادر للذهن عن ثمة تناقض يقع فيه كاتبنا ولكنه
يبعد هذا الشك قائلا :

« ليس في الأمر تناقض أبداً .. ولقد أعلنت رأيي وقتها صراحة في مقال « الجمعية السرية التي تحكم مصر » .. وقلت فيه بالحرف الواحد : « هما كانت الاعتراضات على تكوين حزب يضم أعضاء مجلس قيادة الثورة ومن حولهم من الضباط . فانها كلها اعتراضات لا تبرر عودتهم الى الجيش .. ولن يكسب من عودتهم أحد .. لا هم .. ولا الجيش .. »
ولا مصر .. !!

يعتبر الأستاذ احسان عبد القدوس عام ١٩٥٤ من أخطر أعوام حياته .. فما أبعاد وأهمية هذا العام في حياة كاتبنا ؟
يقول :

« انني صحوت في هذا العام على حقائق مفرزة لم أكن أتصور مجرد تصور احتمال حدوثها - كما أنه من أخطر أعوام الثورة التي عشت مع غيري من الكتاب الثمردين نحلم بها ، ونشارك في الاعداد لها والتمهيد لقدمها بأقلامنا وبثحركنا العملي كل بما تيسر له من جهد المشاركة .. لم أنس هذا .. ولكنني لم أنس أيضا ، أن تاريخ الشعوب ليس «حدوتة» تروى كحكاية الشاطر حسن ! .. لأن تاريخ الشعوب ، في بدء الأمر ونهايته ، أسباب ومقدمات ، تؤدي جميعها بالضرورة الى مسببات حتمية ونتائج لازمة ولا سبيل للهروب منها أو تعديلها ، وكل من يحاول - في مجال حياة الشعوب وتاريخها - تفادي نتائج لم يتفاد ولم يمنع مقدماتها .. انسان هازل .. يريد أن يفرض أحلام نومه على يقظة الحياة وواقعها المادي الثابت الموجود !! » ..

ولكن ما هو السبب الرئيسي الذي من أجله دخل احسان السجن الحربي ؟

يقول الأستاذ احسان :

« السبب الحقيقي الذي يكمن وراء نزولي ضيفا على سجن الثورة التي عشت أحلم بها ، هو المعركة التي قامت بين اللواء محمد نجيب والمرحوم جمال عبد الناصر - وما كان يمثل كلاهما من اتجاه فكري نحو المنطلقات السياسية للثورة - تلك المعركة التي وجدت وقودها غير الأمين ، في « الأنصار والأعوان » الذين انحازوا لكل من قطبي الصراع ، وخاصة بعد أن أعلن اللواء محمد نجيب القرار التاريخي بحتمية عودة

الحياة الديمقراطية الصحيحة القائمة على انتخاب جمعية تأسيسية انتخاباً
حراً ، تحل - بعده - محل مجلس قيادة الثورة ٠٠ ء ٠٠

٠٠٠ وهنا توقف الأستاذ احسان فجأة وقال لى وهو يضحك :
« أتصدقين أنه فى العام الاول لثورة ٢٣ يولية ، أعددت قصة سينمائية
تسجل دور الضباط الأحرار فى مسئولية الثورة ٠٠ وتم تصوير الفيلام
فعلا ٠٠ ثم ٠٠ بدأت المشاكل ٠٠ والمشاكل تبدأ دائما بين القيادات :
قيادة تطالب بأن تسجل شخصية محمد نجيب كبطل للثورة ، وقيادة
ترفض الاعتراف أو تسجيل شخصية محمد نجيب ٠٠ ومضت للآن
سنوات دون أن يعرض الفيلام ٠٠ !!

« ركنت يوما - بعد هذه السنوات الثلاث - فى لقاء مع جمال
عبد الناصر فى مقره بالقناطر الخيرية ، وجاء ذكر هذا الفيلام ٠٠ وفوجئت
به يقول لى : انه سمع أنى صورت أم البطل كامرأة معدمة ، تعمل غسالة
فى البيوت ٠٠ ولم يكن هذا صحيحا ٠٠ !!

« وفى اليوم التالى طلب عبد الناصر عرض الفيلام عرضا خاصا فى
بيته بالقناطر الخيرية وكنت معه وبعد أن شاهده هنأنى كواحد من الذين
أسهموا فيه ٠٠ وكان من نتيجة ما سمعه عبد الناصر أن تعطل عرض
الفيلام ثلاث سنوات ٠٠ ومنذ ذلك الحين ، وأنا أتساءل وأحاول أن أكتشف
كيف - كانت - تصل المعلومات الى عبد الناصر ؟ ٠٠ وكيف يصدر
أحكامه ؟ ٠٠ ء ٠٠

٢٣ - احسان فى الزنائة رقم « ١٩ »

دخل الأستاذ احسان السجن الحربى فى المدة من ١٩٥٤/٤/٢٨ الى ١٩٥٤/٧/٣١ أى لمدة ٩٥ يوما فى الزنائة رقم « ١٩ » ولكن ما هى التهمة التى وجهت اليه ؟

يقول الأستاذ احسان :

« لقد دخلت السجن فى عهد فاروق أكثر من مرة ٠٠ ولكنها كانت تبدو لى كرحلة قصيرة ٠٠ لا تتجاوز بضعة أيام فى كل مرة ٠٠ ولم يجد عتاة القلم السياسى أيامها فى أنفسهم القدر الكافى من التبجح والصفاقاة والادعاء ، الذى يتيح لهم اتهامى بمحاولة قلب نظام الحكم ٠٠ ! رغم ثقتهم الكاملة ، وثقة مولاهم فاروق ، أننى فى كل حرف أكتبه ، وفى كل تحرك وعمل أقوم به ، أسعى جاهدا للخلاص من نظام الحكم الفاسد اذ ذاك ٠٠ وكان أقسى ما وجه لى من اتهام ٠٠ على لسان حماة النظام الملكى - هو العيب فى الذات الملكية ٠٠ وقد سجننت فى المدة الأولى بتهمة العيب فى ذات السفير البريطانى لورد كيلرن ، ٠٠

« ومن هنا كان فزعى ، واحساسى المرير بالاهاانة الشخصية ، عندما وجدت أن التهمة التى وجهت الى فجر الثامن والعشرين من ابريل عام ١٩٥٤ هى : قلب نظام الحكم ، !

٠٠٠ ثم استطرد قوله وقد بدت عليه علامات الدهشة : « أية ثورة

تلك التي أعادها أو أنهم بالسعى لقلب نظام حكمها ٠٠! أن توره ٢٢
 قامت - يوم قامت كتعبير عملي أطلقه جماعة الضباط الأحرار لتؤكد به
 احساسها برفض الشعب لخطايا نظام الحكم السابق ٠٠ وهي خطايا حاربها
 كن الكتاب الشرفاء ٠٠ وثار عليها حملة الأعلام المتمردة على الفساد وكان
 قلبي واحد من هذه الأعلام ٠٠ وكنت واحدا ممن كتبوا نعي النظام السابق
 وهو موجود ٠٠! وبشروا بالثورة وهي بعد جنين مستكن في بطن
 الغيب ٠٠ ثم ٠٠ اننى لم أقف فى ايماني بالثورة عند حسد الكتابة
 فقط ٠٠ بل وقفت حياتي كلها على التحرك العمل لمساندة كل ثورى
 يعجل بيوم الخلاص ٠٠ وهذه حقائق يعرفها القادة الجدد ٠٠ ويعرفون
 ان دار ررز اليوسف كانت الصدر الحنون الذى احتوى كل صوت حر
 أعلن رفض النظام القديم - أو فكر - حتى فى الخفاء - فى الخلاص منه ٠٠
 فتيف يسمح هؤلاء القادة بتوجيه مثل هذه التهمة لى ، على لسان حفة
 من محترفى تدبير التهم ، وخبراء ازاخة الحصوم من الطريق ؟ ثم ٠٠ لى
 هدف أدعو للانقلاب على الثورة التي عشت حياتي بها! لى يعسود
 فاروق ٠٠ فيعلقنى من رقبتي على أضخم عمود نور فى أفخم ميدان فى
 القاهرة ٠٠! أم اننى أدعو لانهاى الثورة التي حررت الفلاح وقلمت
 أظافر رأس المال المستغل ، وألغت سيطرة رأس المال على الحكم ٠٠ لى
 يعبد الثالث الرهيب اياه : القصر ، والاستعمار ، والاستغلال ، ليخنق
 الشعب من جديد ٠٠! ألا ترى بعد كل هذا ، أن التهمة كانت اهانة
 شخصية ، أكثر منها وسيلة للاعتداء على حريتي ، أو سلما يصعد به
 خصومى كى ينالوا رقبتي التي لم يفكر زبانية فاروق فى الوصول
 اليها ٠٠! ٠٠

ولكن ماذا عن أحاسيس ومشاعر الصحفي الثائر احسان
 عبد القدوس حين رأى نفسه جيبس الجدران فى زنزاة منفردة بيد أصدقاء
 الأمس ١٩

تنهد تنهيدة طويلة مصحوبة بالأسى والحسرة ٠٠ ثم تكلم بنبرة
 حزينة قائلا :

« صدقيني اذا قلت لك أن أهون ما يلاقه السجن السياسي فى
 سجنه ، هو عذاب البدن ٠٠! اذا حدث جدلا وتعرض لهذا اللون البدائي
 من التعذيب ٠٠! ان أبشع ما يلاقه سجين الرأى - فى تصويرى - هو
 عذاب الروح ٠٠ وتمزق نفسية السجن ، وخاصة عندما يواجه

بالجدية ٠٠ | ٠٠ وعندما يكتشف انه كان واحما في ايمانه بفكرة أو بانسان ٠٠ | ٠٠ وأعظم البلاء عندي أن يتهم سجين الرأى فى اخلاصه لوطنه ٠٠ تلك التهمة الساذجة التى يلجأ لها بعض المتربعين على القمة فى سذاجة بلهاء ، عندما تعيهم الحيل ، ولا يجدون من وسيلة أكثر معقولة لازاحة من يخالفونهم الرأى من الطريق ٠٠ | ٠٠

٠٠٠ ثم استطرد قوله بعد ما تغيرت أنظامه وأصبحت مرتفعة تقترب للسخرية أكثر منها للسخط :

« انه عالم غريب فعلا ٠٠ عالم السجن ٠٠ وخاصة السجنون السياسية ٠٠ لقد قضيت فى السجن خمسة وتسعين يوما متهما - أنا وزميلى المرحوم اسماعيل الحبروك - بأخطر تهمة يمكن أن يتعرض لها مواطن ٠٠ تهمة ٠٠ العمل على قلب نظام الحكم ٠٠ ولست أنوى أن أسرد تفاصيل الاتهام الغريب ٠٠ !! ٠٠ ولا أن أصف الباشجاويش يس ٠٠ والأومباشى رزق ٠٠ !! والعسكرى لحمين ٠٠ !! تلك الشخصيات الفريدة التى عشت معها ثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، كل يوم منها لاينسى !! ؛كل ما أسمح به لى نفسى ، أن أعرض تجربة نفسية مرت بى ٠٠ تجربة وضعت فيها وطنيتى موضع الاختبار ٠٠ !! ٠٠ وكل ما أذكره الآن ٠٠٠ أن الأسابيع الأولى مرت بى - داخل الزنزانة الانفرادية - عصبية ٠٠ !! ٠٠ عنيقة ٠٠ !! كل دقيقة منها تنخر فى أعصابى ، حتى أصبح جسدى كله أعصابا ملتهبة ٠٠ ممزقة ٠٠ تشتعل نارا ٠٠ تمنيت لو أطفأتها ٠٠ وكنت فى هذه الأسابيع - الأولى من التجربة القاسية - أغالب نفسى ، وأغالب العذاب النفسى ٠٠ حتى انتصرت على نفسى ، وعلى عذابها ٠٠ انتصرت على التجربة كلها ، عندما استطعت أن أنسى وجودى ككائن حتى ٠٠ وأن أكيف حياتى فى الحدود الضيقة - الجديدة - التى رسمت لها ، بيد الباشجاويش يس والأومباشى رزق والعسكرى لحمين ، ومن يقفون خلفهم من صناع أقدار السجن وعالمه الغريب ٠٠ !!

« وفى هذه الحدود الجديدة - نسيت صباى الذى مر بى ، وشبابى الذى أعيش فيه ، والشيوخوخة التى أخطو إليها ٠٠ وفى سبيل النسيان ، قطعت كل صلة لى بالحياة ٠٠ أخفيت صورة أولادى التى كنت أحملها فوق صدرى ٠٠ وأخفيت الكتب التى سمح لى بها !! ٠٠ أخفيت تحت السرير ٠٠ وأخفيت ساعتى حتى لا تشعرنى بالزمن الذى يمر بى ٠٠ وأحسست - بعد أن فعلت كل هذه الأمور ببساطة بالغة - بالقسوة

والروحانية ، أحسست ساعتها بالبراءة !! ٠٠ وأحسست بنوع من الضعف اللذيذ ٠٠ !! ٠٠ أصبحت أضعف من أن أفكر ٠٠ وأضعف من أن أحس ٠٠ !! وأضعف من أن تهفو نفسي الى شيء ٠٠ بل ٠٠ وأضعف من أن أتناول طعاما ٠٠ !! ٠٠ وأصبحت هفتانا دائما ٠٠ !! ٠٠ لا أكاد أقوم من الفراش ، حتى أعود اليه ، ولا أكاد أصحو حتى أعود الى النوم شبه مغشى على !!

« لم يكن الأمر انتحارا بطيئا ٠٠ ولم يكن رغبة في الانتقام من اصدقاء الألداء - كما وصفتهم - ولكنه كان قبل كل شيء تصميمًا على فبر أعتى خصومي في مثل هذا الموقف العنيف ٠٠ وهو الضعف البشري الذي يمكن أن يحاصر أى انسان يمر بدئل هذه التجربة ٠٠ واذا سلمنا بأن « الضعف البشري » هنا ، يعتبر وسيلة دفاع غريزية تلجأ اليها الحياة للدفاع عن نفسها ضد الموت ٠٠ فقد كان أخشى ما أخشاه ، أن ينتصر الضعف البشري على ارادتي ولا يتركني قبل أن أسقط مستسلما تحت قدمي الباشجاويش يس . ٠٠ الرمز الحى المائل أمامى ٠٠ لهؤلاء الذين بعثوا بى الى عالم السجن الغريب ٠٠ ولو أننى جثوت على قدمي بالقرول - ان لم يكن بالفعل - فرجوت الباشجاويش أن يسمح لى ، بما يسمح القانون للقاتل واللص وتاجر المخدرات ومسعد القلوب فى الخفاء !!! ٠٠ لو أننى فعلت هذا لانتهدت المعركة فى وقت مبكر ولتغير وجه الواقع - فى حياتى أنا على الأقل - وفى علاقتى بالأصدقاء الألداء ٠٠ ولكن ٠٠ لم يحدث هذا مطلقا ٠٠ لأننى قطعت طريق الضعف على نفسى، وقطعت على خصومى طريق الاحساس بانتصارهم على ٠٠ واحساسهم بأنهم قد نجحوا فى ترويض هذا القلم المتمرد دائما ٠٠ الساخط على كل من يستحق السخط ٠٠ واذا كنت قد أسفت على شيء فى هذه التجربة العنيفة ، فانى بلا شك أسفت ، لأن قسوتى على نفسى والترفع بها عن السقوط فى حضيض الضعف والاستسلام قد حرمت الباشجاويش يس من الحصول على الترقية التى كانت تنتظره بلا شك لو أنه نجح بالفعل فى ترويض !!

« ان الشيء الذى أحزننى حقا هو أننى وجدت نفسى سجينا بأمر اصدقاء وشركاء المبدأ والتكر الثورى ٠٠ فهذا ما كنت لا أستطيع احتمالاه ٠٠ وزاد الأمر على قسوة أن يزج بى فى السجن الحربى بعد تحقيق غير قانونى لا تعرف عنه النيابة العامة شيئا ، بل يتولاه رجال المخبرات بشكل استفزازى على طريقة التفاهم كما يحبون أن يسموا

طريفتهم في « عصر » ضيوفهم وسحق أرواحهم ، ان تعفوا عن تعذيب
أبدانهم ٠٠ ، ٠٠

ولكن هل أدى السجن المرعب الى استسلام كاتبنا والحيدة عن مبادئه
الحرية ؟

يقول الأستاذ احسان :

« لم أستسلم طبعاً ٠٠ بل أن احساسى بالاهانة كان أقوى من
احساسى بالألم ٠٠ ولم أكن أتردد في رد التهجيم بما يستحقه رغم ثقتي
بأن الحقوق التي تكفلها لوائح السجن المصرية لا وجود لها بالنسبة لأننى
سجين على ذمة المخبرات ٠٠ ومن كان مثلي ، فلا أمل له في رحمة اللوائح
أو عطف القوانين ٠٠ !! ٠٠ ومعرفتي بالموقف على حقيقته أعطتني - على
عكس ما تصور خصومي - قدرة هائلة على الرفض ٠٠ والمقاومة ٠٠ ولهذا
لم أتردد - مثلاً - في التصدي للباشجاويش يس ، عندما صرخ نبي وحيي
ذات صباح وهو يقودني من الزنزانة لأتمشى في طرقة السجن في فترة
« الفسحة اليومية » التي لا تتجاوز ربع ساعة كل صباح ، أعود بعدها
الى قبر الأحياء - الذي أودعني فيه خصومي - زنزانتى رقم « ١٩ » ٠٠
وطبعاً لم يقبل الباشجاويش الرهيب هذه « الجراءة » « من سجين » عنده
فقرر أن ينتقم مني بالطريقة الوحيدة التي استنتج من رؤسائه أنها
تؤلمني !! فهددني بأن يبلغ عن زوجتي بأنها أعطته رشوة نصف ريال ٠٠
لكي يغمض عينيه عن الطعام والكماليات التي تهربها لي في السجن خلال
زيارتها القصيرة ٠٠ !!

« لقد عملت فعلاً زوجتي الوفية دائماً مهربة ٠٠ كي تهرب لي الطعام
في السجن ، كي أظل على قيد الحياة ٠٠ بعد أن عجزت معدتي عن تقبل
تلك الأشياء العجيبة التي تعجز أبالسة الجحيم عن تحديدها مهيتها ، رغم
أن السجن كان يصر وهو يطالعي بابتسامته البلهاء كل صباح ، أن
ما يحمله لي من أشياء غريبة ، هو طعام يتحتم عليّ أن أملاً به معدتي ان
أردت الاستمرار في الحياة ، لأنه الطعام الوحيد المصرح به داخل
السجن ٠٠ ، ١ ٠٠

٢٤ - فاطمة اليوسف تقول لعبد الناصر

الحرية هي الرثة الوحيدة التي يتنفس بها الشعب

انك في حاجة الى الخلاف تماما - كحاجتك الى الاتحاد

كانت السيدة فاطمة اليوسف قد تركت لأستاذنا حرية التصرف
تماما منذ أن تولى رئاسة تحرير مجلة روز اليوسف ، كما ذكرت من قبل،
ولكنها كانت ترقبه في صمت .. كان عقلها يحلل كل حركة يتحركها ..
وكل كلمة يكتبها وكان سكوتها يعني أن ابنها وتلميذها على طريق
الصواب .. وأنه ما زال كما بدأ منحازا لصف الشعب ..

يقول الأستاذ احسان :

« هذا الاحساس جعلني وأنا نزيل الزنزانة رقم ١٩ ، بالسجن
الطربي أتساءل بيني وبين نفسي : ما هو موقف أمي فاطمة اليوسف ..
يروز اليوسف المجلة؟! لم أكن خائفا من غضب أمي لأنني كتبت ما كتبت
دفاعا عن الحرية والديمقراطية .. فقد كنت واثقا من ايمان أمي - الذي
أخذت منه ايماني - بحرية الشعب .. وحقه في أن يصنع حياته بنفسه
دون وصاية من أحد ، مهما كان هذا الأحد .. ولكن الخوف كان يعصف
بي ، عندما اكتشفت - وأنا مسجون بأمر ثوار الأمس وحكام اليوم -
أنني كنت حسن النية أكثر مما ينبغي ..! .. وأنني لم أدقق في جوهر

بعض من وثقت بهم ، دون حذر وروية ٠٠ ! ٠٠ وكان مبعث خوفاً من هذه الزاوية ، هو خشيتي من ثورة أستاذتي وأمي عليّ ، لأنني لم آخذ منهجها في الحذر نحو من أثبتت الحوادث وجوب أخذهم بالحذر ٠٠ وكانت تدوى في أذني داخل الزنزانة عبارتها التي طالما صفعتنى بها ، اذا بدا لبا في بعض ما أكتبه شيء لا ترضى عنه :

– قلمك ليس ملكاً لك يا احسان ٠٠ انه ملك القارىء ٠٠ ! ٠٠
اذا أردت أن تكون كما أريد لك فأذكر دائماً ٠٠ أنك لا تكتب لنفسك .
ولا تنطق عن هواك ٠٠ بل تكتب للناس ٠٠ الذين هم أصحاب الحق الأول
في كل حرف تنشره ٠٠ فلا تفرط فيما لا تملك وتهبه لمن ترى ٠٠

« هل فرطت حقاً فيما لا أملك ٠٠ ووهبته لمن لا يستحق ؟ ٠٠ »
كان هذا التساؤل هو عذابي الأول والأضخم في أيام الحبس الانفرادي ٠٠
التي امتدت خمسة وأربعين يوماً ٠٠ تم عزلي خلالها عن العالم وما يجري
فيه ٠٠ |

« واذا كنت – بمقاييس أمي – قد أخطأت فعلاً ٠٠ فكيف ستصلح
هي هذا الخطأ ؟ ٠٠ وكيف تتصدى له بمنطق المعلمة الحريصة على
فلسفتها ٠٠ وروح الأم الحريصة على وحيدها الذي لعب بالنار فحاصرته
حتى كادت تزهب روحه ٠٠ ١٩ »

« لقد قلت كلمتي بشرف – قبل الثورة ٠٠ حين بشرت بمولد
الثورة وناصرتها وهي جنين في بطن الغيب – وقلت كلمتي بشرف بعد
الثورة ٠٠ حين ناصرته الحرية والديمقراطية ٠٠ ، ٠٠ »

ولكن كيف كان يقضى كاتبنا أيامه ولياليه في الزنزانة رقم « ١٩ » ؟
يقول أستاذنا :

« كنت قد اعتدت واقعي الجديد وهيأت نفسي لمعايشته والتكيف
معه ٠٠ ولم يكن هذا تحولاً فريداً مني ٠٠ بل هو استجابة طبيعية لحاجة
غريزية في الانسان ٠٠ هي ميله الى أن يعيش في مجتمعه ٠٠ واذا كان
السجن قد حال بيني وبين مجتمع روز اليوسف بكل حيويته وانطلاقه
وثورته !! فقد كان عليّ أن أبحث لنفسي عن مجتمع جديد ٠٠ قبل أن
اعاني مرة ثانية من عذاب الوحدة ٠٠ ووجدت هذا المجتمع المنشود ٠٠
في السماء ٠٠ في كتاب الله ٠٠ وبدأت أعيش مع الأنبياء والملائكة ٠٠

وهكذا وجدت – بنفسى – لنفسي المجتمع الذي أعيش فيه ٠٠ طوال
مدة حبس الانفرادي ، الذي حرمت فيه من الخروج – ولو فسحة قصيرة –

من زنزانتي الرهيبة .. وعندما سمحوا لي بالفسحة .. أصبحت أخرج
من زنزانتي لألمح بقية « المعتقلين » من بعيد .. وهم يسرون في صمت
وهدهده .. وجلال .. وكانهم الملائكة يسرون فوق قطع السحاب !! ..
وكنت أبسم لهم - على البعد - في طيبة وحنو .. وكأنني أنا الآخر
ملك .. !! وأنظر الى جنود الحراسة فأراهم - بعين خيالي الصوفي !! -
وكانهم حراس الجنة .. الذين يعيشون الى الأبد في هذه « الجنة » .. !!
ولهذا كنت أتلفت باحثا عن « سيدنا رضوان » .. وأدهش عندما أجد
أن سيدنا رضوان يسمى نفسه .. ربما من باب التواضع .. وربما من
باب معاقبة النفس - باسم .. الباشجاويش يس ! .. ثم .. سمح لنا
بقراءة الصحف ! ..

« واكتشفت فجأة أن هناك دنيا أخرى ما زالت تحيا خارج جنة
الباشجاويش يس !! وأن هذه الدنيا البعيدة ، يوجد فيها آخرون لم
ينسوني .. !! لقد فوجئت بأن روز اليوسف - الأم والمجلة - قد اتخذت
موقفا حاسما وصارما .. لا تقفه الا من كانت لها شخصية أستاذتي
ومعلمتي الأولى .. !! » .

لقد أخذوا منها ولدها .. الذي صنعته على عينها .. وهي تعلم
أنهم - حين أخذوه - قد ظلموه كإنسان يجبس بلا جريمة .. وظلموا معه
الثورة التي عاش يحلم بها ويكتب - مبشرا بمولدها .. وروز اليوسف
الإنسانة التي صعدت من أعماق السفح لتتربع على القمة .. فنانة
وصحفية .. روز اليوسف التي وقفت بشجاعة يحسدها عليها شجعان
الرجال في وجهه أعنى موجات الظلم التي تحطمت على أقدام هذا
الشعب .. روز اليوسف هذه لا يمكن أن تسكت على ما حل بوحيدها
وهي ترى في كل ما حدث اهانة موجبة لها كام .. وكصاحبة مجلة تتبنى
الكلمة الشريفة التي تستهدف خير مصر وشعبها .. والتي بشرت بميلاد
الثورة وهي لا تزال جنينا في أحشاء الغيب .. وروز اليوسف الإنسانة
عنيده .. وهي كصحفية لا تقل عنادا عنها كإنسانة أم .. وهي الى جانب
عنادها امرأة بالغة الذكاء .. وهي تعرف جيدا كيف ترد الاهانة
بمثلها .. وقد علمتها السياسة وصراعاتها - في عهد ما قبل الثورة -
كيف تتلقى الصفعة على خدها ، فلا بهتز لها جفن !! وتصبر حتى ترد
الصفعة طعنة دامية .. !! .. وفعلتها روز اليوسف الأم ، فاذا بالمجلة
تصدر عقب اعتقال كاتبنا الثائر وليس فيها حرف واحد عن الثوار ..
وكان مصر لم تشهد ثورة طردت فاروقا ، وحررت الفلاحين .. أو كان
هذه الثورة قد انتهت من حياة مصر .. فلا حس ولا خبر .. !!

يفول استاذنا :

« كانت أمي قد اتخذت أسلوبا جديدا تماما ، في صراعها مع الذين سجنوني ، ولعل المتتبع لمجلة روز اليوسف ، يلاحظ أنه ابتداء من العدد رقم ١٣٤٨ وحتى العدد رقم ١٣٦٦ - وهي فترة سجنى من ٢٨ أبريل الى ٣١ يولية عام ١٩٥٤ - لم ترد كلمة واحدة عن ثورة ٢٣ يولية اطلاقا .. كان الثورة لم تقم أبدا أو كأنها قامت وأدت أغراضها .. ثم .. انتهت .. ومن ثم فلم يعد من اللائق أن نتحدث مجلة تعنى بمعايشة الواقع السياسى لمصر ، عن شيء مضى وانتهى .. ! .. وكان قرار أمي حكيمًا وجريئًا مثلها .. لقد ألفت فاطمة اليوسف القفاز فى وجه من سجنوني ، وعليهم أن يتلقفوه ويتصرفوا .. ! وقد تحركوا بالفعل ، ولكن فى غير الاتجاه الذى توقعته أمي منهم .. ! وهي لم تكن غريبة عليهم .. بل انها لتعرفهم جميعا حق المعرفة منذ لقائى الأول مع المرحوم أنور السادات عقب فصله من الجيش فى مطلع الأربعينات .. ثم حين أتى رشاد مهنا الى المجلة ليعرفنى بضابط شاب متحمس لما كتبه هو .. المرحوم جمال عبد الناصر .. ومنذ ذلك التاريخ لم تنقطع زيارات الضباط الأحرار للمجلة .. حتى بعد قيام الثورة .. وكانوا سعداء بالتجمع الثورى الذى تضمه روز اليوسف من شباب مصر الناثر على العهد السابق .. وكانوا فى حماسهم الثورى يعدون أنفسهم من هذا التجمع لتنظيف .. ولهذا كانت صدمة روز اليوسف الأم عنيفة حين رأت أصدقاء الأمس يتفرق شملهم الى شيعتين تميل احدهما الى جانب اللواء محمد نجيب .. وتنحاز الثانية الى المرحوم جمال عبد الناصر .. ثم .. ينتهى الأمر بوحيدها وسط هذا الصراع على القمة .. الى السجن .. دون ذنب جناه سوى الدفاع غير المنحاز .. عن الحرية والديمقراطية التى عاش التجمع القديم ، يحلم بها بين جدران المجلة ويبشر بها على صفحاتها .. »

ويطوف بخاطرى فجأة ذلك الخطاب المفتوح الذى كتبتة السيدة فاطمة اليوسف الى الزعيم الخالد جمال عبد الناصر يوم ١١ مايو ١٩٥٣ فى المجلة فى عددها رقم ١٣٠٠ تحت عنوان :

« الحرية هى الرئة الوحيدة التى يتنفس بها الشعب .. »

انك فى حاجة الى الخلاف تماما - كحاجتك الى الاتحاد «

وهذه بعض مقتطفاته :

« تجبة من سيده عاصرت الحوادث واعتصرتها التجربة .. وأنفقت عسرها تتأمل الوجوه القديمة حتى كفرت بكل وجه يحمل ملامح القدم فلا يسعدها اليوم شيء كما يسعدها أن ترى الوجوه الجديدة تزحف .. اننى أعرف الكثير من ساعاتك التي تنفقها عملا بغير راحة .. ولياليك التي تقطعها سهرا بلا نوم .. ولكنك وحدك لن تستطيع كل شيء ولا بالمعونة الخالصة من زملائك واخوانك وكل الذين تعرفهم وتثق بهم .. فلا بد لك من معرفة الذين لا تعرفهم أيضا .. انك - باختصار - فى حاجة الى الخلاف - تماما كما حاجتك الى الاتحاد .. ان كل مجتمع سليم يقوم على هذين العنصرين معا ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر » ..

« هذا الخلاف ليس شيئا تمليه الطبيعة وحدها . بل والمضاجعة أيضا .. فكل انسان يعيش حياة خاصة به تكيفها الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .. ومن حق كل انسان أن يعبر دائما عن تجربته التي يستخلصها من هذه الحياة .. وأن يوضح مطالبه ويشرح أحلامه ودين اختلاف المطالب واحتكاك التجارب يتبين اتجاه واحد عام أو رأى عام يتفق عليه أكثر الناس .. ان الناس لابد أن يختلفوا لأنهم مختلفون خلقا ووضعا وطبعا » ..

وتختتم السيدة فاطمة اليوسف خطابها المفتوح الى الزعيم الخالد .
جدال عبد الناصر قائلة :

« لا تصدق أن الحرية شيء يباح فى وقت ولا يباح فى أوقات أخرى . فانها الرثة الوحيدة التي يتنفس بها المجتمع ويعيش .. والانسان لا يتنفس فى وقت دون آخر .. انه يتنفس حين يأكل وحين ينام وحين يحارب أيضا .. انك بكل تأكيد تضيق ذرعا بصحف الصمباح حين تطالعها ، فتجد أنها تكاد تكون طبعة واحدة لا تختلف الا فى العناوين . والناس كلهم يحسون ذلك ولا يرتاحون اليه .. وقد قلت مرة انك ترحب بأن تتصل بأى جريدة اذا أحسست الضيق .. ولكن أليس فى هذا ظلم لك وللصحفيين وللقضايا الكبرى التي تسهر عليها ؟ .. ألم أقل انك لن تستطيع وحدك كل شيء !؟

« لقد أقدمت فى شبابك الباكر على تجارب هائلة .. خضت بعضها ورأسك على كفك لا تبالى مصيره .. وليس كثيرا من التجربة أن تجرب . اطلاق الحريات .. ان التجربة كلها لا تحتاج الى هذا ولا تحتاج الا الى الثقة فى المصريين .. وأنت أول من تجب عليه الثقة فى مواطنيه » ..

٢٥ - فاطمة اليوسف لقادة الثورة لن أكتب حرفا واحدا عنكم .. حتى لو أعدتمم ولدى!

ويرسل الرئيس جمال عبد الناصر خطابا الى السيدة روز اليوسف
ردا على الخطاب الذى وجهته اليه .. نشر فى روز اليوسف تحت عنوان :

« جمال عبد الناصر يرد : « لا نريد أن تشتري الحرية أعداء الوطن
.. حاجتنا الى الحلاف من أسس النظام » ..

بقول فيه « أما تحيتك فانى أشكرك عليها .. وأما تجربتك ، فانى
وائق انها تستمد من دروس الحياة .. وأما تقديرك لما أبدله من جهد ،
فانى أشعر بالعرفان لاحساسك ..

وأما رأيك فى أنى لا أستطيع أن أفعل وحدى كل شىء فان هذا
رأى أيضا ورأى كل زملائى الأحرار ..

وأما انى فى حاجة الى كل رأى فقد أعلنت هذا ولن أمل من التكرار
.. ليس من أجل وانما من أجل مصر ..

« أما حاجتنا الى الحلاف فى التفاصيل قدر حاجتنا الى الاتحاد فانا
مؤمن به وأثق من أسس الحرية الصحيحة بل من أسس النظام أيضا ..
وانا أكره بطبعى كل قيد على الحرية وأمقت باحساسى كل حد على الفكر
.. على أن تكون الحرية للبناء وليس للهدم وعلى أن يكون الفخر والفكر
خالصا لله والوطن ..

« اننى لا أخشى من اطلاق الحريات . وانما أخشى من ان تصبح الحريات كما كانت قبل ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ سلعا تباع وتشتري .. أنت لا تتصورين كم فجعت لما أتيج لى ان أطلع على وثائق الدولة .. على مأساة الحرية !! » ..

ويختتم الزعيم الراحل جمال عبد الناصر خطابه قائلا :

« نحن الآن فى سبيل ارساء الدعائم ووضع الأسس التى تنهض عليها فى المستقبل حرية جديدة باسمها .. خليقة بمعانيها السامية .. عتونة من العبث . مرتفعة فوق المساومات ..

« ومع ذلك فإين هى الحرية التى قيدناها ؟ .. أنت تعلمين أن النقد مباح لأننى أعتقد أنه ليس بيننا من هو فوق مستوى النقد أو من هو منزء عن الخطأ ..

« وبعد فإنى أملك أن أضع رأسى على كفى ، ولكننى لا أملك أن أضع مصالح الوطن ومقدساته هذا الوضع » ..

... هذا كان رد الزعيم الخالد جمال عبد الناصر الذى يؤمن بالحرية ولا يحجر على أى رأى ولا يمقت أى فكر .. على عكس ما يدعيه البعض محاولا النيل من تاريخه العظيم ..
واتضح لنا أيضا من هذا الخطاب مدى العلاقة الوثيقة التى كانت تربط بينه وبين مجلة روز اليوسف .. تلك العلاقة التى بدأت قبل الثورة واستمرت بعدها ..

يقول الأستاذ احسان :

« وقد بلغ من عنف الصدمة التى واجهتها أمى ، أن اتخذت قرارها العنيف بتجاهل الثورة تجاهلا تاما فى كل ما تنشره المجلة .. ثم .. فى رفضها أن تذهب للقاء الرئيس جمال عبد الناصر – فى قيادة الثورة – حين طلب اليها أن تذهب للقائه .. وكان ردها مهذبا ، ولكنه بارد وقاطع كالسيف إذ قالت :

« ان كان يطلبنى كحاكم .. فروز اليوسف لا تسعى الى الحكام .. لا عن رغبة ولا عن رهبة .. وان كان يطلبنى لنتحدث حديث الأصدقاء .. فعلى أصغر الأصدقاء سنا ان يسعى لأكبرهم .. وخاصة اذا كان مكان اللقاء، مجلة طالما سعد بالذهاب اليها والسهر فيها مع شباب ثائر مثله » ..

« وحين ينتهى الحوار الى هذا الطريق المسدود ، يقدم من سجنونى على آخر ما كان أمامهم من وسائل التحرك ، للخلاص من هذا الموقف المرج الذى وضعهم فيه تجاهل المجلة لأخبار الثورة ٠٠ وتفاجأ أمى ، بزيارتين متتابعتين ٠٠ احدهما قام بها الرقيب العسكرى العام على الصحافة فى عام ١٩٥٤ ، والثانية قام بها الأستاذ محمد حسنين هيكل – وكان قد بدأ يوثق علاقته بالمرحوم جمال عبد الناصر – والاثنان كانا موفدين من جمال عبد الناصر ليتفاوضا معها على الشروط التى تؤدى الى رفع الحظر الذى فرضه روز اليوسف على أخبار النوار فى مجلتها ٠٠ !

« ولو أن الأمر وقف عند تجاهل أخبار الثورة وقادتها ٠٠ لكان أيسر قبولا عند من سجنونى ، فقد كان هناك من الصحف والصحفيين من يسعون الى استرضاء هؤلاء القادة بما يخفف عنهم وقع هذا التجاهل الصارم ٠٠ ولكن أمى استفادت من خبرتها الطويلة فى مصارعة موجات التسلط التى تصدت لها طوال عمرها الصحفى ، فى اختيار العناوين الصارخة الدلالة الموحية بكل ما تريد أن تقوله للحاكم دون أن تفصح بما يضعها تحت طائلة عقابه ٠٠ وهى خبرة لا ينكرها أحد على فاطمة اليوسف ٠٠ ويكفى أن أذكر بعض هذه العناوين التى تضمنتها أعداد المجلة من العدد ١٣٤٨ – الى العدد ١٣٦٦ – مثل : المهدي يظهر فى مصر !! الثلاث ورفات !! الحاكم ٠٠ لا يملك الاعتراض على رغبة البرلمان ٠٠ !! هتلر ٠٠ هل كان مجرما أم بطلا ٠٠ !! القاتل ٠٠ طليق !! ٠٠ ضياء الدين ٠٠ قراقوش ٠٠ نريد معنى جديدا للبطولة ، والأبطال ٠٠ !! الاسلام ٠٠ حرية وشورى ومساواة ٠٠ !!

ولا شك أن هذه العناوين البالغة الخطر ٠٠ رغم براءتها الظاهرية! قد أفزعت الزعيم جمال عبد الناصر الذى بعث بالأستاذ هيكل وزميله الرقيب العام على الصحافة المصرية وقتها ، ليتفاوض نيابة عنه فى عقد هدنة مع روز اليوسف – الأم والمجلة – يرفع خلالها ذلك الحظر على أخبار الثورة ولكنها رفضت وقالت : أسفة لن أكتب حرفا واحدا عنكم حتى لو أعدتكم ولدى !

٠٠٠ ثم يواصل الأسناذ احسان حديثه عن أستاذه المعلمة والرائدة الأولى فى حياته ٠٠ فيقول :

« لم تكن أمى – فاطمة اليوسف – قد درست الفكر السياسى بالمعنى الأكاديمى المعروف فى الجامعات ومعاهد البحث لهذه الدراسة ٠٠

ولكنها بالقراءة الحرة ، وبالثقافة الجادة . أحسذت نفسها بأسبابها .
وبالممارسة العلمية فى معارك النضال السياسى والحزبى التى خاضتها
صحفية منتمية لحزب الوفد ، ثم كصاحبة رأى متحرر من قيود التبعية
الا للشعب وحده . . . كانت قد استطاعت أن تعى ما ينقص الكثيرين من
الدارسين المتخصصين أن يعرفوه عن أسرار الفكر السياسى ومناهجه . . .
وقد ساعدتها هذه المعرفة على ادراك حقيقة الموقف فى مصر بعد قيام
ثورة ٢٣ يولية . . . وادراك أن هناك فرقا شاسعا بين الخلاف فى الرأى
مع حكومة حزبية . مهما مالت هذه الحكومة الى العنف فى معاملة خصومها
السياسيين . . . وبين الوقوف موقف المعارض لثورة وليدة ما زالت فى
مرحلة البناء الأساسى . . . وهى مرحلة تدرك . فاطمة اليوسف . أن
الثورات لا تسمح أثناءها بأى نوع من التردد أن يتسلل الى مواقفها
الحاسمة تجاه خصومها أو من يشك قادة الثورة فى أنهم يخاصمونها . . . !
فاذا حدث وطففت على سطح الثورة بذور القوى الطقيلية التى تنمو
كالطحالب فى حياة الكثير من الثورات . فتخنقها وتنحرف بها عن
مسارها . فان الموقف يزداد صعوبة بالنسبة لكل من يفكر فى معارضة
رأى تراه الثورة أو قرار تتخذه . . . لأن القوى الطقيلية تسارع ، وغبة
فى اكتساب مواقع جديدة - لم تكن لها أصلا - الى المبالغة فى كشف
عداء المعادين للثورة . . . ! والمبالغة فى انزال العقاب بالمراقين تزلفا وقربى
لل قادة الكبار . . . وكل هذا كانت تعرفه فاطمة اليوسف . . . وبرغمه لم
تردد فى أن تقف موقفها الصارم الحاسم حين قبضوا على وأودعوني
السجن ! . . .

٢٦ - عبد الناصر .. واحسان ..

وجها لوجه

قال لى الأستاذ احسان :

« .. كان صباحا آخر يشرق على داخل زنزانتى كاي صباح مر
بى طوال خمسة وتسعين يوما داخل الزنزانة الكثيبة .. ! .. وفتح
الباب كما يفتح كل يوم ، ولكننى فوجئت بالحارس ، فى هذه المرة ،
يحيينى ، باحترام مبالغ أثار الشك فى نفسى .. ! .. فحارس السجن
مومتر صادق الدلالة للظروف المحيطة بالسجين دائما .. ! .. وابتسامته
السجان لسجينه لا تعنى الا أحد أمرين . اما أنه على أبواب الخروج نهائيا
والافلات من برائن سجانه غير العزيز .. !

واما .. أنه مقدم على كارثة يحاول السجان أن يخفيها عن ضحيته
بينه البسمة الحادة .. ! ..

ويبدو أن سجانى الأريب استطاع بخبرته أن يتسلل الى رأس
ويقرأ ما يدور فيه من هواجس ، فأراد أن يطرده عنى سوء الظن به
وبابتسامته المدربة .. فاجانى قائلا :

- مبروك يا بيه .. البيه المدير عاوزك فى المكتب .. حتوحشنا والله !
ماذا يقصد هذا الحبث الماكر بعبارته الملتوية .. حتوحشنا والله .. ؟!
هل هو الافراج ، والعودة الى عالم الأحياء .. ! أم أن خصومى قبروا
التخلص منى نهائيا ، فبعثوا بهذا الماكر ليقودنى الى بداية الرحلة الى ..
النهاية ؟!

وخرجت من زنزانتي الى مكتب المدير لأتلقى خبر الافراج عني .. هكذا
.. بلا سبب ولا مبرر .. تماما كما دخلت السجن بلا سبب ولا مبرر ! ..
وعندما يغيب القانون في اجازة وينترك بلدا من البلدان .. فكل شيء جائز ..
حتى أبعد الأمور عن العقل والمنطق .. البريء يمكن أن يسجن بلا سبب ،
والمذنب يمكن أن يفرج عنه بلا سبب أيضا .. المهم هو مزاج ورغبة من
يملك اصدار القرار في كلتا الحالتين .. والمهم أن يشعر الجميع بأن
مصائرهم معلقة بكلمة تخرج من فم صاحب القرار ! وفي مثل هذه
الظروف التي يأخذ القانون فيها اجازة ، كثيرا ما ترتكب أفدح الجرائم
باسم الحاكم المطلق ، وهو برئ منها تماما ، ولا يعلم عنها شيئا . وهوره
الوحيد أن جراته ولو مرة واحدة على القانون تغرى المحيطين به بالجرأة
على القانون للأبد ! .. ، ..

.. وهكذا خرج الأستاذ احسان من السجن الحربي طليقا حرا
صباح الحادى والثلاثين من يولية عام ١٩٥٤ ليجد مفاجأة في انتظاره .

يقول الأستاذ احسان :

« ما أن وصلت منزلى بعد طول الغياب حتى دق جرس التليفون فى
الحال ، فرفعت السماعة وأنا أتوقع أن تكون المكالمة من أمى ، أو من أحد
زملائى فى المجلة .. أما أن يكون المتحدث هو جمال عبد الناصر ، فهذا
ما لم أكن أتوقعه ولم يخطر لى ببال .. وزادت دهشتى عندما بدأ محدثى
كلامه قائلا وهو يضحك :

— هيه .. اتربيت والا لسه يا احسان ..؟! طيب تعال افطر
عمايا ما تتأخرش .. انا منتظرك ..

وسواء آكانت دعوة الافطار هذه ، أمرا من حاكم ، فى صورة دعوة
«هذبة» .. أم كانت دعوة من صديق « سابق » زاملته فى سنوات الاعداد
للتورة ، فقد وجدتنى مدفوعا لتلبية الدعوة لسبب لا أعرفه يقينا حتى
الآن ..! .. ربما كان الرغبة فى التعرف من جديد على هذا الذى كنت
أتصور اننى أعرفه أكثر من نفسى ..! وربما كانت روح الفنان فى
شخصى ، هى التى حدثت بى للقاء هذا الصديق .. الذى كان نائرا يظهر
الثورية الخالصة فغدا حاكما يخضع لاعتبارات الواقع العملى الذى تفرضه
سياسة الحكم وبين نائرا الأمس ، المثالى وحاكم اليوم — الواقعى — كان الفنان
فى داخلى ، يرجو أن يتعرف على الحيط الرفيع الذى يفصل بين النائرا
والحاكم ، ويصل بينهما فى نفس الوقت ..! وذهبت للقاء صديقى ببيته

٠٠ وتناولت معه الافطار ٠٠ وتكررت الدعوات للطعام ٠٠ افطارا أو غدا، أو عشاء ٠٠ تعقبه جلسته سمر نشاهد خلالها عرضا خاصا لأحد الأفلام . أو نقطع الوقت بحديث ممزق الأوصال ، لا يقترب فيه كلانا من السبب الحقيقي الذى يحس كل منا أنه يكمن وراء هذه الدعوات المتكررة لتناول الطعام ٠٠ ! ٠٠ الى أن قال لى عبد الناصر مرة بلهجة غامضة وهو يسلط على عينيه الواسعتين :

— اننى بهذه الدعوات المستمرة أعالجك نفسيا يا احسان ! ٠٠

٠٠٠ وأحسست بالدهشة وتساءلت بينى وبين نفسى ٠٠ هل يستطيع عبد الناصر أن يعالجنى نفسيا من آثار سجنى ٠٠ انى لا أعتبر أنه يعالجنى بل أعتبر أنه يعتذر لى عن سجنى ٠٠ وكل من أدخلونى السجن اعتذروا لى ٠٠ اعتذر لى النقراشى باشا عندما أدخلنى السجن فى عام ١٩٤٥ ٠٠ واعتذر لى فؤاد سراج الدين عندما أدخلنى السجن فى عام ١٩٥٠ ٠٠ والآن يعتذر لى عبد الناصر بعد أن أدخلنى السجن ٠٠

والواقع انى لم أكن فى حاجة الى علاج نفسى فان ما حدث لى بعد السجن هو تغيير فى آرائى وموقفى من الطبقة الحاكمة للثورة ٠٠ لقد اصبحت أؤمن بأنى لا أتعامل مع ثورة بل أتعامل مع حاكم ٠٠ وهو ما استمر فى احساسى بعد ذلك والى اليوم ٠٠

ولكن يبقى أن نعرف ماذا فعل السجن أو فعلت الخمسة والتسعون يوما فى قلم كاتبنا ٠٠ وما أثر سجنه بيد أصدقاء الأمس على القام الحر صاحب المبادئ الثورية .

يقول الأستاذ احسان :

« فى الواقع أنه قد قامت معركة بينى وبين قلمى ، وتلك حقيقة. لست أنكرها ، وحتى لو فكرت فى انكارها ، فان وقائع حياتى فى تلك الفترة تؤكد وقوعها بالفعل ٠٠ ! ٠٠

« أما السبب فى هذه المعركة ، فليس عذاب السجن ومحنته على الإطلاق ، كما تبادر الى ذهن البعض ٠٠ ! لأن السجن وأحواله ، لا يقيم معركة بين الكاتب وبين نفسه . اذا كان حرا بالفعل حرية حقيقية ٠٠ ! بل ان محنة السجن بسبب الراى ، تعقد صلحا فوريا بين الكاتب الحر وبين نفسه ، يتعاهد خلاله الاثنان على الوقوف معا فى وجه أعداء الحرية ، الذين يفجرون بعنادهم وغرورهم معارك مع كل مدافع عن الحرية ٠٠

نكسبون خلالها عداة كل من يستعمل حقه في التفكير العاقل غير
!استضعف!

« لست من السذاجة السياسية بحيث أخلط بين قرار عنيف .
قد يضطر الحاكم المسئول الى اتخاذه . . من باب الوقاية لما يرى نفسه
:سئولا عنه من مكونات السلطة التي أصبح مسئولاً عن حمايتها . . وبين
:تمخلى الثائر أو تراجعه عن قيمه كان يتظاهر بالايان بها وهو في مرحلة
:الاعداد السرى للثورة . . ففي الحالة الأولى يكون الثائر القديم بكل قيمه
:ومبادئه التنظيمية ما زال موجوداً . . رغم ما قد تضطره اليه الظروف من
:قرارات عنيفة موقوتة ، لا تمثل مبادئه بقدر ما تمثل قسوة الظروف التي
:يمر بها لسبب أو لآخر . . أما في الحالة الثانية ، فان الحاكم لا يكاد يصل
:الى مقعد السلطة حتى يخلع عنه كل رداء اضطر للتستر وراءه بريقه زمنياً ،
:لكي يسفر عما كان يخفيه من قيم ومبادئ لا عهد للناس بها من قبل . .
:ومن هنا تكون الصدمة الحقيقية لمن يحيطون بالحاكم الذي كان ثائر الأمس
:القريب . . ومن هنا أستطيع أن أقول لك ببساطة ان سجنى خمسة
:وتسعين يوماً في زنزانة انفرادية ، لم يؤلنى بقدر ما آلتنى المحاولة التي
:قام بها الرئيس جمال عبد الناصر ، لكي يجعل منى صوت سيده . .
:على أن أكون أنا - وما أكتبه - مجرد صدى - أو رجماً للصدى !! بينما
:يكون هو الصوت والفكر والصدى . . !!

... وقد قرأت للاستاذ احسان في العدد ١٢٧٢ من مجلة
:روز اليوسف الصادر يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٢ مقالا تحت عنوان « كيف فريد
:أن تحكم مصر » مؤيدا فيه كلامه السابق لى . . ومتى . . ؟ بعد قيام
:الثورة بأربعة أشهر فقط . .

قال فيه : « أكرر للمرة المائة بعد الألف انى فى كل ما أكتب ،
:لا أتلقى توجيهها من أحد ولا أعبر عن أى هيئة سواء كانت هيئة رسمية
:أو غير رسمية . . وانى لم أكن يوماً صوتاً لسيد ولم أضع قلمي أبداً
:فى يدى غيرى . . انى أومن بمجموعة من المبادئ ايماناً مجرداً عن
:الأشخاص وألح فى الدفاع عنها الى أن أنتصر بها أو أقع دونها ، وقد
:بشترك معى المسئولون فى الايمان بهذه المبادئ . . وقد يختلفون فيها
:معى وقد أقنعهم بها وقد يقنعوننى بعكسها ولكننى دائماً حر . . وهم
:احرار . . هكذا كنت وهكذا سأكون أبداً . .

... ويقول الأستاذ احسان في مقاله هذا أيضا : انى أو من بمبدأ
أعبر عنه بقلبي ومن حقى أن أعرضه على الشعب ليدلى برأيه فيه . وليس
للمستولين دخل فى هذا . . . وليس من حقى أن أعبر عن اتجاههم « !!
فى عام ١٩٥٥ طلب الزعيم الراحل جمال عبد الناصر من الأستاذ
احسان أن يذيع سلسلة من الأحاديث اليومية . . . يقول أستاذنا :

« كانت مفاجئة ترددت أمامها طويلا ، على الرغم من أن المرحوم
جمال عبد الناصر ترك لى حرية اختيار عنوان السلسلة وموضوعها !! . .
وهنا كان التردد والتفكير . . فأنا كاتب ، صاحب قلم . . سواء فى
الأدب الروائى أو فى السياسة ، وأنا حين أكتب ، أدخل الى نفسى تماما ،
ولهذا أشعر بالحرية الكاملة فى التعبير عن نفسى بجرأة وشجاعة . . أما
محادثة الآخرين ، فهى آخر ما أجيد ، لأننى بطبيعتى وتكوينى انسان
خجول . . وأخوف ما أخافه ، جمع الناس - وخاصة اذا كانوا غرباء
بالنسبة لى - أجد نفسى مضطرا للحديث معهم ، مهما كان هذا الحديث
عاما أو بسيطا . . فكيف بى وأنا أقف فى مواجهة الملايين لأتحدث اليهم
حتى ولو كان هذا الحديث عبر الأثير ، ومن وراء ميكروفون يفصل بينى
وبين مستمعى بمئات وآلاف الأميال . . !؟

« كانت محنة أكثر منها تجربة . . ووجدت نفسى أخوضها فى
النهاية . . ونقل الراديو للناس صوتى وأنا أتحدث اليهم ذات ليلة تحت
عنوان « تصبحوا على خير . . وتصبحوا على حب » !! . . وقامت ثورة
رهيبية ضد هذا العنوان ، وكنت أعلم أن المختفين وراء هذه الثورة هم
خصومى فى الرأى . . الذين يخشون من رأى هذا ويحاولون دائما
الدسيسة بينى وبين الرئيس جمال عبد الناصر . . فلما يتسوا
منى شنوها على حربا شعواء . . وأشاعوا أن عبارة « تصبحوا على حب »
تعنى أن كل زوج يصبح وقد التمس الطريق الى فراش زوجته . . !!
لأن كلمة « حب » عندما يذيعها احسان عبد القدوس - هكذا أشاعوا -
لا تعنى الا الجنس !! . . ووصل رذاذ الحملة الى مجلس الثورة فطلب منى
المرحوم جمال عبد الناصر كحل وسط ، أن أغير عنوان السلسلة الى
« تصبحوا على خير . . وتصبحوا على محبة » بدلا من كلمة « حب » التى
أثارت كل هذه الضجة ولكننى رفضت أن أغير الكلمة ، إيمانا منى بأن
التغيير فى حسد ذاته ، اعتراف ضمى بأن الساخطين كانوا على حق
فيما ذهبوا اليه من حديث الجنس الذى لم يطف بذهنى . . مطلقا . . وقد

كان مقدرًا لهذه السلسلة أن تستمر إلى ما لا نهاية .. خاصة وأن الممارسة كانت قد فعلت فعلها في إزالة الرهبة من نفسى تجاه الميكروفون ، ولكن حادنا لم يحسب أحد حسابها طرأ ذات يوم ، فقضى تماما على الصلة الوليدة التي كانت قد نشأت بينى وبين الإذاعة ..

« ففى أعقاب الحملة الظالمة التى أثرت حول عبارة « تصبِحوا على حب » كتبت حديثًا أفسر به ما الذى أعنيه تماما من كلمة (حب) وهل تعنى الجنس كما زعم خصومى . أم أنها تعنى أسمى وأنبى من كل ما ذهبوا إليه ؟ »

« وأذكر أننى قلت يومها .. فى نهاية الحديث : وعلى سبيل المثال فأننى أقصد بالحب - فى مجال السياسة - أن الخلاف السياسى لا يحتم الكراهية ولا يستوجب الحقد وما يجره من انفعالات وسلوك لا يرضى عنه الحب ولا يعترف به !! .. لأن الحب بمعناه العام الانسانى .. إذا وجد فى مجال السياسة ، سمح بالخلاف فى الرأى ، ومنع أن يتحول الخلاف السياسى الى كراهية سوداء بين الأطراف المختلفة !!

« الحب فى نظرى ليس مجرد عاطفة بين رجل وامرأة فقط .. بل هو احساس بالحياة .. بالوجود .. بالمجتمع الذى أعيش فيه .. أحببت جدى فدافعت عنه فى مجتمع المثقفين فى بيت أمى ، وأحببت أمى وأبى فدافعت عنهما فى مواجهة جدى وزملائه المحافظين .. وأحببت شعبى فدافعت عنه ضد فساد الأحزاب والقصر .. وأحببت مصر فدافعت عنها ضد المستعمر .. هذا هو المحرك الأول .. ليس لأدبى فقط .. بل لحياتى كلها .. من طفولتى وأنا مؤمن بأن الطريق السليم لحياة الفرد والمجتمع ، على حد سواء ، هو الحب .. أما الكراهية فلا تجر وراءها سوى الدمار لصاحبها وللمحيطين به ..

« وكان كلامى الذى أدليت به فى حديثى عاما ، لم أقصد به معنى تطبيقيا خاصا .. ولكننى فوجئت « بالمستولين » فى الإذاعة - أيامها - يفسرون كلامى على أن المقصود به هو علاقة الاخوان المسلمين بالثورة .. وكانت حينذاك متازمة .. وكننتيجة حتمية لهذا التفسير الذى لم أقصده ، طلب منى الصاغ صلاح سالم - وكان وزيرًا للإرشاد القومى ، وأمين حماد مدير الإذاعة ، وعبد المنعم السباعى أركان حرب الإذاعة وقتها .. !! أن أحذف هذه العبارة .. ورفضت لا من باب العناد ، ولا لمجرد أن يقال أن « احسان عبد القدوس » أكبر من أن يحذف له حرف ، بل رفضت من

باب الحرص على كرامة الكلمة .. يكتبها صاحب رأى يحترم كلمته وقلتها
صريحة : اذا حذفنا العبارة فلن أذيع الحديث .. بل ولن أتعامل مع
الإذاعة .. وكنت أعرف جيدا ماذا سيحدث نتيجة لهذا الموقف الجديد
ولكننى اتخذت قرارى وليحدث ما يحدث !! ..

وقد شطب الحديث فعلا ومنعت إذاعته ومن يومها حتى اليوم اى
عند أكثر من ٢٥ عاما لم أنحدث فى الإذاعة ..

٢٧ - مرة أخرى فى السجن الحربى

ويبقى أن نعرف أين كان خصوم احسان عبد القدوس وهم يرون العلاقة بينه وبين عبد الناصر تعود من جديد ..

قال لى الأستاذ احسان :

« لقد عز على أصحاب مراكز القوى التى كانت آنذاك فى بداية نموها ، أن أفلت من برائتهم ، بالقرار الذى أصدره المرحوم جمال عبد الناصر بالافراج عنى ، وانهاء فترة اعتقالى بالسجن الحربى ، رغم أنهم كانوا قد أحاطونى عنده بهالة حالكة السواد ، وصورونى فى صورة المتآمر على الثورة ، وزاد من سخطهم ، أن رأوا قائد الثورة - الذى استقر له الأمر - بعد صراع مرير بينه وبين اللواء محمد نجيب .. يعمل على ترضيتى كتعويض أدبى عما لحق بى من اهانات الاعتقال والسجن الانفرادى بالسجن الحربى .. ومن هنا بدأ تفكيرهم فى ضرورة الايقاع بى ، وبسرعة لكى يثبتوا لجمال أنهم كانوا على حق فى اتهامى - من جهة - ولكى يخيفونى أو يخيفوا الآخرين بى من جهة أخرى .. ! .. ويبدو أن حماسهم الجنونى للايقاع بى ، قد باعد بينهم وبين الحذر واحكام التدبير ، أو لعل احساسهم بقوتهم كان قد بدأ يتضخم الى الحد الذى باعد بينهم وبين الاحساس الطبيعى بالجمل ، فاذا بهم يلفقون لى اتهاما بالغ التفاهة والسذاجة بشكل لا يقبله عقل صبى صغير ، فضلا عن عقل « عضو فى المكاتب الخاصة »

معرض فيه أن يكون بالغ الذكاء والحذر .. إذا كان قد تجرد من الشعور
الانسانى الفطرى بالحجل والحياء .. !

.. وأخرجت من بيتى عنوة فى أحد الأيام من نفس العام البغيض
عام ١٩٥٤ .. ورغم الابتسامة الناعمة ، نعومة الثعبان ، التى لقينى بها
زائر الليل الأسود ، فلم أنخدع عن حقيقة الموقف ، ولم تنخدع شريكة
حياتى وكفاحى .. ! ولم أصدق .. لا أنا ولا هى .. أن الأمر بسيط
كما زعم زائر الليل الأملس ! ولا يعدو أن يكون مجرد حوار سريع للرد
على بعض الأسئلة البسيطة ثم أعود الى منزلى فى أمان ! وتبادلت مع
زوجتى الصابرة الشجاعة ، نظرة سريعة حافلة ، قلت لها خلالها كل
شئ .. وفهمت هى كل شئ ! وأسرعت فى شجاعة يحسدها عليها أشجع
اقتاتلين .. تنفذ ما طلبته منى دون كلام .. ! وتناولت منها الحقيصة
المهودة التى خصصناها لتكون جاهرة باسمرار .. وأخرجت مع حارسى
وأنا أتحاشى النظر فى عين زوجتى ، حتى لا يضعف كلانا أمام مثل هذا
ال .. كائن .. ! وكانت والدتى عندى فى بيتى فى هذا اليوم وكانت
كانها مع كبر السن قد أصبحت لا تحتفل المصائب فما كادت ترى أنهم
يعودون للقبض على حتى سقطت على المقعد وأصابها من يومها تصلب
الشرابين التى ظلت تعانیه حتى توفت بعد أربع سنوات .. رحمها
الله .. وانى الى الآن لا زلت أردد اعتذارى لها عما سببته لها من صدمات ..
وانطلقت بى العربة السوداء المسدلة الستائر فى شوارع القاهرة ، فى
سرعة جنونية ، وكان السيارة تشارك أسياها فرحتهم وسعادتهم لأنهم
وفقوا فى الإيقاع بى من جديد ! ورغم اسدال الستائر ، فقد كنت أعرف
جيذا المكان الذى سأنزل فيه بعض لحظات ، ضيفا غير عزيز .. وابتسمت
استداجة حارسى .. ! .. ويبدو أن ابتسامتى ضايقتة ، فأخرج علبة
سجائره ، ليشعل واحدة منها فى عصبية واضحة وينفث دخانها فى عنف
حاول به أن يخفف من الغضب الذى اجتاحه ، لما بدا من عدم اكتراثى
بما أنا سائر إليه ! .. ولو كان حارسى الساذج ما زال محتفظا بخصائصه
التي فطره الله عليها ، لأحس بالجحيم الذى كان يضطرم فى عقلى فيحرقه
بسؤال بسيط .. رهيب : هل هذا هو ما قامت الثروة من أجله ! ..
سؤال واحد كان يتلوى فى اعماقى وينهش كيانى كعنان خرافى أو وحش
أسطورى ذى ألف مخلب وألف ألف ناب .. هل هذا هو ما أفنيت زهرة
شبابى بالتبشير به قصاصا وكاتبا سياسيا ؟ .. هل .. هل ..
ولا جواب يأتينى سوى سحبات الدخان التى تجمعت حولى فى السيارة
المحكمة الإغلاق ، فكادت تخنقنى ودفعت بالدموع الى عيني .. دموع

الاختناق بالدخان المحبوس - مثل - في السيارة ٠٠ وظن حارسى الساذج
أنها دموخ القهر أو الاسترحام ٠٠ فتشهد بارتياح وسعادة ٠٠ واتسار إلى
بالهبوط من السيارة ونحن في فناء السجن الحربى ٠٠ لقد وصلنا ٠٠
وهأنذا أعود الى حيث كنت منذ بضعة أشهر ٠٠ !

٠٠٠ وفي مكتب قائد السجن الحربى كانت المفاجأة !! لقد وجدت
في انتظارى أحمد أنور - قائد البوليس الحربى بنفسه وحوله مجموعة من
الحواريين ٠٠ وتبادل الجميع نظرة انتصار وحشى ٠٠ وهم يرون فريستهم
بين برائتهم من جديد ٠٠ وكان من الواضح أننى مقبل على احدى « جلسات
التحقيق » التى تدرس أحمد أنور على القيام بطقوسها المعروفة جيدا لكل
من حانبه الحظ فحل ضيفا غير عزيز عليهم ! ٠٠ وشردت أفكارى رغما
عنى ، فى البحث عن السبب العبرى ، الذى سيبرر به خصومى عملية
اعتقالى للمرة الثانية ! ٠٠ أى اتهام يمكن أن أواجه به ٠٠ ولو من باب
التلفيق والكذب الذى لا يعرف الحجل ولم يسمع بالحياة ٠٠ ! وأعترف
للبراءة بأننى عجزت رغم سعة خيالى كأديب روائى ، عن ابتكار سبب شبه
معقول يسكن أن يعود بى للسجن الحربى ، ولم تكف نفسى تشفى من الجراح
٠٠ عجزت فعلا عن مجرد تخيل السبب الذى جعل أحمد أنور يقول لى :

- أنت متهم يا احسان بالتآمر على الثورة ، والتحريض على قلب
نظام الحكم !

- تانى !؟

نطقتها دون وعى أو تفكير ٠٠ كما تنطقها العامة وتلقى بها ٠٠
كلمة واحدة ، ولكنها مشحونة بقدر هائل من الغيظ والسخرية
والاحتقار ٠٠ والكراهية والاحساس البالغ بالمهانة ! ٠٠ « تانى يا أنور ،
من منا الذى يتآمر على الثورة ٠٠ الاستعمار ٠٠ والقصر ٠٠ والمستغلين ٠٠
أم أنت يا حضرة قائد الجيش الحربى ٠٠ ! ٠٠ حين تسعى دون عقل أو
منطق أو حياء ، للايقاع - بلا ذنب - بكاتب آمن بالثورة وبشئرها - ودعا
لها فى الوقت الذى كنت أنت - وربما من يحركونك - تخفضون الرأس
خضوعا لأعداء الشعب !

وتوقف سجانى المحترف ، وهو يحيطنى بنظرة كراهية كدت أشعر
بضغظها المادى على أنفاسى ، فجاهدت لكى يخرج صوتى غير متحشرج وأنا
أسأله :

– ماذا عندك في هذه المرة ١٩

– عندي الدليل المادى على ادانتك بالتآمر على قلب نظام الحكم
والتحريض ضد الثورة ٠٠ !

أى دليل مادى يتحدث عنه هذا المجنون !

٠٠٠ ولست أدري للآن اذا كنت قد نطقت هذا السؤال بصوت عال
أم أننى تحدثت به مع نفسى ! ولكن الذى أذكره الآن من أحداث تلك
الليلة الرهيبة أننى أحسست ساعتها بغضب هائل ٠٠ وأنا أشاهد بعينى
الحقائى ، وقد قلبت الى أباطيل ، بينما لبست الأباطيل ثوب الحق
والشرف !

احسان عبد القدوس الذى يؤمن بالحرية والثورة كحق طبيعى
للانسان الذى يرفض الظلم ويسعى الى تغييره ٠٠ احسان هذا يتهم
بالتآمر على الثورة ٠٠ وزبانية المكاتب الخاصة الذين يؤمنون بانفسهم .
ومكاسبهم الخاصة وسلطاتهم وامتيازاتهم غير المشروعة ، يتشدقون بانهم
حياة الثورة والمدافعون عن الحرية ٠٠ ! أى سخرية أسفل دركا من هذا
الذى أواجهه !

– لا تسخر يا احسان ولا تدعى السذاجة ! لأن شريكك فى المؤامرة
قد اعترف عليك ٠٠ والحل الوحيد أمامك لتخفيف العقوبة هو أن تعترف
انت أيضا ٠٠ !

رائع ٠٠ ! ٠٠ يبدو أن الاتهام بالخ الاحكام فى هذه المرة ٠٠ فهناك
مؤامرة ، وهى ليست مؤامرة فردية كالمرة السابقة ٠٠ بل هى مؤامرة
جماعية ، ولى فيها شركاء ، وها هو أحد شركائى يعترف على ٠٠ ! ترى
من يكون هذا الشريك الذى استسلم بسرعة ، فأفشى سر المؤامرة الخطيرة
التي كنت أدبرها ضد الثورة التي شاركت لسنوات عديدة فى التمهيد
لها قبل بولية ١٩٥٢ !

– انه ليس شخصا وهميا ٠٠ أو غريبا، عنك ! ٠٠ انه « فلان »
الساعى بمجلة روز اليوسف ! ٠٠ وقد اعترف بانك كلفته بتوزيع
منشورات ضد الثورة ٠٠ ! واعترف بانك حملت شحنة من الأسلحة فى
سيارتك وسلمتها لمجهول كان فى انتظارك فى شارع الهرم ٠٠

شريكي في التآمر على الثورة .. ساع « بالمجلة » ! .. ما هذا الجنون !؟ .. بل ما هذه التفاهة في التفكير !؟ .. وأحسست بدوار عنيف ينتابني .. ! .. لا .. ! ان الأمر لم يعد محتملا بأي حال من الأحوال فلا هو بظلم الظلمة ولا طغيان الطغاة ! .. ولا هو ببلاهة البلهاء ، أو حتى .. جنون المجانين ! .. انه في أحسن الأحوال مزيج من كل هذا .. وأسوأ بكثير .. ومناقشة مثل هذا الخلط الغريب الذي يمتزج فيه الطغيان والظلم والجنون والبلهة بل والتفاهة أمر فوق احتمال كل عاقل ! وسكت ورفضت الكلام رفضا باتا .. وإذا كان الأمر أمر قرار بالقضاء على ، فليصنعوا ما شاء لهم الطغيان . وما شاء لهم الاحساس بالسلطة المطلقة التي لا تعترف بسيادة القانون .. ولكنني لن أشارك في هذه الهزلة ولو بمجرد الدفاع عن النفس في مواجهة هذا الجنون ! .. وقمت الى زنزانتي الجديدة ، بعد أن يئس أحمد أنور وحواريوه من قدرتهم على حملتي على الكلام رغبة أو رهبة !

لقد خرجت من زنزاني - رقم ١٩ - منذ بضعة أشهر دون سبب معقول ، بعد أن سجننت فيها - انفراديا - دون سبب معقول .. ؟ وهأنذا أعود اليها دونما سبب .. وإذا كانت هناك من حقيقة واحدة يقرها العقل ويعترف بها وسط هذا الجنون ، فهي اعتبار فترة الافراج عنى .. مجرد اجازة عارضة ! .. منحها لي خصوم الحركة لكي يحكموا عليّ ولكن التهمة التي ووجهت بها الليلة أثبتت مع الأسف - أو لحسن الحظ - أن خصومي لم يحسنوا استغلال هذه الاجازة العارضة التي حصلت عليها ، عندما أصدر المرحوم عبد الناصر قرارا بالافراج عنى فى ٢١ يولية عام ١٩٥٤ ..

... وتوقف الأستاذ احسان للحظات يلتقط فيها أنفاسه .. ثم ساود الحديث معى بصوت يفيض بالألم والحسرة وكأنه يعنى بداخله أحلاما ذميت وتولت بعد أن قطع معها زهرة شبابه اليافع ..

« وفجأة دق جرس التليفون فى الغرفة المجاورة التي تعتبر المكتب الخاص لأحمد أنور فقام ليرد على التليفون ثم عاد بعد دقيقتين وهو فى صورة أخرى .. وكأنه يرتعش وقال لى :

- تعال يا احسان تكلم فى التليفون ..

ودخلت المكتب الخاص ورفعت السماعة واذا بى اسمع صوت جمال عبد الناصر وهو يتحدث الى معتذرا .. وقال .. أعمل ايه بس يا احسان

اعتذرتي .. وبعد كلمتين قال لي .. ان عبد الحكيم عامر سيعتذر لك باسم الجيش لأن البوليس الحربى تابع له .. واعتذر لي عبد الحكيم عامر ..

وعدت بعد المكالمة الى أحمد أنور الذى استقبلنى مبتهما ابتساماً مرتعشة .. وفي الحال أطلق سراحى وعدت الى البيت ..

وفي طريق العودة الى بيتى .. كان هذا السؤال يلح على الحاحا قاسيا : لقد صدر أمر اعتقالى وأنا قريب من قادة الثورة ، وصدر هذا الأمر دون علم من قائد الثورة .. واذا كانت الظروف – والظروف وحدها – قد هيأت لى فرصة نادرة وهى العلاقة الوثيقة بينى وبين المرحوم جمال ، والتي حدث به الى الاهتمام بأمر اعتقالى – حين علم بهذا الأمر الذى تم دون علم منه !! .. ثم دعتة هذه العلاقة ذاتها الى المبادرة بالافراج عنى فوراً ، وبأمر شخصى منه ، يلغى الأمر الذى صدر من وراء ظهره باعتقالى .. فكيف يكون الحال لو أننى لم أكن وثيق الصلة بقائد الثورة ..؟

بل ماذا يكون المصير المظلم الذى أنتهى اليه .. لو كنت واحدا من المواطنين من أبناء هذا الشعب الطيب الصبور .. ثم تعرضت بالحق أو الباطل لغضب من يملكون اصدار قرارات الاعتقال من وراء ظهر القائد وبدون علمه ..؟

وأحسست بقشعريرة تهز كيانى من الأعماق ، وأنا أتصور برؤية الكاتب وخيال القصاص ، الأبرياء وهم ينتزعون من بيوتهم فى ظلمة الليل لكى يقذف بهم ، أعضاء المكاتب الخاصة ، خلف القضبان ..

وزاد من احساسى بالمأساة القادمة فى الطريق .. أننا لم نكن وقتها – عام ١٩٥٤ – قد جاوزنا العام الثانى من عمر الثورة التى قامت لتحرير الانسان المصرى من كل قيد ، ولكى ترد للمواطن المصرى احساسه بالكرامة التى طالما اعتدى عليها الثالث الحاكم قبل الثورة .. واذا كانت عنده هى حال الحرية .. ومدى احترامها والحفاظ عليها .. ونحن فى بداية الطريق النورى .. فما الذى سنتنتهى اليه الأحوال بعد عشرة أعوام ،

أو عشرين عاما على سبيل المثال .. عندما تنمو أظافر المكاتب الخاصة
وتتحول الى مخالب حادة قادرة على الفتك بالخصوم بلا حدود ، وبلا وازع
من ضمير أو مبادئ أو قيم .. قد تكون رؤياى هذه متشائمة .. بل
وحالكة السواد بمنطق عام ١٩٥٤ حيث لم تكن الأمور قد انتهت اليه
فيما بعد .. ولكن هذه النظرة المتشائمة كانت تسيطر على تماما طوال
الطريق من السجن الى بيتي .. واذا كانت أسرتي الصغيرة قد استقبلتني
بفرحة اللقاء بعد اليأس من عودتي .. الا أنني لم أكن سعيدا بهذه
العودة ، ولم أكن سعيدا بهذه الحرية التي عادت لي بالأمر كما انتزعت
منى بلا منطق أو عقل بالأمر أيضا .. وأحسست ساعتها بأنني أدخل
مرحلة جديدة وخطيرة في حياتي تمثل تحولا هاما في فكري وفي حركتي
كأديب وكاتب سياسي وروائي معا ..

وقد قالت لي زوجتي بعد أن عدت اليها أن زكريا محيي الدين كان
اتصل بها بمجرد القبض على وخروجي من البيت وقال لها أن تطمئن ..
وانى سأعود اليها حالا .. وعلمت أن القبض تم بدون أى قرار من أى
مستول .. وان زكريا محيي الدين اتصل بأحمد أنور وطلب منه أن
يفرج عني ولكن أحمد أنور رفض فاضطر زكريا محيي الدين أن يتصل
بعبد الناصر ويبخه النبأ .. وربما كنت الشخص الوحيد الذي تلقي
مكالمة تليفونية من جمال عبد الناصر وهو داخل السجن .. ليعتذر له ..

٢٨ - احسان صاحب فكرة تأميم الصحافة

يقول الأستاذ احسان :

« الشيء المؤكد أن الفترة الأولى التي قضيتها في السجن الحربى بعد قيام الثورة من ابريل الى نهاية يولية ١٩٥٤ أصابنى بجرح نفسى ، وزعزعت ثقتى بالكثير مما كنا نحلم به فى سنوات الاعداد للثورة وان لم ترزع ثقتى بالثورة ذاتها كفكرة وكنظرية حتمية للتغيير .. ولكن خروجى بأمر من المرحوم جمال ثم محاولاته المتكررة لازالة ما علق بنفسى من آثار هذه المحنة ، قد خفف عبء وطأتها على قلبى .. وكان من الممكن أن أعتبر ما حدث من أمر اعتقالى الأول ، مجرد عارض طارىء مما يحفل به تاريخ الثورات !! ولكن اعتقالى للمرة الثانية ، جعلنى أتأكد تماما أن الأمر جد لا هزل فيه ، وأن ما خفت حدوثه - كوهم قد تحول الى واقع ، ولم ، لابد من التفكير فى مواجهته مواجهة مكشوفة بدون تزويق أو خداع للنفس ! .. وهكذا فتحت عيني على ما لم أكن أحب أن أراه يجرى للثورة المصرية الشابة ، التى كانت ولا تزال حلم كل حالم بالحرية - بمعناها الحق - لا بمعناها المزيف ، الذى أجهد أصحاب الشعارات البراقة أنفسهم فى فرضه على الناس .. لأحدد بها بين نفسى أولا ، موقعى من هذه الثورة .. وهذا ما فعلته منذ ذلك الوقت المبكر .. وهو ما عرفه المرحوم جمال عنى معرفة اليقين .. وهو نفسه ما أعلنه الآن بصراحة ووضوح لا لبس فيهما .. أنا مع الثورة كمفكر تقدمى متجدد ، يؤمن بالانسان

الحر ٠٠ وبحق هذا الانسان في أن يحدد مصيره بكل ما يملك من حق
الهي في الحرية ٠٠ وبحقه في أن يأخذ بالأسباب - المشروعة - التي تصل
به الى تملك حريته ٠٠ حرية حقيقية ٠٠ لا حرية الشعارات الجوفاء !! ٠٠
أنا مع الثورة كمنظريه تصنع التغيير لصالح الانسان ٠٠ وكتطبيق سليم
لهذه النظرية يهبط بها من سماء الأحلام الوردية ٠٠ التي تراود الثوار
في سنوات الاعداد تحت السطح الى أرض الواقع المجرد التي تتحرك عليه
الملايين ٠٠ ولكنني ضد الانحراف بالثورة عن طريقها السوى من حركة
لصالح المجموعة الى حركة احتكارية لصالح جماعة خاصة ٠٠ سواء كانت
هذه الجماعة رسمية معلنة ٠٠ أم طفيلية غير شرعية وغير معلنة ٠٠ !!
وأنا ضد الاستيلاء على الثورة أو محاولة سرقها لصالح فئة دون فئة أو
طبقة دون طبقة ، لأن التسليم بحق جماعة أو فئة أو طبقة في سرقة حركة
المجموع لصالحها سيؤدى بالضرورة الى الآثار المدمرة التي يحدثها قانون
التناقض الداخلى - الذى يؤمن به الماركسيون أنفسهم - ذلك القانون
الذى يقول بان الدورة الحتمية للتغيير انما تتبع من وجود الشيء ونقيضه
في الكيان الواحد !! واستيلاء جماعة معينة، على ثورة شعب سيؤدى الى
ارضاء هذه الجماعة وتميزها وانفرادها بخيرات الثورة ، ولكنه سيؤدى
بالضرورة الى سخط غيرعا من الجماعات التي لم تحظ بها حظى بما حظى
به غيرها ! ومن ثم يبدأ السخط خافتا ٠٠ ثم هادرا ٠٠ ثم يبدأ بالتفكير
فى التخلص من الفئة أو الجماعة التي ميزت نفسها - بحق أو بغير حق -
عن غيرها من طبقات الشعب الثائر ٠٠ !

وإذا كان الماركسيون - رغم ايمانهم بحتمية قانون التناقض الداخلى
هذا - قد تجاهلوه عند التطبيق ، الا أننى كمفكر حر لم يستعبد طوال
حياته لشخص معين أو لفكر بذاته ، استطعت أن أصل الى حل بسيط.
لهذه المعادلة الصعبة حتى التزمت بالثورة كمنظريه تغيير من أجل الجميع ٠٠
ورفضت رفضا قاطعا أى انحراف بهذه النظرية عن مسارها أثناء التطبيق
وهذا الموقف النظرى المجرد ، جعلنى أتخذ موقفا سلوكيا محددًا بعد
خروجى من المعتقل للمرة الثانية ٠٠ تأييد كامل للثورة كمنظريه ٠٠ وتجاهل
متعمد بمراكز القوى التي كانت أخذة فى النمو بشكل لا يدع مجالاً
للسك فى المصير الذى يحاولون أن يجروا الثورة اليه ٠٠ ومن هنا ظهر
للجميع أننى ككاتب متحرر من قيود التبعية غير مستعد للتعبير عن
السلطة ، مهما كانت المغريات التي تحيط بي فى هذا السبيل ، وقد عرف
المرحوم جمال عبد الناصر هذا بوضوح ٠٠ وفهمه منى مباشرة بلا لبس أو

عواربة ، وأغلب الظن أنه قدر هذا الموقف تقديرا نابعا من معرفته
بشخصيتي .. وبعنادى وصلابتي في أى موقف أتخذه عن اقتناع
وايمان ..

« وعلى الرغم من هذا فأنى لم أبتعد ابتعادا كاملا عن السياسة
فكرا وممارسة ، وكانت المواقف الحادة في تاريخ الثورة المصرية تدفعنى
الى الحوض فى تيارها أملا فى القاء ضوء - مهما كان يسيرا متواضعا -
فهو قبل كل شئ ضوء متحرر شريف ، ولا يبغى سوى مصلحة « جموع
الشعب كله » .. وأذكر فى هذا الصدد أن المقال الذى كتبتة - فى مجلة
روز اليوسف عن الملكية العامة للصحافة أثار اهتمام المرحوم جمال ..
وعقب صدور المجلة ، ابلغنى د. عبد القادر حاتم أن الرئيس الراحل جمال
عبد الناصر قد اهتم بمقالى ، وأنه يفكر جديا فى تأميم الصحافة .. ولم
تمض سوى أيام حتى صدر قانون تأميم الصحافة بالفعل ، وكانت المفاجأة
التي أذهلتنى ، أن صيغة القانون الذى صدر كانت تضم أربعة سطور من
المقال الذى كتبتة .. كما كنت الوحيد الذى صدر مع قرار التأميم قرار
تعيينى رئيسا لمؤسسة روز اليوسف .

وقد كنت أطالب بتأميم الصحافة رغم أنى صاحب جريدة لعدة
اسباب أولها أن جميع المؤسسات فى مصر كانت قد أمتت فكيف تعيش
الصحافة بلا تأميم فى بلد كل ما فيه مؤمم .. ثانيها أن الرقابة على
الصحف كانت قد بلغت مداها ولم يعد للصحافة أى خيط من خيوط
الحرية .. وثالثا لأن روز اليوسف بالذات كانت عاجزة بسبب ضعف
رأسمالها عن مسايرة التطور فى اصدار الصحف الذى يحتاج الى رأس
مال كبير لشراء الآلات واستكمال المتطلبات .. حتى أنى كنت أخشى على
روز اليوسف ألا تستمر فى الصدور وهى فى قوتها وأن تتغلب عليها دور
الصحف الأخرى الغنية برؤوس أموالها .. وكنت أفكر فى أن أجعل من
روز اليوسف شركة مساهمة .. ولكنى خفت أن تتغلب هذه الشركة على
حريتي .. ولم يعد أمامى الا أن أتمنى التأميم .. وأذكر أن عبد الحكيم
عامر عرض على مرة أن تدفع لى الحكومة ما يعاوننى .. ولكنى رفضت ..
وقلت انى لست فى حاجة الى معاونة ولكنى أقبل أن تدخل الحكومة شريكة
معى فى روز اليوسف بنسبة الثلث أو النصف .. واندعش عبد الحكيم
عامر من هذا الاقتراح .. وأخيرا تم التأميم .. ولم أكن أعرف انى عندما
كنت أطلب بالتأميم كنت أضحى بنفسى فى سبيل الإبقاء على روز اليوسف
.. وكل ما فى روز اليوسف اليوم من أول آلات الطباعة حتى المقاعد

والمكاتب هو بفضل التأميم .. أى ليس من أموالى لأنه لم يكن عندي
أموال .. أما أنا فقد خسرت أساس حريتى فى سبيل الإبقاء على
روز اليوسف ..

والذى حدث بعد التأميم أن كل العاملين فى روز اليوسف انقلبوا
الى موظفين .. وأنا لا أستطيع أن أكون موظفا .. ولا أستطيع التعامل
مع موظفين .. ولا أفهم عقلية ولغة الموظف .. فبدأت أعانى معاناة قاسية
طويلة الى أن اضطررت أن أترك روز اليوسف وأعمل بعيدا عنها .. وان
كانت مجلة روز اليوسف ومجلة صباح الخير لا يزالان يعيشان فى قلبى
وكانهما قطعة منى .. حتى أنى كتبت انى بعد أن أموت أتمنى أن تشيع
جنازتى من أمام باب روز اليوسف .. فهى أمى التى نشأت وتربيت بين
صفحاتها ..

٢٩ - مراكز القوى تصدر قرارا باعدام احسان

يقول الأستاذ احسان :

عندما بدأت مراكز القوى تلعب لعبتها داخل مصر للاستيلاء غير الشرعى على السلطة الشرعية أحسست بأن أكدوية اليسار ستكون هى الستار الذى ستختفى وراءه مراكز القوى كي تثب على السلطة الشرعية وزاد من احساسى بالخطر ما حدث فى العراق عندما انفرد عبد الكريم قاسم بالسلطة واستولى على ثورة ١٤ يولية الشهيرة لصالحه مستندا فى هذا الى تأييد الشيوعيين ، ٠٠ وما وضع للجميع وقتها من أن الاتحاد السوفيتى اتخذ موقفا معينا وعلنا مع عبد الكريم ضد زملائه ورفاقه فى الثورة ٠٠ وساعتها أحسست بالخطر المؤكد القادم فى الطريق بالنسبة للثورة المصرية ٠٠ ولم أتردد فى مواجهته صراحة وعلنا بقلمى ، وبكل ما أملك من مقومات النضال السياسى بالكتابة السياسية أو القصصية ٠٠ !! وكان من الطبيعى أن يتكفل الشيوعيون فى دار روز اليوسف وخارجها ضدى ٠٠ وانهالت التقارير التى يكتبها هؤلاء وبعثون بها الى سفارة معينة يتعاملون معها !! ٠٠ وجمع بين هؤلاء جميعا الحقد المشترك ٠٠ وأكد أقول ٠٠ الحوف المشترك من وجود قلم حر ٠٠ يأبى صاحبه أن يركع على قدميه ، ويرفض صاحبه أن يحول المداد الذى يكتب به الى بخور دنس يحرقه تحت أقدام الطواغيت التى وضعتها الصدفة فى طريق ثورة الشعب ٠٠

« وكانت أولى ثمرات الحقد التي حققوها قرار نخبتي درجتي
الوظيفية في مؤسسة روز اليوسف من رئيس مجلس ادارة للمؤسسة
كلها بما تصدره من مجلات ومطبوعات الى رئيس تحرير فقط !! » ..
يقول الأستاذ احسان :

« لم أقاوم قرار نخبتي الوظيفة في مؤسسة روز اليوسف»
من رئيس مجلس الادارة للمؤسسة لثقتي الكاملة من أن أية محاولة
للمقاومة لن تؤدي الى نتيجة سوى اهدار كرامة عشت عمري أصونها!!
ولم يكن أمامي سوى موقف واحد لا بديل له .. هو رفض القرار بشكل
عجلى .. ان تعذر على رفضه بشكل رسمي !! .. وطلبت أن يرفع اسمي
من المجلة « كرئيس للتحرير » .. ! .. مع استعدادي للاستمرار في
العمل ككاتب فقط .. وحتى لا أعطي نفسي فرصة للتراجع ، أو أعطي
غيري فرصة للتأثير على ، غادرت روز اليوسف الى بيتي ، على قرار
لا رجعة فيه .. اما أن يرفع اسمي كرئيس للتحرير .. أو .. هو الفراق
الذي لا لقاء بعده بالدار التي أعطيها بالرضا معظم عمري .. وعشت بين
جدرانها أخطار الحوادث التي غيرت مجرى التاريخ في حياة مصر قمل
الثوزة وبعدها على السواء !!

وكان موقفا صارما بلا جدال .. ولكنه موقف يتمشى تماما مع
مكونات شخصية أستاذنا التي ورثها من مجتمع روز اليوسف - الأم
والمجنحة - التي قال عنها أستاذنا فكري أباطة ، انها تبرز في شجاعته
الرجال .. !! ..

يقول كاتبنا الكبير :

« كان على أن أواجه الموقف بشجاعة صارمة .. ولم يكن أمامي
خيار .. ! .. فالمسألة أن أكون أو لا أكون .. ! واخترت أصعب الموقفين
وأشرفهما .. وجيعت أوراقتي وقصدت بيتي تاركا خصومي في مواجهة
قرار لا رجعة فيه .. اما أن يرفع اسمي من المجلة كرئيس تحرير وأتحول
الى مجرد كاتب غير مسئول عن شيء في المجلة الا ما أكتبه بقلمى .. أو
هو الفراق الذي لا لقاء بعده بالدار التي شهدت حياتي تنمو بين جدرانها
كشجيرة صغيرة .. ثم ككيان صلب يصارع أعنف التيارات والعواصف .. ! ..
وقد آتهم بالأنانية وحب الذات ، حبا دفعني الى عدم المقاومة
دفاعا عن الدار الصحفية التي كانت ذات يوم وبكفاح مؤسسيتها فاطمة
اليوسف وكفاح من عملوا معها من شجعان الرجال .. ! .. رمزا لحرية
المحافة المصرية ونضالها ضد كل طغيان أو عدوان على حرية الشعب

في التعبير عن نفسه .. ولكن المسألة أكبر من مجرد احساس فرد - مهما
تعاظم - بالذات ! .. لأن مراكز القوى كانت مصممة على الخلاص من كل
فرد استعصى عليها أن تحتويه أو تستولى على قلمه .. ولقد كانت مراكز
القوى عازمة على القضاء على تماما ، ولو اقتضى الأمر التفكير في اغتيال ..
كما حدث بالفعل فيما بعد ! .. وكنت واثقا تماما أن ما أكتبه بقلمى تعتبره
مراكز القوى جلدا بسيطا للكلمات لكل الآثام التي كانوا يمارسونها في
الحفاء تحت سطح السياسة المصرية ، ويظنون أنها خافية على الأعين ،
بينما يشم رائحتها الكريهة كل حر غير على بلده !

» .. ومن هنا كنت واثقا من أن قرار تخفيض درجتي الوظيفية
من رئيس مجلس ادارة الى رئيس تحرير له ما بعد !! .. ولم أكن على
استعداد لكى أمنح خصومي متعة الاحساس بالنجاح فى اهانتى ..

» .. وهذا هو ما جعلنى أتشدد ، وأبالغ فى رفض التنازل عن
موقفي وفتها .. ورغم نصائح بعض من يسمون أنفسهم (بالعقلاء) فقد
انتهت الأزمة اذ ذاك نهاية مؤقتة بتحقيق زغبتى ، وانكشمت صلتى
بروز اليوسف الى صلة كاتب - أن يكون صغيرا أو كبيرا - فهو كاتب ..
يرتبط بالقارئ أكثر مما يرتبط بالدار الصحفية أو ادارتها .. ! ..
ورغم ما فى هذا الموقف الجديد من عذاب نفسى لى لمن يحبوننى ، الا أننى
وجدت فيه راحة مؤقتة ، كنت فى أشد الحاجة إليها فى تلك الفترة ، التي
كانت أشبه بفترات الاستجمام أو النقاهاة ، التي يحاول الفرد أن يستجمع
خلالها نشاطه ويستعيد قوته ، استعدادا لمرحلة نضال عصيب كنت ألمح
نذرها تتججج فى الأفق ! ..

» لم أكن من السذاجة بحيث أتصور أن المسألة ستقف عند حد
القرار بتخفيض درجتي من رئيس مجلس ادارة مؤسسة روز اليوسف ،
والمستول عن كل شئونها اداليا وماليا وصحفيا .. الى مجرد رئيس تحرير
لاحدى مجلات الدار .. !

» لقد كنت واثقا من أن المسألة أكبر من هذا بكثير وأن الحرب قد
بدأت بكل شرستها ووحشيتها بينى - وأنا وحيد شبه أعزل الا من
قلمى - وبين قوى الانتهازية التي تمارس خدعة ما يسمى باليسار ،
تساندها سفارة معينة تعيش على التقارير التي يكتبها المتعاملون معها ..
ثم .. مراكز القوى التي كانت تعد نفسها للوثبة الأخيرة على السلطة
الشرعية ، ولو اقتضاها الأمر مواجهة علنية وصریحة مع ممثل هذه
السلطة ! .. ومعنى هذا أنه كان على أن أتوقع المزيد من الشرور

والاعتداء سواء على وضعى الوظيفى كصحفى ، آثر أن يتحول الى مجرد كاتب يبعث بمقاله الأسبوعى للمجلة ٠٠ أو كانسان ورب أسرة يهيمها بقاؤه حيا ٠٠ !

« ولقد عشت شهورا طويلا فى حدس وتخمين ٠٠ من أين تانى الضربة القادمة !؟ ٠٠ وهل سيكتفى خصومى بطردى من الصحافة نهائيا ٠٠ باعتبارى صاحب قلم غير مرغوب فيه ٠٠ !؟ ٠٠ وهل ستعتبر مراكز القوى مثل هذا القرار - الذى يمثل عذاب الموت بالنسبة لى - عقابا كافيا لازاحتى من طريقهم ، يأمنون به شرى وشر قلمى ٠٠ !؟ ٠٠ أم أنهم سيكونون أكثر اندفاعا على طريق الجريمة ، فيتجهون مباشرة الى اغتيالى وازاحتى من طريقهم الى الأبد !؟ ٠٠ وأى الاحتمالين أقرب الى نفسية وعقلية خصومى ، وهم خليط غريب من الانتهازين والعملاء وكتابة التقارير ، ومدعى التقدمية ، ولصوص السلطة الشرعية الذين يتحينون الفرصة للانقضاض عليها ونهبها لصالحهم الشخصى !!

« وقد تضحكين بينك وبين نفسك ، اذا قلت لك اننى كاديب روائى ، سيرت لىالى باكلميا ، أعقد هذه الموازنة الغريبة بين نتائج كل من الأسلوبين ٠٠ أسلوب طردى من الصحافة كقتل أدبى ٠٠ وأسلوب اغتيالى كقتل مادى ٠٠ ، أتصور نفسى مكان خصومى ، وأضع الحجج والبراهين التى تفضل كل أسلوب على الآخر !

« وفجأة اتصل بى صديق العمر المرحوم يوسف السباعى ليبلغنى بالأسلوب الذى فضله خصومى للقضاء على ٠٠ ! لقد صدر قرار بعزلى من الصحافة ٠٠ ! وطردى من روز اليوسف أنا ويوسف السباعى ٠٠ لأن مرتبى ومرتب صديقى يوسف يمثل عبئا على المؤسسة ٠٠ ! ٠٠ ورغم انفعال يوسف السباعى بالقرار ، فقد قابلته بهدوء لأننى كنت أتوقعه ، وكان القرار قد صدر منذ ثلاثة أيام ، وقد خجل صديقى الدكتور عبد القادر حاتم من ابلاغه لى ، فطلب من يوسف السباعى أن يتولى ابلاغه لى ! ٠٠ وهكذا بكل بساطة قرر خصومى بقرار من سطر واحد اسدال الستار على كل تاريخى فى الصحافة المصرية ، منذ كتبت أول سطر باسم مستعار فى مجلة روز اليوسف ، الى أن أصبحت بالمدرسة الشريفة واحدا من حملة الأقلام الذى رأى لصوص السلطة أننى أمثل خطرا عليهم ! ٠٠ لقد كان قرارا بالاعدام ٠٠ ولكننى واجهته بشجاعة !! « ٠٠

٠٠٠ تصور احسان ا النائر ٠٠ البطل ٠٠ الصحفى الجرىء يصادر
قلمه وفكره !! ٠٠ ومتى !؟ ٠٠ بعد ثورة ٢٣ يوليو التى شارك بحياته
وقلمه وفكره فى سبيل قيامها ٠٠

ولكن ما هو السبب الحقيقى الذى أدى الى قرار عزله عن الصحافة
عام ١٩٦٦ ؟ ٠٠

قال لى أستاذنا :

« فى عام ١٩٦٦ ، سافرت الى تشيكوسلوفاكيا وعدت لأكتب مقالا
أتبنا فيه بأن الروس سوف يهاجمون تشيكوسلوفاكيا ٠٠ ولكن رئيس
مجلس الادارة أحمد فؤاد آنذاك ومعه رئيس التحرير أحمد حمروش
حذفوا بعض هذه السطور ، فاعتبرت ذلك اهانة ، وفضلت الامتناع عن
الكتابة والجلوس فى البيت ، فاتصل أحمد فؤاد وأحمد حمروش على الفور
بعلى صبرى الذى أصدر قرار عزلى من الصحافة دون أن يعلم المرحوم جمال
عبد الناصر شيئا بهذا القرار ٠٠ وحينما علم بعد ثلاثة أيام من صدوره ،
اطاح بأحمد فؤاد وعين بدلا منه أحمد بهاء الدين بالرغم من أنه كان رئيسا
لمجلس ادارة دار الهلال فى ذلك الوقت ، وبذلك أصبح يجمع بين
المؤسستين ، ودعانى أحمد بهاء الدين بالطبع للعودة للكتابة بروز اليوسف
ولكننى رفضت نظرا للجزازات التى قد تحدث نظرا لأننى كنت يوما ما
صاحبا لهذه المؤسسة ، وطلبت منه أن أكتب فى دار الهلال بمرتبى فى
روز اليوسف ٠٠ وطلب أكتب فيها الى أن فعل أحمد بهاء الدين معى
ما فعله أحمد حمروش من قبل ، اذ أنه حذف لى بعض سطور من مقال ،
فغضبت لهذه الاهانة الكبيرة ، وتركت له المؤسستين ، وكان فى ذلك
الوقت يلج على الأستاذ هيكل للعمل كرئيس تحرير لأخبار اليوم ٠٠
فوافقت ، وانتقلت الى مؤسسة أخبار اليوم » .

٣٠ - احسان يرفض (شعار ازالة آثار العدوان)

وتأتى نكسة ١٩٦٧ والأستاذ احسان متوليا رئاسة تحرير أخبار
اليوم ٠٠ فما هى ذكرياته عن تلك النكسة المؤلمة ؟ ٠٠٠

يقول استاذنا :

« هناك طبعاً العديد من الذكريات الشديدة الايلام ، وكثير منها لم
يحن الوقت بعد لكشفه ، لأن المصلحة العامة تقتضى احسانا هذا
السكوت ! ٠٠ ولكن ما لا يدرك كله ٠٠ لا يترك كله ٠٠ ويكفى أن أشير
الى قضية من عديد من القضايا التى كانت مثار صراع وصدام بينى وبين
مراكز القوى ٠٠ كقضية الخلاف على تحديد اللفظ المناسب لمعنى معين ٠٠
هو ما حدث لمصر وجيشها بل للأمة العربية كلها معنا فى الخامس من
يونية عام ١٩٦٧ ٠٠٠ وقد يدهش القارىء عندما يسمع أن تحديد مثل
هذه الكلمة التى تعبر عن أبشع مأساة عاشها شعبنا فى تاريخه الحديث،
يمكن أن تكون مثار خلاف وصل الى حد التفكير فى وضع نهاية دعوية
له ! ٠٠ لقد قالوا ٠٠ وبسرعة عجيبة : انها نكسة ! وذعرت من هذه
الجرأة التى دفعت بهم الى استمرار الفساد والافساد حتى فى مفردات
اللغة ! ٠٠ ما هذا يا سادة !؟ ٠٠ ان للنكسة معنى مختلفا تماما عن الكارثة
التي حلت ١٩ ٠٠ وقد تيسر لكم السلطة غير الشرعية التى ملكتم أسبابها
أن تزيفوا كل شيء ٠٠ ولكن أن يصل بكم الأمر الى تزيف اللغة ! ٠٠
وافسادها ٠٠ فهذا ليس من حقكم بأى حال من الأحوال ! وهذا

ما لا تقدرين عليه ولو ملكتم قدرة نرون وشهوته وحب المجنون للدمار والتخريب ! .. لأن افسادكم للغة يعنى ميلكم الى قهر الشعب ماديا الى قهره معنويا وروحيا .. وافساد لغة أمة أكثر اجرا من ابادته هذه الأمة عن بكرة أبيها ! .. لأن اهلاك شعب ما ، أرحم بكثير آلاف المرات ، من مسح عقليته وافساد لغته ، وزعمكم بأن ما حدث نكسة .. كذب متعمد .. واصراركم على نشر هذه الأكذوبة وفرضها على الشعب ، عملية تدمير متعمد ومسوخ مقصود لمعنويات الأمة ولفتها .. ! وبالتالي لشخصيتها ككل .. وهى كبرى الجرائم الوطنية ، وأن ما حدث فى الخامس من يونية ١٩٦٧ هزيمة كاملة بل هو فضيحة مدوية .. وهى ليست فضيحة لشعب مصر ، لأن شعب مصر كان يعيش هنا فى وادى النيل ودلتاه .. آمنا لوعودكم ، ومطمئنا لعودكم التى قطعتموها على أنفسكم بأن تحققوا له النصر الذى أعدتم له كل ما استحدثته الحضارة الحديثة من أسباب القوة العسكرية والقتالية .. ! .. ثم .. هى أيضا ليست فضيحة لجيش مصر .. لأن هذا الجيش لم تتح له الفرصة ليحارب .. لا دفاعا عن بقائكم أتم .. بل دفاعا عن كرامة مصر وشعبها الطيب .. لقد تم كل شيء غيلة وغدرا .. وبسرعة مجنونة أفاق الجميع بعدها .. فاذا الكارثة قد حلت ، واذا بهما الهزيمة الساحقة .. التى تحاولون كذبا .. أن تسموها نكسة ! ..

« ولقد قلت هذا لخاصة أصدقائي ، فنصحونى بالصمت التام خوفا على من الموت الزؤام !! .. ولكننى لم أكن أملك القدرة على الصمت ، فقلت بعضه على الأقل للعقلاء ، من خصومى !! وحاول هذا البعض أن يسمع آخر ما عندى ، فسعوا الى استدراجى لمزيد من الكلام ، ولم أكن بحاجة الى أى استدراج أو أى اغراء بالكلام لأقول ما أؤمن بأنه حق .. فقلت لهم :

« ان ما حدث فى سيناء كان هزيمة لكل الشعارات الكاذبة التى رفعت طويلا ، وظلت معلقة كبالونات فى الهواء بعيدا عن أرض الواقع الثورى الذى كانت الجماهير تحلم بتحقيقه بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، فلما وقعت الواقعة انفجرت هذه الشعارات « البالونية » فى الهواء ثم تساقطت على أرض سيناء وقلت لهم أن الذى سحل وديس على رمال سيناء هو القهر والتجبر والاستعلاء الكاذب والتسلط بغير حق وسياسة كلمة تمام ! لأن أول صدمة بين واقعهم الهلامى المزيف ، وبين واقع العدو الذى يفكر ويدبر ويعمل ليوم اللقاء ، أثبت أنهم كانوا كاذبين .. وأن كل شىء لم يكن تماما !!

وقلت لهم : ان ما حدث أمر غير طبيعي ، لأن مقدماته غير طبيعية ٠٠
وأسبابه أيضا غير طبيعية ٠٠ لأن هزيمة شعب مصر بكل ثقله الجماهيري
والمادى وتاريخه الحضارى أمام اسرائيل أمر غير طبيعى ٠٠ وقد حدث
نتيجة لأسباب مفتعلة اصطنعوها هم وفرضوها على حياة الشعب
المصرى ٠٠ وواجبهم أن يكونوا شجعانا وأن يتحركوا من باب الوطنية
وحسدها ولا أبرئهم منها أو أنفيها عنهم ٠٠ لكي يزيلوا الأسباب التى
صنعت الهزيمة ، ويتركوا الشعب ليصنع لنفسه بنفسه الأسباب الطبيعية
التى تؤدى به الى النصر !!

وأخيرا قلت لهم : اذا كان عندكم أدنى شك فى صدق ما أقول
فاذكروا جيدا ما حدث يومى التاسع والعاشر من يونية عام ١٩٦٧ ،
وتدبروا معنى ما حدث لعل هذا ينير لكم الطريق ٠٠ !

ان ما حدث فى هذين اليومين لا يمكن أن يمحي من ذاكرة مصرى
عاش هذين اليومين ٠٠ فقد كان يوم الجمعة ٩ يونية - حزيران الأسود
كما سماه الشاعر نزار قبانى هو يوم راحة اليأس !! ٠٠ عندما استيقن
الشعب تماما من حلول المصيبة ، عقب الخطاب التاريخى الذى أكد به
المرحوم جمال عبد الناصر ، صدق ما كانت تذيبه الاذاعات الأجنبية من
حلول « الهزيمة الساحقة » ووصول اسرائيل الى قناة السويس ٠٠ ثم
أعلن أنه يتحمل وحده عبء ما حدث ، ومن ثم ٠٠ فهو يترك الحكم
مستقيلا ٠٠ وقامت قيامة الشعب ، وانفجرت المظاهرات التى لم يضلها
الظلام انما فى القاهرة ، وفى كل مدن وقرى الجمهورية بفعل الحرب
القصيرة الأمد ! ٠٠ ولم تعقها انفجارات القنابل ولا أصوات الرصاص
الذى لم يعرف بعد من كان يطلقه فى سماء القاهرة فى تلك الليلة
المشؤمة .. وكانت صباح السبت ١٠ يونية مظاهرات لا تهدأ ٠٠
وجماهير محتشدة لا تنفض ٠٠

ان ما حدث فى يومى ٩ ، ١٠ يونية ، لو تدبرتم معناه جد خطير ٠٠
لأن الجماهير التى تظاعرت فى هذين اليومين كانت غاضبة فعلا ، وكانت
ساخطة حقيقة ٠٠ وأنا على يقين من ان هذه المظاهرات تحركت بعفوية
أصيلة ، ولم يحركها أحد ٠٠ لأنه لم يكن يوجد فى هذين اليومين ذلك
« الأحد » الذى يملك القدرة على التفكير فى شىء أبعد من باب حجرته ،
فضلا عن التفكير أو القدرة على تحريك تلك الجماهير العريضة الهائلة !!
وغضب الجماهير يومها كان منصبا على معنى واحد أحسست بأنه يمثل
اهانة لتراث الشعب المصرى وأصالته ٠٠ لقد أحست الجماهير بأن مجرد

تتكبر عبد الناصر في الاستقالة والانسحاب من مسرح السلطة المصرية .
 حاملا معه وزر الهزيمة الذى حمل نفسه به طائما هو فى حقيقته رضا
 بما يرفضه هذا الشعب الصلب الارادة . . . رضا بأن يغير نظام الحكم
 المصرى فى الداخل بسبب ضغوط قوة خارجية دخيلة ! . . . واذا كان
 عبد الناصر قد رضى . عن طيب خاطر ، أن يتحمل عبء الهزيمة وحده
 فان الشعب كان يفكر فى شئ أكبر وأسمى من مجرد تحديد المسئول عن
 الهزيمة ! . . . كانت المسألة ساعتها كرامة مصر وأصالتها وصمودها
 كلها . . . حكاما ومحكومين ! ! يجب أن يقف الجميع صفا واحدا صلبا فى
 وجه الخطر والدخيل . . . ثم . . . تأتى ساعة الحساب بعد أن يزول الخطر . . .
 وتتم الاجابة على السؤال الرهيب . . . تكون مصر أو لا تكون ! ولهذا قالت
 مصر لعبد الناصر : قف مكانك . . . لا تعتزل الحكم ! حتى لو كان اعتزالك
 سيطفى غضب العدو النازى ! . . . قف مكانك فلست الآن فردا حاكما . . .
 ولكنك رمزا لارادة شعب عرف الحضارة ونظام الحكم والدولة المستقرة
 فى الوقت الذى كان غيره من البشر ، يشاركون القروء شقيلتها على فروع
 الأشجار وسط الغابات . . . اثبت يا عبد الناصر . . . وثبت عبد الناصر . . .
 واستسلم راضيا لارادة الشعب . . . هذا يا سادة هو المعنى الحقيقى ليومى
 ٩ . ١٠ يونية . . . لقد اجتاز الشعب معكم محنة المواجهة السياسية مع
 الخصم المنتصر عسكريا . . . وواجبكم الآن أن تعوا هذا المعنى ، وأن
 تكشفوا بشجاعة الهزيمة ، لكى يعبر الشعب معكم هذه الأسباب الى نصر
 تقدر مصر ويقدر شعبها على تحقيقه . . . لو أعطيتموه الفرصة ليحققه ! ، .

وعن مشاعره الخاصة تجاه النكسة يقول :

« لا أستطيع أن أصف لك حقيقة مشاعرى يومها بأكثر من كلمة
 راحلة هي . . . اننى صعقت ! ! . . . أقولها ببساطة الانسان والمواطن
 العادى ، لا بخيال الكاتب أو الأديب الروائى . . . نعم تلك هي الحقيقة
 المجردة . لقد صعقت تماما يومها . . . عندما بدأت تتكشف أنباء الهزيمة
 الساحقة التى لحقت بنا . . . وأصبحت يومها بالذهول الكامل الذى شغل
 قدرتى حتى على البكاء كنوع من التنفيس السلبي عن النفس . . . وعندما
 زال عنى الذهول تحولت الى انسان عصبى لا يطاق سواء فى بيتى وسط
 أسرتى الصغيرة . . . أو فى مكنتى ومع زملائى والعاملين معى . . . كنت
 سريع الانفعال والغضب . ميالا للمشاكسة مع الآخرين ، وهى حالة
 ادركها وأعرف أسبابها تماما ، واذا كان علم النفس يعتبرها نوعا من
 النكوص العقلى والانفعال والارتداد الى مرحلة الطفولة ومشاغباتها ،
 مروباً من واقع أثبتت الحقيقة الرهيبية فشله . . . فاننى الآن - وحتى

أيامها - كنت أعرف السبب الحقيقي وراء هذا الموقف العصبي العنيف الذي كنت أجتازه ! .. لقد كان السبب في احساسى المضاعف يهول الهزيمة وبشاعتها .. اننى كنت واحدا من الكتاب الذين خدعوا ، كما خدع الشعب كله أيامها .. وأذكر أننى سألت أربعة من «كبار المسئولين» عن مدى استعدادنا خاصة بعد أن كشفنا صراحة عن قدرتنا على مواجهة أى تحرش اسرائيلى والرد عليه بقسوة رادعة .. وكانت اجابة الأربعة المسئولين الكبار .. واحدة : اطمئن تماما .. قوتنا العسكرية مستكملة تماما من جميع الوجوه . وفى جميع الميادين ..

« رغم تأكيد المسئولين الكبار .. فان مخاوف الفرد المدني تعاودنى ، عندما يدور الحديث عن احتمالات الحرب واندلاع القتال .. وألح لهم الى خوفى من حديثنا الصريح عن قوتنا العسكرية .. الذى وصل الى حد نشر صور لأحدث أنواع الأسلحة التى زودت بها قواتنا المتجهة لسيناء - قبيل الخامس من يونية ١٩٦٧ - وأنظر إليها فى رعب .. كيف سمحت الرقابة العسكرية بنشر مثل هذه الصور مشفوعة بساحتها من حقائق مكشوفة عن قواتنا المسلحة .. ألا يعتبر هذا لعبا بالنار !؟ .. ألا نخدم عدونا بمثل هذا الاعلام الساذج الذى يفوق فى سذاجته حديث نى قروية بسيطة عن ابنه - الذى يستعد للاطاحة بخصومه بالبطلة والنبوت .. ! .. ومن العجب أن أذكر أن رد الأربعة الكبار على مخاوفى هذه كانت السخرية المرحة من هذا الساذج - الذى هو أنا - الذى لا يعرف أن كل شئ محسوب حسابه ! .. ويصدق الساذج ما يقوله المسئولون غير السذج من تأكيدات فى حتمية النصر القادم .. ! .. وأكتب هذا بالفعل فى أخبار اليوم ، فى الأيام القليلة السابقة لليوم الأسود واطمئن المواطنين ، وأكاد - لولا الحياء - أن أطلب منهم شراء زجاجات الشرابات ، فى انتظار النصر القادم على سبيل التأكيد .. ويأتى يوم الاثنين الحزين - الخامس من يونية - فاذا بالنصر الذى لم نحسن اعداد العدة لاستقباله ، يتركنا غاضبا .. ويعبر القناة الى الضفة الأخرى ، ليستقر فى معسكر خصم دبر لاستقبال النصر فى صمت بالغ ، وذكاء لا بد من الاعتراف به حتى للعدو .. !

« .. وتوالى انباء الهزيمة المفجعة ساعة بعد ساعة ويضى الخامس من يونية ، ثم السادس .. وأذهب الى مكتبى يوم الأربعاء ٧ يونية عام ١٩٦٧ ، ويدخل على أحد رجال الدين الكبار ، ويرى ما أنا فيه من مرارة

الاحساس بالهزيمة .. فيحاول التخفيف عنى ، ولكن بطريقة خانها
التوفيق .. وأفاجأ به يقول :

– لا تثقل على نفسك بكل هذا الحزن .. فلعل ما تراه شراً كل
الشراً ، يحمل الينا خيراً لا نرى ضوءه الآن ونحن نتخبط في ظلام الهزيمة
المفاجئة !

– أى خير في الهزيمة يا مولانا ؟

– هل أتكلم بصراحة !؟

– تفضل .. ما هو الخير الذى تتصور أن تحمله الهزيمة التى لحقت
بنا ؟ ١٩ .. انها شر .. كررت الكلمة الأخيرة : شر .. شر .. وأنا أكاد
أصرخ ..

وكأنما استفز صراخى رجل الدين الكبير ، فاذا به يصرخ فى
وجهى بعنف : بل هى خير .. واسمعها منى صريحة !! ان الله الذى يحب
مصر وشعبها ، قد أراد انقاذنا بهذه الهزيمة العابرة مما هو شر من
الهزيمة .. ولكنه شر دائم !!

وذهلت من كلام الرجل .. كيف وهو العاقل المتزن .. ورجل الدين
المتفتح .. المثقف ثقافة شبه موسوعية .. الغيور على وطنه .. كيف
به وتلك بعض صفاته التى أعرفها عنه ويعرفها الجميع .. ثم يسمح
لسانه أن ينطق بهذا الالحاد الوطنى !؟

ولم ينتظر الشيخ الوقور لكى أنطق بالسؤال الذى طالعه فى عيني
الغاضبتين .. فقال :

– لا تظن بى كما يظن أولئك الذين لا يتورعون عن التصريح
بفجور .. ان الدين أفيون الشعوب !! ولا تثر بنفسك الشكوك حول
وطنيتى .. فأنت خير من يعرفها ، ويعرف دورى فى الحركة الوطنية قبل
الثورة .. وثق أن منطلقى فى قول ما قلت ، هو أن حب الوطن من
الإيمان .. وحبى الصادق يدفعنى الى أن أسألك بصراحة : ماذا يدريك
يا صديقى ، لو أننا كنا قد انتصرنا – كما أكد لنا الذين خدعونا – فان
الوضع كان سيستمر على ما هو عليه ، ولن ينقلب الى ما هو أسوأ مما نعانى
منه جميعاً من كبت الحريات العامة والخاصة ، والاعتداء على حرمان الجماعات
وكرامة الأفراد !؟

فد يكون كلامى مرا فى فمك ٠٠ ولكنها مرارة الحقيقة التى يفاجأ
الانسان بأنه لابد من مواجهتها ٠٠ كالدواء المر !!

وثرث ثورة عاتية فى وجه ضيفى الوقور ، ولم أتمالك نفسى عن
أن أقول بعصبية ، وبهجة تجاوز كل حدود المجاملة :

- ان كلامك هذا - حتى مع التسليم بشرف بواعثه - مرفوض تماما
يامولاي ٠٠ لأنك تفكر فيما نفذه الحديو توفيق بالفعل وجر به على مصر
وشعبها ، ويلات عانى الشعب منها أكثر من سبعين عاما ٠٠ !

وارتبك الرجل المسن ، وسألنى متلعثما :

- ماذا تقصد يا احسان !؟ ٠٠ أوضح أرجوك ٠٠

- ان احساسك بالرضا ا وتقبل هذه الهزيمة التى فرضت على
جيش مصر - وعلى شعبها قبل الجيش - يعنى أنك تعتبرها شرا عابرا
للخلاص من شر فيه احتمال الاستمرار ، وهو وضع سياسى انحرف
بالثورة عن مسارها الصحيح ٠٠ وهذا حل مرفوض تماما ٠٠ لأنه حل
أجنبى لمشكلة مصرية خالصة ٠٠ وهو نفس الخطأ الذى وقع فيه توفيق بك
اسماعيل عندما استعدى الانجليز على عربى ، لينقض عليه وعلى حركته
فى مهدها ٠٠ وأقولها لك بصراحة يا مولانا : ان الشعب المصرى بكل
أصالته يرفض تمام الرفض أن تحل مشاكله مع الذين انحرفوا بالثورة
عن مسارها الصحيح ، بواسطة حل تفرضه حراب جيش الدفاع
الاسرائيلى !! ولو فرضنا وساءت الأمور فى ميدان القتال الى الحد الذى
يمكن اسرائيل - مثلا - من املاء شروطها ٠٠ فانى على يقين من أن الشعب
المصرى ، قد يقبل أى شرط - تحت ضغط الواقع العسكرى - ولكننى على
يقين من أن هناك شرطا معيناً ، لن يقبله شعب مصر ٠٠ سيرفضه الجميع ٠٠
الرجال والنساء والأطفال ٠٠ حتى ذرات التراب المصرى الذى تشرب عرق
الأصالة المصرية سيثور احتجاجا على هذا الشرط لو انه طرح ٠٠ !

وأصيب ضيفى رجل الدين الوقور بما يشبه الدهول ٠٠ ! ٠٠

وسألنى :

- أى شرط هذا الذى تثق كل هذه الثقة من أن كل مصرى

سيرفضه هذا الرفض القاطع ؟ ٠٠

– اى محاولة للمساس بوضع الرئيس جمال عبد الناصر من السلطة

الحاكمة ١٩

– ومن اين جاءتك هذه الثقة ١٩

– من حركة التاريخ المسرى ٠٠ من عشرات المرات التي وقف فيها هذا الشعب ، ليرفض اى حل اجنبى لمشاكله الداخلية ٠٠ من مساندة فلاحى مصر البسطاء لعرابى فى مقاومته للانجليز الذين استعداهم توفيق للخلاص من عدوه اللدود ٠٠ تلك المقاومة التي بدت وقتها غير منطقية فى نظر المؤرخين الاجانب ٠٠ الذين لم يتعمقوا فى دراسة الشخصية المصرية !! « ٠٠

« لا تصورى مدى سعادتى وأنا أستمع الى هناف الآلاف بالعشرات والمئات ٠٠ وهى تهدر بالرفض القاطع لاستقالة عبد الناصر التي اذاعها يوم الجمعة ٩ يونيو ، متحملا وحده اوزار الهزيمة !! « ٠٠ كنت سعيدا لأن هذا الشعب أثبت أصالته وعراقتة ، حين رفض استقالة عبد الناصر ٠٠ وطالبه بأن يستمر فى موقعه حتى يقضى على أسباب الهزيمة ٠٠ لتكن هناك أخطاء ٠٠ بل وأخطاء قاتلة ، ولكن الشعب يرفض أن تصحح هذه الأخطاء بنحل اجنبى مفروض !! « ٠٠

« وشرعت على الفور فى الكتابة بصراحة ٠٠ أو كما يقولون : اللعب على المكشوف !! واذا كانت مراكز القوى قد رفعت وقتها شعارا زائفا سمته : « ازالة آثار العدوان !! « ٠٠ فقد رفضت هذا الشعار الوهمى المريض ٠٠ وكتبت فى أخبار اليوم ٠٠ قبل ازالة آثار العدوان يجب أن نزيل أسباب العدوان وأسباب الهزيمة أمام هذا العدوان ٠٠

« وطالبت فى « أخبار اليوم » بمواجهة صريحة مع النفس تنتهى بتحديد أسباب الهزيمة ٠٠ التي سموها من باب الخداع نكسة ٠٠ واذا استطاع الشعب أن يحدد أسباب الهزيمة ٠٠ واعتبر خصومى – من مراكز القوى – اننى اكتب مطالبا بالقضاء عليهم شخصيا ، لأن احساسهم بالذنب والجريمة فى حق الشعب وحق حرياته ، رسب فى أعماقهم الاحساس بأنهم صناع الهزيمة ٠٠ وبدأ بعض العقلاء ينصحوننى بالتخفيف من لغة مقالاتى فى أخبار اليوم ، ولكننى كنت مؤمنا بكل حرف كتبتة ، فلم أتوقف . بل طالبت صراحة – فى أحد مقالاتى – بأن النظام الذى تحمل مسئولية الهزيمة ، يجب أن يتحمل نتائجها ، ويحمل عبء حلها « ٠٠

٣١ - احسان ٠٠ والسادات

يقول أستاذنا احسان عبد القدوس :

« نربص لى خصومى حتى تمكنوا من طردى من أخبار اليوم عام ١٩٦٨ وكان محمود أمين العالم رئيسا لمجلس الادارة ، فأبلغنى بقرار تقلى الى روز اليوسف ٠٠ فثرت على هذه القرارات المتتالية والتي لا يمكن أن تصدر الا من طفل يعيث بمن حوله ٠٠ فرفضت أن أكون لعبة فى يده يطوحها حينما يشاء ٠٠ فقررت أن أمكث فى بيتى والامتناع نهائيا عن الكتابة !!

« لقد كنت واثقا من أن الضربة التالية ، بعد أن صدر القرار بطردى من الأخبار ، ستشير الى مدى أبعد ٠٠

« وقد تندهشين اذا عرفت مثلا أننى كنت أفكر - أحيانا - بصوت عال مع شريكة حياتى ، فى الأسلوب الذى سيتبعونه للخلاص منى ٠٠!٠٠ هل سيديسون لى السم فى الطعام؟! أم يتخلصون منى برصاصة طائشة فى الظلام!!؟ ٠٠ وظللت أعايش هذه الهواجس . أحيانا بشكل جاد فيما بينى وبين نفسى، وأحيانا بشكل ظاهره المرح والسخرية مع أصدقائى أو فى محيط أسرتى الصغيرة ٠٠ حتى كان اليسرم الذى لا أنساه يوم ٤ ابريل عام ١٩٦٨ ٠٠ ونزلت من شقتى بالعمارة التى أسكن بها بالجزيرة ٠٠ وفى الشارع الهادىء المطل على النيل ٠٠ وفجأة اندفعت

احدى السيارات بشكل جنونى ، وانحرفت عن مسارها ، متجهة نحوى
فى سرعة مخيفة ، نجحت فى شل تفكيرى وحركتى ، بحيث بقيت واقفا
مكاني . حتى حدث ما حدث !! . وكانت سرعة السيارة وقوة الضربة
كافيتين تماما للقضاء على قضاء كاملا . . . ولكن . . . كان للسماء رأى آخر .
يختلف عما دبروه . . . فأنقذت لأجد نفسى فى المستشفى مصابا باصابات
بالغة الخطورة . . . وظللت طريح الفراش بضعة أشهر .

« كان التحقيق فى الحادث المريب ، يتكشف عن أحداث غاية فى
العجب والغرابة . . .
يقول أستاذنا :

وحين أفقت فى المستشفى عقب أن صدمتني السيارة فى يوم
٤ ابريل عام ١٩٦٨ ولم أفق الا بعد ثلاثة عشر يوما ، وعلمت أن الجاني قد
قبض عليه !! . . . واتضح أنه شاب أجنبى عن مصر . . . وأنه المانى
الجنسية !! » . . .

واستطرد أستاذنا قائلا :

« لم أدرس القانون فى مطلع حياتى من باب العبث !! . . . ولهذا
فاننى أعجز عن معرفة من الجاني؟! وأنا اذ أعلن عجزى هذا . . . لا أظاهر
بالعدل مع خصومى . . . ولكنى أقرر حقيقة أو من بها فعلا . . . ورغم أن كل
الناس قد أجمعوا على أن الحادث هو حادث مدبر لقتلى الا أنى لم أجد دليلا
واحدا يقتضى بأنه حادث مدبر وان كان الشك بدأ يطوف بى عندما جاء
وقت محاكمة قائد السيارة الشاب الالمانى . . . فإذا به قد اختفى . . . سافر
الى بلده . . . رغم أن النيابة كانت قد أفرجت عنه بضمان . . . كيف استطاع
أن يهرب وهو فى ذمة النيابة . . . ورغم ذلك فانى الى اليوم أعتبر الحادث
قضاء وقدرًا رغم كل ما يقوله الناس . . .

. . . وتمر الأيام والشهور . . . ويأتى عام ١٩٦٩ ويصدر الزعيم
جمال عبد الناصر قرارا بأن يتولى أنور السادات مسئولية الاشراف
على أخبار اليوم وصحف أخرى ، فى حين يتولى على صبرى الاشراف على
الجمهورىة وصحف أخرى ، ويكون جمال عبد الناصر نفسه هو المشرف
على الأهرام . . . وكان أول ما قعله أنور السادات أن ذهب الى الأستاذ
احسان فى بيته وصحبه معه الى أخبار اليوم وأعادته رئيسا للتحريير . . .

ويبقى رئيسا للتحرير الى أن يتسولى أنور السادات رئاسة الجمهورية
فيختاره رئيسا لمجلس الادرة . .

ويأتى عام ١٩٧٣ ، حين أصدر الرئيس أنور السادات قراره
التاريخى بالعبور . . وكانت حرب أكتوبر المجيدة . .

وعن ذكرياته عن حرب رمضان يقول :

« على الرغم من أن الرئيس أنور السادات كان يؤكد لى عزمه على
خوض المعركة فى كل مرة التقى به خلالها ، الا أن ضخامة المشاكل التى
كانت تواجهنا قبل المعركة ، كانت تجعلنى أقف موقف الحيرة
والتساؤل . . كيف سيجتاز الرئيس السادات كل هذه المصاعب وهو
فى طريقه لاجتياز عقبة العقبات ١٩ . . ولكن توالى الأحداث أفنعنى
بالتدرج أن فلاح مصر الصبور الصموت أنور السادات ، ماضى فى
طريقه . . يقطع خطواته على الدرب الموصل فى صمت . . وعزم . . !
وقد كنت معه فى جميع الخطوات التى اتخذها . . ابتداء من ابعاد مراكز
القوى ، ثم ابعاد الخبراء الروس . . كنت متجاوبا معه فى سياسته ولم
يبدأ الخلاف بيننا الا بعد أن انتهت معركة ١٩٧٣ . .

ويظل الأستاذ احسان رئيسا لمجلس ادارة أخبار اليوم الى أن يفرج
عن الأستاذ مصطفى أمين عام ١٩٧٤ ، فيقوم من مقعده على الفور ليعود
لصاحبه الأصلي . .

قال لى الأستاذ احسان :

أذكر أنى فى عام ١٩٧١ طلبت من أنور السادات الافراج عن مصطفى
أمين . . أو على الأقل تحديد اقامته فى بيته . . ولكن أنور السادات رفض
بمئذ . . وقدرت رفضه على احتياجه لارضاء الروس . . ولكنه أفرج عن
مصطفى بعد ذلك بسنوات بعد أن لم يعد محتاجا الى الروس . . وقد دعيت
على الفور لمكتبه الذى غاب عنه تسع سنوات . . وكان مصطفى يمانع فى
البدابة ، ويقول أنه يكتفى بأن يكون كاتباً متفرغاً فى الأخبار ، ولكنى
قلت له : لا تضحك على نفسك يا مصطفى . . فانا أعلم بشعورك ، فقد
جربت أن أكون كاتباً فى مؤسسة كنت مالكاها . . الأمر صعب للغاية على
النفس يا مصطفى ، . .

ويستقيل الأستاذ احسان من رئاسة مجلس ادارة مؤسسة أخبار
اليوم عام ١٩٧٤ حتى يترك مكانه لمصطفى أو على أمين وينتقل لجريدة

الأهرام كاتباً متفرغاً بها بناء على طلبه الشخصي من الرئيس السادات إلى أن جاء عام ١٩٧٥ فأصدر قراراً بتعيينه رئيساً لمجلس إدارة الأهرام إلى أن اشتد الخلاف في الرأي السياسي بينهما عام ١٩٧٦ ، وقد كان الرئيس السادات ينصل دائماً بالأستاذ احسان بعد أن يلقي خطاباً ليسأله رأيه فيه . وفي خطابه الذي ألقاه في شهر مارس عام ١٩٧٦ كان لأستاذنا اعتراضات كثيرة عليه قالها للرئيس السادات وهو يحدثه في التليفون وقال له أني لن أكتب هذه الاعتراضات ولكن فقط أبلغها لك . ولكن الرئيس السادات طلب منه وأصر على أن يكتب اعتراضاته وفعلاً يكتبها الأستاذ احسان في الأهرام يوم ١٩ مارس ١٩٧٦ تحت عنوان « تساؤلات حول خطاب الرئيس السادات » قال فيه : « عندما تحدث الرئيس عن القوات المسلحة قال أنها « أحد عناصر تحالف قوى الشعب ولكن لا شك ان لها وضعها الخاص » وفي حدود هذا الوضع الخاص يقتصر دور القوات المسلحة على أمر واحد بالغ القيمة والأهمية وهو حماية الدستور والشرعية الدستورية » .

كيف تقوم القوات المسلحة بحماية الدستور ؟

هل معنى ذلك أن تتدخل القوات المسلحة سياسياً في تصرفات السلطة التنفيذية حتى تطمئن دائماً إلى أنها تصرفات دستورية . . .

وما هي حدود حماية الدستور ؟ . . . ومن الذي يأمر أو يطلب من القوات المسلحة أن تحكم مصر ، . . .

ويؤكد أستاذنا في هذا المقال أن الخوف على الدستور لا ينحصر في الانقلابات العسكرية بل أن الخوف على الدستور بالذات ينطلق أقوى من تعارض القوى والاتجاهات الشعبية وأن الدستور لا يمكن أن يقوم اعتماداً على حماية أو فرض إرادة القوات المسلحة وبالتالي فإن الجيش لا يحمي الدستور من مخالفة أو سن تعديل ولكنه يحميه فقط من الإلغاء أي أن القوات المسلحة مع أنها أحد عناصر قوى الشعب العامل ليس من حقها أن تحمل أي مسؤولية سياسية . . .

« أن حقها هو فقط حماية كيان الدولة القائم على الشرعية الدستورية والديمقراطية التي يعبر عنها الدستور لا تفرض حماية الدولة من الاعتداء الخارجي فحسب بل حمايتها أيضاً من الانهيار الداخلي ، وهذا هو ما حدث أخيراً في الهند عندما قامت ثورة شعبية تحت قيادة زعامات معترف بها واعتبرت أنديرا غاندي هذه الثورة خروجاً على الشرعية الدستورية لأنها

- أى هذه الثورة - كانت تستطيع أن تعبر عن أهدافها من خلال النظام الدستورى ٠٠ ولم تستطع أنديرا غاندى أن تقاوم هذه الثورة وأن تستمر بالنظام القائم الا اعتمادا على اتفاقها مع القوات المسلحة ، ٠٠

وبعد نشر هذا المقال بثلاثة أيام فوجيء بالرئيس يصدر قرارا بتعيينه مستشارا لجريدة الأهرام !! ٠٠ وقد غضب الأستاذ احسان من هذا القرار لا لأنه كان متمسكا برئاسة مجلس الادارة ولكن لأن الرئيس أصدر قراره دون أن يبلغه به مقدما بحكم الصداقة بينهما ٠٠ أى أن الرئيس عامل الأستاذ احسان بأسلوب رسمى لا بأسلوب الصديق ٠٠ ولذلك امتنع بعدها أستاذنا عن الاتصال بالرئيس السادات قائلا انه مادام الرئيس قرر أن يعامله بصفته الرسمية فهو وحده أصبح صاحب حق الاتصال ٠٠ أما هو فلا يمكن أن يتصل به الا كصديق ٠٠

وكان هذا المقال هو آخر مقال سياسى كتبه فى الأهرام وبعدها قرر عدم الكتابة السياسية فى الأهرام ٠٠

قد لا يعرف القارىء أن الأستاذ الكبير احسان عبد القدوس منع من الكتابة السياسية فى عهد الرئيس الراحل أنور السادات مرات عدة حتى أنه قرر فى النهاية عدم الكتابة السياسية فى الصحف المصرية ، واتجه بقلمه الحر الذى ظل يناضل من أجل اعلاء كلمة الحق ويكافح من أجل الحرية والديمقراطية ويزج به فى السجن مرات عديدة وهو ماضى فى طريقه هذا لا يلين ولا يخشى مؤامرات الاغتيال التى تعرض لها ٠٠ أبدا فبى لم تستطع أن تنال منه شيئا ولم تستطع أن تجعله يعيد عن فكره الحر الأبقى ٠٠ هذا القلم العفيف لا يجد له مكانا فى صحف بلده ويضطر للكتابة فى الصحف العربية ليكتب ما لا يستطيع أن يكتبه فى الصحف المصرية ، ويخسر المواطن المصرى الكثير من آرائه العظيمة والتى يكسبها المواطن العربى فى الوقت ذاته ٠٠ وأول مرة منع فيها من الكتابة فى عهد السادات حينما كان رئيسا لمؤسسة أخبار اليوم ٠٠ فقد كتب مقالا أوضح فيه حقيقة العقيد القذافى ٠٠ فهو لن يعطى أبدا فى سبيل مبدأ يؤمن به أو فى سبيل تحرير مصر والعرب أو فى سبيل هزيمة اسرائيل ٠٠ انه لن يعطى الا فى سبيل مطالب وأحلام خاصة به فى سبيل أن يصل الى حكم مصر ٠٠ فغضب القذافى من هذا المقال وحاول اغتيال كاتبنا - وهو ما أعلنه الرئيس السادات بعد القطيعة فى بيان رسمى ٠٠ ولكى يرضيه السادات منعه من الكتابة على الرغم من انه يؤيده تماما فيما كتبه ٠٠ وحينما ساءت العلاقات بينه وبين القذافى طلب منه أن

يعود للكتابة ويهاجم القذافي مرة أخرى ولكنه رفض ٠٠ فالكتاب لا يكتب
بقرار من الحاكم في عرف احسان عبد القدوس ٠٠

وحدث أيضا عندنا منع بابه الأسبوعي «على مقهى الشوارع السياسي»
في مجلة أكتوبر أكثر من مرة ، قرر عدم الكتابة في المجلة نهائيا ٠٠ في
نفس اليوم الذى قرر فيه ذلك جاءه رئيس تحرير المجلة وقال له : « ان
مقالتك الأسبوعية تعجب الملايين الا واحدا ٠٠ وأنا لا أستطيع تحدى هذا
الواحد ولا أقوى على غضبه !! ٠٠ وفي الحال أبلغه استاذنا بقراره
الذى أرضى رئيس التحرير وبالتالي أرضى هذا الواحد الذى لا يعجبه الآن
مقالته ، وهو الذى كان يؤمن ويؤيد كل كلمة يكتبها على مدار ثلاثين
عاما !! ٠٠

« كان أنور السادات يخطو خطواته بعد دراسة كاملة للواقع ووضع
كل الاحتمالات الواقعية المتى يمكن أن تصادف العملية التى يقوم بها ٠٠
ولو استعرضنا حياته منذ كان ضابطا صغيرا فى الجيش أيام الحرب
العالمية وكان الواقع يفرض عليه أن يتعامل مع الألمان حتى يحقق عن
طريقهم تحرير مصر من الانجليز ٠٠ وأقدم على عملية انتهت باعتقاله
وطرده من الجيش ٠٠ وأنور السادات كان مرتبطا منذ البداية بتشكيل
الضباط الأحرار ولكن الواقع القائم فى مصر كان يضم أكثر من تشكيل
ثورى مختلف الاتجاهات من أقصى اليمين الى أقصى اليسار وقد دفعه
هذا الواقع الى أن يعيش داخل هذه التشكيلات دون أن يعرف أحد الى
الى أى تشكيل ينتمى ٠ وكان يبقى فترة كأنه معتقل فى بيته ولكن
الواقع الذى كان يقدره السادات هو أن الثورة لا يمكن أن تستمر
الا بعبد الناصر لذلك استسلم لهذا الواقع وتعهد ألا يصل الخلاف بينهما
الى حد التخلي عنه أو الى حد أن يتخلى عنه عبد الناصر كما حدث مع
أغلبية أعضاء الثورة الذى لا يملكون قدرة أنور السادات فى التعامل
مع الواقع ٠٠

وعندما تولى الحكم كان على علم كامل بواقع مناطق وشخصيات
الثورة التى كانت تحيط بعبد الناصر ورغم ذلك لم يصدر قراره بالتخلص

منهم الا بعد أن سكت وصبر عاما ٠٠ ونجد نفس الشيء اتخذته تجاه واقع السياسة السوفيتية فهو على علم بواقع تعاملها مع مصر ومع ذلك حاول معها من جديد وتعالى الى حد أن وقع معاهدة مع روسيا لم يوقعها عبد الناصر الى أن دفعه اليأس الى الاستسلام للواقع واتخذ بروح الجراءة على تحقيق ما يقتنع به وروح المغامرة السياسية التي تعتبر من علامات طبيعة شخصيته ٠٠ اتخذ قراره بالتخلص من روسيا ٠٠

ومعركة ١٩٧٣ أيضا تمت في حدود الواقع الذي يقوم عليه دائما فكر أنور السادات فقد تم التخطيط والهدف في حدود الواقع العسكري والسياسي لمصر ٠٠ فقد كان الهدف المخطط هو استرداد قناة السويس والوصول الى ممرات مينا، ثم الاعتماد بعد ذلك على الحل السياسي ولذلك أعلن مشروع الصلح بعد ستة أيام فقط من بدء القتال وبعد أن كانت قواتنا قد وصلت الى الأهداف المحددة وهو ما توقعه وخطط له السادات ٠٠ وانحصرت المشكلة بين مصر واسرائيل في مفاوضات تحت قيادة أمريكا - وهذا فرض عليه في الواقع كسب ثقة وصداقة أمريكا واستطاع السادات أن يحقق رأيا على اسرائيل ٠٠ ان اسرائيل لا تريد السلام ، وقدر السادات واقع أن اسرائيل تعاني من عقدة كراهيتها للعرب وخوفها منهم ٠٠ ويجرأته السياسية التي تتميز بها شخصيته وقدرته على الاندفاع نحو المجهول قرر زيارة القدس على الرغم من أنه كان قد أعلن أنه اذا تم الصلح فلن يستطيع اقامة علاقات مع اسرائيل لأنه من جيل عانى ثلاثين عاما من اعتداءات اسرائيل وربما استطاع الجيل القادم الذي لم يعان هذه الاعتداءات أن يقيم علاقات مع اسرائيل ٠٠ ولكنه الواقع الذي يفرض هذا عليه ٠٠ وفي كأمب دافيد لا شك أن الرئيس السادات كان يريد أكثر مما استطاع أن يصل اليه ، واذا كان قد قبل ما يستطيع فليس معنى ذلك أنه يتنازل عما يريد ٠٠ انما اعترافه بالواقعية يجعله يخطو خطوة في سبيل الكسب وهو يفكر في الخطوة التالية ليكسب أكثر وقد كان السادات دائم التفكير في الخطوة التالية ٠٠ وهو بلا شك كان يتمنى أن تبقى مصر مرتبطة بالبلاد العربية ولكن الواقع كان يؤديه الى العقلية العربية لن تستطيع أن تفهم وتتجاوب مع المغامرات السياسية وفي الوقت نفسه كان واثقا أن مصر هي القوة التي يعتمد عليها العرب ولا يمكنهم الاستغناء عنها ٠٠ وقرر أنه مهما عارضه العرب ورفضوا خطواته فسيأتي اليوم الذي يقتنعون فيه بأن كل خطوة لصالح مستقبل العرب لا مستقبل

مصر وحدها .. وكان الأمل يكبر معه يوما بعد يوم حتى آخر أيامه مع حرسه الدائم ألا يضعف أو تضعف مصر لتصل الى اقتناع عربي مشترك ..

سألت الأستاذ احسان عن آخر لقاء تم بينه وبين الرئيس الراحل أنور السادات .. قال :

- في اجتماعه مع المجلس الأعلى للصحافة وكان قد مضى علينا خمس سنونات لم ير أحدنا الآخر ولم نتصل .. وكان حضوري مفاجأة له وللحاضرين .. فقد اعتقل ابني محمد منذ أيام قليلة .. وبعد أن انتهى الاجتماع اقترب مني مصافحا وكل منا ينظر الى الآخر كأنه يتأسف ويعتذر له .. قلت له : « اننى متفق مع ابني محمد على مبدأ حرية الرأي ومهما اختلفنا في الرأي فكل منا يحترم حرية الآخر في رأيه وصاحب الرأي يتحمل مسئولية رأيه .. وعندما وقع التحفظ عليه لم أسع للاتصال بك أو بأى انسان للافراج عنه .. تركته يتحمل المسئولية وأنا مطمئن الى أنه لن يتعرض الا لما تفرضه ظروف المرحلة .. وكلنا سبق ودخلنا السجن وتحملنا مسئولية آرائنا السياسية .. ! .. أن محمد صحفى ناجح بشهادة رؤسائه فى العمل وكل من عملوا معه ولكن نجاحه فى الصحافة لم يفنه ولم يبعده عن التعبير عن رأيه السياسى ، وأنا واثق أن كل آرائه السياسية ليس وراءها أهداف خاصة انما هو الرأى للرأى » ..

.. وذكركه عندما كان رئيسا لمجلس الأمة عام ١٩٦٨ وقامت مظاهرة جامعية معارضة واتجهت الى المجلس وما كاد يطل عليها من نافذة مكتبه حتى رأى ابني أحمد فى مقدمة المتظاهرين ، فترك نافذته فورا واتصل بى بالتليفون وحدثنى غاضبا لان ابني مشترك فى المظاهرة وقلت له يومها : ان لا أبى ولا أبوك كانا يوافقان على اشتراكنا فى الحياة السياسية ولكنها حرية الجيل الجديد ..

قد كان أنور السادات هو الذى أنقذ أحمد من الغرق فى البحر وهو صغير عام ١٩٥٣ وهو يحبه جدا حتى أنه قال : ان أغل قبله دفع ثمنها فى حياته هى قبله أنور السادات .. فقد دفع ثمن تذكرة طائرة من غرب أمريكا الى شرقها عندما ذهب السادات الى هناك فقط ليقبله !! ..

وعن اغتيال الرئيس السادات يقول الأستاذ احسان :

وأحسست أن مصر كلها وقعت فى حالة من الذهول وصل الى حد الجمود .. أنا نفسى عشت أياما فى هذا الذهول والجمود ولا أستطيع

ان أجد حتى الألم ليعيننى على احتمال الصدمة .. الصدمة التى تغلبت فيها المفاجأة على المستحيل .. كيف يغتال أنور السادات فى هذا اليوم بالذات ووسط هذا الحفل بالذات .. وبهذه الوسيلة بالذات ؟ .. ان السادات كان يعيش احتمال الاغتيال وكان يتخذ كل ما يمكن أن يصل اليه الفكر لحماية نفسه .. الدولة كلها كانت مجندة لحماية .. ولكن كل جرائم الاغتيال التى شهدتها التاريخ كانت تتغلب فيها المفاجأة على المستحيل .. والمستحيل هو التحكم فى ارادة الله .. والله وحده هو القادر على المستحيل .. وقد عودنا أنور السادات طول حياته على المفاجآت السياسية حتى اختار أن يكون موته مفاجأة سياسية ولكنها مفاجأة مفزعة .. مفاجأة لا تؤيده فيها .. وكنا نتمنى أن نرفضها قبل أن نواجه بها ..

ولم يستطع كاتبنا الكبير أن يكتب رثاء لأنور السادات .. ان قلبه دائما لا بغير عن دموعه ، فهو لم يكتب لأبيه رثاء .. ولم يستطع تشبيح جنازة أمه .. فقد ترك أنور السادات وحده يشيعها الى داخل قبرها وجرى هو هاربا بدموعه ..

وعن تقييمه لمرحلة حكم الرئيس أنور السادات يقول الأستاذ احسان :

« اننى أضعه فى الاطار الذى أضع فيه كل تاريخ مصر منذ بدء الثورة .. فقد تولى حكم مصر أربعة رؤساء أو من بأن كلا منهم قام بدوره ثم انتهى عندما انتهى هذا الدور .. فمحمد نجيب قام بدوره فى تقديم الثورة فى صورة أكثر جدية بدلا من أن تكون مجرد ثورة شباب .. وبعد ذلك قام جمال عبد الناصر بدوره فى تحقيق ما تفرضه الثورة فعلا ، أى فى هدم كل ما كان قائما قبل الثورة وبناء مجتمع جديد .. ثم انتهى دور جمال عبد الناصر .. وكان الوضع بعد هزيمة ٦٧ يحتاج الى شخصية جريئة ليست شخصية عادية فاختر الله أنور السادات واستطاع أن ينقل مصر من حالة الى حالة .. ثم انتهى دوره وأصبحت مصر فى حاجة الى شخصية لها مقومات أخرى تستطيع أن تضمن لمصر الأمن والأمان والاستقرار والعودة الى الانضباط وبناء المستقبل على أسس من العدالة الاجتماعية فاختر الله حسنى مبارك ..

حقا أن الله يحب مصر. ولذلك فمشاكلها تحل بالقدر .. فهو يتطور بها من مرحلة الى أخرى وهو سبحانه وتعالى يختار لكل مرحلة ما يناسبها من الرجال وأن يتحمل مسئوليتها ..

٣٢ - احسان ٠٠ والسلام

لقد كانت قضية فلسطين احدى القضايا الهامة التي شغلت فكر
استاذنا وجند لها قلمه وتعرض بسببها للاغتيال كما ذكرنا من قبل
وان ذلك كان بديهيا أن تكون له وجهة نظر في اتفاقية السلام ٠٠٠

وكاتبنا يرى اننا في مضر لا نزال نجتاز مرحلة التجارب أي اننا
نفقز فوق تجارب سياسية وفوق تجارب اقتصادية ، وفوق تجارب
اجتماعية ٠٠ وأخطر تجربة نعيشها هي تجربتنا مع اسرائيل ٠٠

يقول الأستاذ احسان عبد القدوس في كتابه خواطر سياسية :

« جربنا مبدأ ثابتا وهو ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ٠٠
رعشنا كل عمرنا نستعد للحرب ونحارب ٠٠ وقبل أن نسترد الأرض
قررنا أن نخوض تجربة جديدة مع اسرائيل ٠٠ تجربة السلم وظهر مبدأ
جديد يقول « ما أخذ بالقوة يسترد بالسلم » ولكننا عندما قررنا تجربة
السلم لم نضع للتجربة حدودا ثابتة أو أسلوبا ثابتا ، ولكننا وضعنا
التجربة نفسها في حقل من التجارب ٠٠ واسرائيل تعرف ذلك ٠٠ تعرف
اننا نتكلم بأسلوب التجربة ٠٠ لا بأسلوب الاصرار ٠٠ ولهذا فهي تجد
أن من السهل عليها أن ترفض كل تجربة ما دمنا على استعداد للخوض
في تجربة أخرى وأنا لا أقصد أننا نعرض المبادئ العامة للتجربة ٠٠ أي

أنا لا نجرب استعادة كل الأرض وأنا قد نرضى باسترداد بعض الأرض
.. لا .. لا أقصد ذلك .. ولكنني أقصد أسلوب التجربة في مفاوضة
اسرائيل .. نجرب هذا لعلها ترضى فإذا رفضت نجرب ذلك .. وهذا
هو ما يضعفنا أمام اسرائيل .. وهو أيضا ما يضعفنا ونحن بجانب
أمريكا ..

لذلك كان الأستاذ احسان يحدد دائما الصورة التي يجب أن يضعها
المفاوض المصري نصب عينيه على مائدة المفاوضات مع اسرائيل وهي ليست
صورة الدولة المعقدة بعقدة عدم الثقة بجيرانها العرب ، ولكنها الدولة
المعقدة بعقدة العظمة بالنسبة لنا نحن العرب وهذه العقدة لا يمكن نثرته
اسرائيل منها بالتفاوض والهدوء ..

وهو يرى أن زيارة السادات للقدس لم يكن هدفها الأول والأساسي
هو كسب اطمئنان حكام اسرائيل ولا حل العقدة النفسية بين العرب
واليهود ولكن الزيارة كان أساسها كسب اطمئنان أمريكا وتحليص
السياسة الأمريكية من العقد الذي كان يأسرهم بها سياسة اسرائيل
وادعاءات الصهيونية . ولولا هذا لكانت آثار المبادرة قد انتهت وانمحت
بعد شهور حتى يتحرر سياسة اسرائيل منها .. وحتى يتخلصوا من القوة
التي يشهرها السادات في وجوههم كصاحب دعوة للسلام ..

ومن ناحية أخرى يحلل كاتبنا ما أصاب العالم العربي من تمزق
وانهيار بأنه أثر عقدة سياسية أصبحت أقرب الى العقد النفسية المركبة
وهي عقدة « الوحدة العربية » .

يقول الأستاذ احسان في كتابه « خواطر سياسية » :

« الذي جعل من الوحدة عقدة هو أننا منذ بدأنا المناورة بها وحتى
اليوم نضعها في صورة واحدة هي « وحدة الحكم » ووحدة الحكم معناها
أن يكون هناك حاكم واحد اذا تحققت الوحدة بين بلدين أو أكثر .. فمن
يكون هذا الحاكم ؟ ومن ناحية أخرى فأننا أصبحنا نعتبر أي خطوة يمكن
أن تؤدي الى وحدة موفف كأنها مقدمة لوحدة الحكم أو لوحدة الزعامة »
هكذا المأساة التي جعلت العلاقات بين الدول العربية في الواقع علاقات
بين أشخاص الحكام .. لا علاقات بين مبادئ مشتركة ولا علاقات لحماية

د. ستيفن مشترك ولا حتى علاقات بين شعوب من عرق واحد .. انها علاقات تحكمها الصلات الشخصية بين الحكام » ..

وأستاذنا يعيش في الشارع السياسي بنبض رجله العادي وبفكر السياسي المحنك لذلك كان يشدركه أمله في أن تجتمع قوة العرب كلها في مواجهة قوة إسرائيل حتى يسهل على كارتر ترجيح القوة الأكبر ..

ولكنه بتحليل السياسي المحنك يجد استحالة حدوث مثل هذا الاجتماع لأن العلاقات القائمة بين الدول العربية بعضها وبعض تنعكس انعكاسا مباشرا على علاقة كل دولة بأمريكا وبالاتحاد السوفيتي ..

وكاتبنا أول من ردت تعبير الوجود الفلسطيني ولم يكن يعنى به مجرد حق إقامة مجموعة من الأفراد الفلسطينيين في بلد أو مكان ما فهو لا يعنى إقامة مدينة من الحيام تجمع اللاجئين من الفلسطينيين .. انما يقصد بالوجود الفلسطيني الشخصية الفلسطينية بكل مقومات الشخصية الوطنية الذاتية وهي الشخصية التي تحدد الكيان الفلسطيني المستقل .. المستقل كوجود حتى ولو لم يكن مستقلا بالأرض التي يقيم عليها .. كتب الأستاذ احسان عبد القدوس في جريدة الشرق الأوسط يوم ١١/٤/١٩٧٨ تحت عنوان « القنبلة الثالثة » يقول :

« قد كان أكبر خطأ وقع فيه المصير العربي هو تجاهل هذه الشخصية الفلسطينية المستقلة منذ بداية قرار التقسيم عندما رفضنا إقامة دولة فلسطينية في مواجهة دولة إسرائيل بحجة عدم الاعتراف بالتقسيم » ..

وهو يرى أن هذه الشخصية الفلسطينية عبرت تطورات متعددة وأحيانا متناقضة وهي تحاول أن تبحث عن نفسها وتقيم كيانها وانها برزت بشكل أقوى واستكملت عناصر جديدة عليها بعد عام ١٩٦٧ وهو يرجع ذلك للهيمنة التي لحقت بصر والأردن وسوريا وهي الدول التي تمثل نقط الارتكاز للقضية الفلسطينية فدفع الفلسطينيون الى التحرر من وهم القاء المسؤولية الكاملة على غيرهم وبدعوا يحملون أنفسهم هذه المسؤولية .. مسؤولية البحث عن الأرض والبحث عن المستقبل ..

وأستاذنا يحذرهم في كتابه خواطر سياسية فيقول أ

« ان اسرائيل عندما تحتفظ بالأرض فانها لا تكتفى بالاحتلال العسكري ولكنها تستوطنها .. وحتى تستوطن فان الشعب الحاكم يجب أن يكون شعبها وأغلبية السكان هي أغلبية شعبها .. وأن يكون الشعب الفلسطيني هو مجرد بقايا تاريخية لشعب كان يقيم هنا كشعب اذوبروجينز في استراليا أو كشعب الهنود الحمر في أمريكا » ..

ولكن ما هو تقييم استاذنا لاتفاقية السلام بين مصر واسرائيل ؟
كتب الأستاذ احسان يوم ١٩٧٨/٩/٢٧ أى بعد اتفاقتي كامب ديفيد في جريدة الشرق الأوسط يقول :

« اننى تعودت دائما أن أعنبر اسرائيل قوة استعمارية وتعودت ان أشبه الأحداث التي تجرى بيننا وبين اسرائيل بما كان يجرى بين مصر وبريطانيا أيام الاستعمار الانجيزى .. والدولة الاستعمارية لا يمكن أن تجلو بجيوشها دون أن تفرض شروطها ما دامت تنسحب بالمفاوضة لا بالهزيمة وفرض القوة .. وعندما قبلت بريطانيا الانسحاب من مصر عام ١٩٥٤ وقد انسحبت تحت ضغط أمريكا كما تنسحب اسرائيل اليوم اشترطت فى الاتفاقية التي قبنها ووقعها جمال عبد الناصر شروطا كثيرة كان من بينها حق العودة لاحتلال منطقة القنال بجيوشها اذا قام احتمال حرب أو اذا هددت الحدود التركية .. وقبل عبد الناصر افتراض أن تعود الجيوش الأجنبية لاحتلال مصر لأنه كان يضع قبل الافتراض تحقيق الجلاء الفعلي عن مصر وبعدها ننتظر الأحداث وقد حررت الأحداث مص من هذا القيد بعد اعتداء ١٩٥٦ وبعد تدخل أمريكا أيضا ..

ولا شك أن اتفاقية الجلاء الاسرائيلي عن سيناء تفرض شروطا تقييد حرية مصر .. كتقييد حرية توزيع ونقل القوات المصرية على أرض سيناء المصرية .. بل أن اشتراط التبادل الدبلوماسي والاقتصادي والثقافي كان لا يمكن أن يشترط للجلاء ورغم ذلك قبل السادات توقيع الاتفاقية كما سبق أن قبل عبد الناصر اتفاقية ١٩٥٤ .. فالهمم هو جلاء القوات الاسرائيلية عن الأرض المصرية وبعدها يحدث ما يحدث ..

وإذا طبقنا نفس المنطق الاستعماري على الاتفاقية الخاصة بالصفة الغربية وغزة لوجدنا انها أقرب الى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذي أصدره الانجليز وقرروا فيه الغاء الحماية البريطانية عن مصر والغاء الحكم العسكري ومنع مصر الاستقلال مع بقاء قوات الاحتلال ومع احتفاظ بريطانيا بمسئولية تأمين المواصلات والدفاع عن مصر وحماية المصالح الأجنبية .. وهذا مع الفارق الكبير .. فبريطانيا أصدرت تصريح ٢٨ فبراير من جانب

واحد أى بلا اتفاق كما حدث فى اسرائيل وربما كانت اسرائيل تعتمد
وهى تقبل الحكم الذاتى لأهالى الضفة وغزة على نفس ما اعتمدت عليه
بريطانيا عندما تركت مصر للحكم الذاتى ٠٠٠ فقد أشعل هذا الحكم
الذاتى المعارك بين القيادات والأحزاب المصرية مما خفف عن بريطانيا ثقل
الثورات الشعبية واستمر احتلالها لمصر بعد ذلك ثلاثين عاما ٠٠ لعل
اسرائيل أيضا تعتمد على ما يمكن أن يقع بين الفلسطينيين من خلافات
للسيطرة على الحكم الذاتى حتى تبقى ٠٠

المهم ٠٠٠ أن قبول هذه الاتفاقية الخاصة بالضفة وقطاع غزة لم يكن
نحفيقا لما يريده أى عربى ٠٠ ولكنه كان خطوة نقبلها تحت ضغط الأوضاع
التر يعيشها الفلسطينيون ٠٠

وكان من رأى أستاذنا أنه لو كنا أقمنا للضفة الغربية وغزة دولة
فلسطينية لثم فيها الجلاء كما تم عن سيناء ولذلك فهو يرى ما حدث على أنه
خطوة تتطلب جهدا كبيرا ووعيا سياسيا راقيا وتجردا عن الأهداف
الشخصية حتى تتحقق بعدها الخطوة التالية ٠٠٠

وهو يرى أن هناك معاهدتين ارتبطت بهما مصر اولاهما تعتبر
المعاهدة الرئيسية رغم أنها معاهدة غير مكتوبة وهى تلك التى تربط مصر
بالولايات المتحدة الأمريكية والعائد الذى تنتظره مصر من هذه المعاهدة
هو الاعتماد على قوة النفوذ الأمريكى بالنسبة لاسرائيل لتحقيق المطالب
القومية الخاصة بالأرض المحتلة ثم الاعتماد على الرخاء الأمريكى لتحقيق
الرخاء المصرى ٠٠ أما العائد الذى تنتظره أمريكا من هذه المعاهدة غير
المكتوبة فهو ضمان استقرار المنطقة تحت النفوذ الأمريكى ثم الاعتماد على
مصر كقوة ضاربة داخل المنطقة التى تربط افريقيا بآسيا ٠٠ فاذا لم
يتحقق هذا العائد تبخرت المعاهدة غير المكتوبة رغم مظاهر الصداقة والود
وتبادل القبلات التى تربط بين السادات وكارتر فقد كانت هذه المظاهر
أيضا تربط بين السادات يوما والرئيس السوفيتى بريجنيف وكان
يتبادل القبلات معه هو الآخر ٠٠ أما المعاهدة الثانية فهى معاهدة السلام
مع اسرائيل وقد تطلب اسرائيل عائدا لهذه المعاهدة لا تستطيع أن
تتحمله مصر الى حد قد بضع مصر فى موقع يفرض عليها أن تختار بين
موقفها من اسرائيل واحتفاظها بعروبتها أو يفرض عليها أن تختار بين
احتفاظها بالشخصية القوية أو قبول الشخصية الضعيفة ثمنا للسلام
ولذلك فإن العائد على مصر وعلى اسرائيل هو الذى يحدد مصير هذه

المعاهدة وهو يؤكد أن أمريكا لجأت الى عنصر الضغط على السادات ليقدم تنازلات .

وقد كان واثقا أن ما وصل اليه الرئيس السادات في اتفاقية السلام لم يكن كل ما يريده ولكنه كل ما استطاعه . .

ولهذا فهو يرى أنه لا يمكن السكوت والاستسلام لبنود هذه المعاهدة كان يطلب من الرأي العام المصرى - والعربى أيضا - الاصرار الدائم على تعديل بنود المعاهدة وبذلك يساند أنور السادات ما دام هو الآخر مصرا على هذا التعديل . .

يقول الأستاذ احسان :

« ربما كنت فى ذلك منأثرا بالتاريخ المصرى الحديث عندما وقع مصطفى النحاس باشا زعيم حزب الوفد معاهدة عام ١٩٣٦ مع بريطانيا والتي أسماها معاهدة الشرف والاستقلال رغم انها كانت تعترف بشرعية الاحتلال البريطانى لمنطقة السويس . . ثم بدأ الرأي العام المصرى يطالب بتعديل هذه المعاهدة وعندما فشل فى الوصول الى التعديل قام مصطفى النحاس نفسه وألقى المعاهدة التي كان قد سبق ووقعها وأسمائها معاهدة الشرف والاستقلال » . .

وقال أيامها « لقد وقعت المعاهدة باسم مصر وألغيتها باسم مصر » .

ومعاهدة الجلاء التي وقعها جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤ لا شك أنها حققت الجلاء العسكرى ولكنها لم تحقق الجلاء الاستراتيجى ولو بقيت حالة السلام مستمرة فى مصر بعد توقيع هذه المعاهدة لقام جمال عبد الناصر نفسه بتعديلها أو إلغائها وردد ما قاله مصطفى النحاس . .

ثم اتفاقية الانسحاب التي وقعت عقب الاعتداء الثلاثى عام ١٩٥٦ . . لقد تم الانسحاب فعلا ولكن الاتفاقية تركت عدة مواقع على أرض سيناء تحت سيطرة القوات الدولية وظلت هذه المواقع هى الحُدش الذى لا يلتئم فى الاحساس الوطنى المصرى بل أن بعض الدول العربية كانت تعاريف عبد الناصر بهذه المواقع وعبد الناصر نفسه كان يعانى هذا الاحساس الوطنى والثابت انه بدأ حملة عام ١٩٦٧ لتحرير سيناء . . وكان أول ما طالب به فعلا هو جلاء القوات الدولية عن سيناء وقد خانه التقدير أو خسر اللعبة واحتلت القوات الاسرائيلية كل سيناء .

كتب أستاذنا في جريدة الشرق الأوسط يوم ٣ يوليو ١٩٧٩ مقالاً تحت عنوان « ما رأيك في المستقبل !!؟ » يقول فيه :

« لا يمكن أن تستمر معاهدة الا اذا كانت معاهدة لا تتعارض مع الوضع الطبيعي للوطن والدولة .. ومعاهدة السلام مع اسرائيل تحقق بعد أن يتم تنفيذها جلاء القوات الاسرائيلية فعلا عن سيناء وتحقق فعلا استمرار السلام ولكنها لا تحقق الوضع الطبيعي الذي تصر عليه على ان تصل اليه وتعيشه ..

وقد تمر خمس سنوات أو عشر أو عشرون وقد لا تبدأ الحرب أبدا بين مصر واسرائيل ولكن سنبقى هذه المعاهدة هي عقدة العلاقات الطبيعية وعقدة استكمال الوضع المصرى الطبيعي الكامل الى أن يتم تعديلها أو الغائها ..

وفى الوقت نفسه فان اسرائيل تعتقد أن هذه المعاهدة لا تحقق الوضع الذى تريده لنفسها .. وهناك جانب من العقلية الاسرائيلية عبر عنه رئيس دولة اسرائيل فى خطابه الذى ألقاه فى بير سبع أمام الرئيس السادات عندما قال أن اسرائيل تعتبر أنها تنازلت عن سيناء لمصر .. أى أن اسرائيل لم تعد الحق الى أصحابه ولكنها تنازلت عن حقها للغريب .. والاحساس بالتنازل لا يمكن أن يهدأ أبدا انما يبقى دائما عاملا لمحاولة استرداد ما تنازلت عنه الدولة .. »

وكاتبنا يؤكد، أن اسرائيل فى مفاوضات الحكم الذاتى تعود الى كل الاتجاه الصهيونى فى كامل نواحيه وقد أثارت فى هذه المفاوضات عنصرين :

العنصر الأول - تحديد موقف أمريكا بحيث لا تكون شريكا كاملا إنما هى مجرد صديق يبدى الرأى .

العنصر الثانى - الاعتماد فى المناقشات على الدعاوى التاريخية التى تنسب الأرض الى ملكية اسرائيل .

وهذان العنصران اللذان يسيطران على العقلية الاسرائيلية لا يهددان الضفة الغربية وقطاع غزة فحسب ولكنها أيضا يهددان مصير المعاهدة المصرية الاسرائيلية .. وقد قامت المعاهدة على أساس المشاركة الكاملة لأمريكا فى مسئولية تحقيق هذه المعاهدة والاستمرار

بها .. وبمعنى أكثر صراحة قامت هذه المعاهدة تحت حماية أمريكا ..
فاذا ألغت إسرائيل مشاركة أمريكا في المسئولية .. فأى قوة يمكن أن
تفرض احترام هذه المعاهدة والاستمرار بها فوق القوة الذاتية لكل من
مصر وإسرائيل .. ثم إن هذه المعاهدة قامت على أساس قرار مجلس
الأمن ٢٤٢ الذى يعتبر الأرض التى استولت عليها إسرائيل أرضاً
معتدياً عليها .. أرضاً اغتصبها قوات إسرائيل .. أى أن قرار مجلس
الأمن لا يعترف بادعاءات إسرائيل التاريخية التى تعتبر الأرض ملكاً لها
من النيل إلى الفرات .. فإذا عادت إسرائيل وتمسكت بادعاءاتها
التاريخية .. ثم استطاعت أن تطبق هذه الادعاءات على الضفة الغربية
وقطاع غزة .. فمن يضمن لنا ألا تعود إسرائيل وتمد هذه الادعاءات
فوق سيناء رغم المعاهدة .. معاهدة السلام !!

وأستاذنا يرى أن أضعف ما فى اتفاقيتي كامب دافيد انهما
يفترضان حسن النية فى كلا الطرفين ولهذا فهما تتركبان مجالات واسعة
بلا حل اعتماداً على أن كل شيء يمكن أن ينتهى إلى حل ما دامت النية
الجسنة متوفرة وقد شبههما ببجرتين تعوم فوقهما الكلمات دون أن نرى
ما تحتهما ..

يقول الأستاذ احسان فى كتابه خواطر سياسية تحت عنوان
« السلام لن يكون أبداً أكثر من مرحلة » :

« .. ونيات إسرائيل التى كشفت عنها هى أن عملية السلام
بالنسبة لها هى عملية مرحلية يجب أن تقتصر على تنازلات ضيقة فى
مجالات محدودة . ولهذا كان كل ما قدمته حتى وافقت عليه مصر يعبر
عن مرحلية أهدافها .. أى انها ترسم لمرحلة قد تستمر عشر سنوات
أو عشرين سنة ثم تنتهى ..

ولهذا فهو يرى أن ما وصلت إليه مصر هو مرحلة من مراحل
السلام .. مجرد مرحلة ..

وفى مقال له بجريدة الشرق الأوسط تجده يعقد مقارنة بين ثورة
١٩١٩ وحرب أكتوبر كاستلوب للتعامل مع الدول المصابة بمرض العظمة
فإن ثورة ١٩١٩ لم تكن كافية لشفاء المريض بل ظلت ثورة مستمرة إلى
أن يتحقق الجلاء مع تعدد صور استمرارها وكذلك حرب أكتوبر .. بحسب
أن تبقى حرباً مستمرة إلى أن يتحقق الجلاء .. مع تعدد صور
استمرارها ..

وأستاذنا - كمفكر نادر تنطلق آراؤه دائما من المبادئ التي يؤمن بها - عاش طوال الاحتلال الأجنبي مع أنصار جناح الرفض على اعتبار أن هناك جناحين .. جناح يؤمن بأن يحصل على كل شيء أو لا شيء .. وجناح يؤمن بأن شيئا خيرا من لا شيء .. وإن التقدم خطوة خطوة أجدى من الوقوف بلا خطوات .. وهو الجناح الذي يؤمن بالمعاهدات حتى لو كانت معاهدات ناقصة لأنه يؤمن بأن المعاهدة تفتح مجالا جديدا أوسع للحركة الوطنية بحيث تستطيع أن تتطور بهذه المعاهدة الى أن تستكمل كل الحقوق الوطنية .. وكل جناح منهما يكمل الآخر .. جناح الرفض وجناح التطور .. بحيث تبقى الحركة الوطنية دائما مستمرة يدفعها الرفض ويتقدم بها التطور .. فلا تتجمد ولا نستسلم لوضع ناقص ..

يقول الأستاذ احسان :

« على الرغم من أنني لا أثق كثيرا في اجتماعات مؤتمرات القمة ولا أنتظر الكثير من نتائجها .. إلا أنني كنت أتمنى أن يجتمع مؤتمر قمة عربي في أيام المفاوضات بين مصر واسرائيل لأن وحدة الموقف العربي على أي مستوى تعتبر عنصرا قويا يمكن أن تعتمد عليه مصر في مفاوضاتها مع اسرائيل ومع أمريكا .. حتى لو كانت هذه الوحدة تمثل الرفض فإن الرفض هنا يمثل قوة للمفاوض كالتأييد » ..

واسرائيل ترفض وضع المعاهدة بينها وبين مصر في مستوى بقية المعاهدات التي ترتبط بها كلتا الدولتين وهذا الرفض يحلله أستاذنا على أنه اصرار من جانبها على أن تفرض شروط المنتصر .. فهي تفكر بعقلية القوة الأعظم وهي العقلية التي تستمد منطقتها من أنها عقلية القوة التي لا تزال تحتل الأرض العربية وأن القوة الوحيدة التي تعترف بها اسرائيل هي قوة أمريكا كدولة عظمى وعلى هذا الأساس فإن اسرائيل تفكر وتتصرف على انها تفاوض أمريكا لا مصر وكل ما تقبله أو ترفضه هو نتيجة لموقف أمريكا لا نتيجة لموقف مصر .. وهي بهذه العقلية المغرورة لا تريد المعاهدة مع مصر لتعيش السلام ولكنها تريد هذه المعاهدة لتصبح بها أكثر قوة ولترتفع بها على سلم التوازن العسكري .

يقول الأستاذ احسان في كتابه خواطر سياسية :

« اذا راجعنا بنود اتفاقية السلام بين مصر واسرائيل كما هي فاننا نجد أنها بكل بنودها لا يمكن أن تكون أكثر من اتفاقية هدنة .. واذا تعمدنا أن نجد فارقا بين الهدنة التي ستعقب الاتفاقية والهدنة القائمة

حاليا فيمكن أن نقول اننا كنا في هدنة مسلحة وأصبحنا في هدنة غير مسلحة .. انما هي بحكم المنطق القانوني والدولي لا يمكن أن تزيد على اتفافية هدنة .. والواقع أن اسرائيل تؤمن بأن السلام لا يمكن أن يحقق لها الأمن وانها لكي تضمن أمنها يجب أن تعيش دائما في حالة حرب وحتى تبقى حالة الحرب فهي قد تقبل الهدنة ولا تقبل السلام .. وكل الشروط التي تضعها هي شروط انهذنة لا شروط السلام ..

وهذا ما يجب أن نعترف به .. وأشرف لنا أن نعيش في هدنة واقعية من أن نعيش في سلام كاذب ، ..

وهو يرى أن كل ما استطاعت هذه المعاهدة أن تصل اليه هو حل منفرد وهو ما تتمسك به اسرائيل لأنه يوازي انتصارا عسكريا أبعد من انتصارها عام ١٩٦٧ .

ولذلك فاستاذنا يرى برؤية المفكر السياسي الواعي الدارس لأبعاد المشكلة كلها من زواياها المختلفة أن السلام لن يكون أبدا أكثر من مرحلة .. فهو يرى أن لاسرائيل مطالب كثيرة .. بعضها يمكن تأجيلها الى مرحلة أخرى .. وهي مطالب أقرب الى الأحلام .. كتحقيق حلم اسرائيل الكبرى الذي يمتد من النيل الى الفرات وهو حلم لاينكره أحد في اسرائيل .. ولكن الذي لا يمكن تأجيل التنازل عنه هو الحلم الذي أصبح واقعا .. الحلم بأن تكون حدود اسرائيل هي نهر الأردن وأن تكون القدس هي العاصمة !!

كتب الأستاذ احسان في جريدة الشرق الأوسط يوم ١٩٧٩/٥/٨ تحت عنوان « أول ما يهدد المعاهدة بين مصر واسرائيل » يقول :

« هناك موضوع أثارته اسرائيل ضد مصر ولم ينتبه اليه الكثيرون ولم يحاولوا أن يصلوا الى ما وراءه ولا الى أعماقه والموضوع هو تسليح مصر .. أدلى مناحم بيجن بتصريح علني قال فيه أنه لا يوافق على أن تقوم الولايات المتحدة بتزويد مصر بالسلاح .. لأن مصر لم تعد في حاجة الى سلاح !! .. وأن مصر لم تكن في حالة حرب الامع اسرائيل وبما أن معاهدة السلام قد وقعت ولم تعد مصر في حالة حرب وليس لها أعداء تحاربهم فهي ليست في حاجة الى سلاح حرب - كما يقول بيجن - بعكس حالة اسرائيل التي لا تزان في حاجة الى سلاح لأنها لا تزال في حالة حرب مع باقي الدول العربية » ..

وخطورة هذا المنطق كما يقول الأستاذ احسان ليس فيما يمكن ان ينتهى اليه من مدى اتقياد السياسة الأمريكية اليه ولكن خطورته في تحديد موقف اسرائيل من قضية السلام .. انه منطق يؤكد أن العقلية الاسرائيلية تفترض أنه لا يكفى لضمان السلام مع مصر والحفاظ على أمنها أن يفصل بينها وبين أى قوات مصرية منطقة منزوعة السلاح توازى مساحتها ما يزيد على مساحة ثلاثة أرباع أرض سيناء ولكنها تريد حتى تضمن السلام والأمن أن تكون مصر كلها دولة منزوعة السلاح .. وهذا هو الخطر الذى يهدد مصر .

٣٣ - احسان مفكرا مستقلا

سالت أستاذنا عن الفرق بين الرئيس الراحل أنور السادات والرئيس حسنى مبارك ..

فقال :

« هو الفرق بين جيل وجيل فانا مقتنع - وهو مجرد اقتناع نظرى - بأنه مهما تقاربت الأجيال فإن هناك فارقا فى شخصية كل جيل عن الجيل الذى سبقه وهو الشخصية التى يقوم عليها طابع الحكم ..

والحكم لا يقوم على مجرد المبادئ السياسية والاقتصادية والاجتماعية العامة .. ولا على مجرد الخطوط الرئيسية التى تقوم عليها هذه المبادئ .. ولكن الحكم يكتسب شخصيته بأسلوب تحقيق هذه المبادئ وتطبيق هذه الخطوط .. وهذا الأسلوب هو ما يختلف فيه حاكم عن حاكم آخر .. ويختلف فيه جيل عن جيل أى قد يتفق الجيل الحاكم من الجيل الذى سبقه فى المبادئ وفى الخطوط ولكنه يختلف معه فى الأسلوب ..

وهذا هو الفارق الكبير بين الجيل الذى يمثله جمال عبد الناصر وأنور السادات والجيل الذى يحكم اليوم ويمثله حسنى مبارك .. فالجيل السابق لم يكن يؤمن بمبادئ ولا بخطوط الجيل الذى سبقه .. فكان جيل ثورة أما الجيل الحالى .. الجيل الحاكم .. فهو جيل متجاوب مع الجيل الذى سبقه فى المبادئ والأهداف والخطوط أى انه جيل استمرار وتقدم ..

والأستاذ احسان يرى أن طبيعة الجيل الذى قام بثورة ٢٣ يوليو تميز بالعنف الوطنى والسياسى مع تدرج مستوى العنف من نشر آراء الرفض فى الصحف التى كانت حرة أيامها الى تكوين التنظيمات السرية وتدمير المظاهرات الرافضة ، الى حد القيام بعمليات الاغتيال ٠٠ ولأنه جيل رافض لكل ما هو قائم من الاخلال البريطانى والملكية وتعدد الأحزاب والاقطاع الزراعى ، فقد بدأت الثورة بالهدف المطلق ليس هدم المبادئ والنظم فحسب بل وأيضا هدم كل الشخصيات التى كانت قائمة ٠٠ ثم انتقلت الثورة كأي ثورة من حالة هدم ما كان قائما الى حالة حماية نفسها وهى لا تزال فى بدايتها فاستمر الهدم والعنف حتى شمل التنظيمات الثورية والتى اشتركت فى الثورة ٠٠

كتب الأستاذ احسان فى جريدة الشرق الأوسط يوم ٢٠/١٠/٨١

يقول :

« ان الشخصية الثورية ميزت أفراد الجيل السابق بالقدرة على المغامرة ٠٠ مغامرات لا يمكن أن يقدم عليها أى مسئول سياسى عادى ٠٠ فتأميم قناة السويس كان مغامرة ٠٠ والانتقال من الغرب الأمريكى الى الشرق السوفيتى كان مغامرة ٠٠ وحرب اليمن كانت مغامرة ٠٠ والانتقال بالاقتصاد المصرى كان مغامرة ٠٠٠ و ٠٠٠ كلها مغامرات تقسوم على الاندفاع الثورى المنطلق من شخصية ثورية تسعى الى تحقيق أهداف ثورية ٠٠ وكان هلكا ما يعيشه جيل عبد الناصر ثم ما عاشه نفس الجيل مع أنور السادات ٠٠ ورغم اختلاف الأسلوب بين عبد الناصر والسادات الا أن الشخصية الثورية كانت واحدة ٠٠

أما الجيل الحاكم الجديد فى رأى كاتبنا هو الجيل الذى استكمل بناء شخصيته السياسية والوطنية بعد معاصرته للثورة وهو فى أوائل العشرينات من عمره وهذا ما يجعله متميزا بعناصر متعددة من عناصر تكوين الشخصية ٠٠ انه أكثر احساسا بمجتمع ما بعد الثورة كمجتمع واقعى مستقر ومستمر أى أنه لم يعد يقدر هذا المجتمع كمجتمع ثورى ولكنه مجتمع طبيعى تقليدى كالمجتمع فى بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا أو روسيا ٠٠ أو ٠٠ وبالتالي فهو لا يفكر فى النظم السياسية التى كانت قائمة قبل الثورة ولا يخافها ولا يحسب حسابها لأنه لم يعيش هذه النظم وكل فكره السياسى يبدأ بعد الثورة ٠٠

يقول أستاذنا احسان عبد القدوس :

« لا شك أن الجيل الحاكم الجديد يؤمن ايماناً جازماً بالمجتمع السياسي الذي أعقب ثورة ٢٣ يوليو وبالنظم السياسية التي تطورت داخل هذا المجتمع لأنه المجتمع والنظم التي نما فيها واستكمل شخصيته ولكنه في نفس الوقت ولأنه لم يكن مسئولاً مستولاً كاملة عن هذا المجتمع وهذه النظم فلا شك أنه كان يحس بالأخطاء وأوجه النقص بل وبما في مظاهر الحكم من شوائب مما قد يدفعه الى محاولة تصحيح هذه الأخطاء وتغطية هذا النقص ، والتخلص من هذه الشوائب » ..

★ ★ ★

وبعد

بعد هذه الرحلة الطويلة التي قضيناها نتجول في فكر كاتبنا ..
الا ترى معنى أن الأستاذ احسان عبد القدوس يتمتع باستقلال فكري ..
وهو غير آسف على هذا الاستقلال الفكري .. رغم كل ما عاناه - سواء قبل الثورة أو بعدها - لأن هذه طبيعته .. والانسان لا يتخلى عن طبيعته اذا كان وفيها لها حقاً .. واذا كان شاعرا بالفعل أنها جزء من أصلته وشخصيته ..

يقول أستاذنا احسان :

« فى سبيل تحقيق استقلالى الفكرى والحفاظ عليه ، رفضت طوال عمري الانتماء الى أى حزب سياسى أو الى أى جماعة سياسية ، بل كنت أرفض الارتباط بصداقة شخصية ان أخذت لونا سياسيا .. جمال عبد الناصر كان صديقى قبل الثورة واختلفت معه رغم صداقتنا وظلت الصداقة رغم الخلاف فى الرأى .. حرية الرأى هى الركيزة الأساسية التى تقوم عليها شخصيتى الأساسية .. وحرية الرأى فى تصورى فوق المعارضة وفوق التأييد .. فأنا أعتبر اننى حر الى درجة اننى قد أؤيد ثم أعارض ثم أؤيد لأن الرأى ينطلق من حالة معينة ومن وضع معين .. فقد أؤيد الحاكم فى ناحية وأعارضه فى ناحية أخرى .. فعلى الرغم من اعجابى الكامل بالرئيس السادات اعجاباً نجم عن تجربة متصلة لأكثر من ثلاثين عاما وربطت بيننا صداقة رائعة امتدت طوال هذه المدة دون أن تخفت أبداً رغم أننا كنا قد تباعدنا فى السنوات الأخيرة .. ولكنها لم تكن المرة الأولى التى نتباعد فيها .. وهو دائماً تباعد تفرضه ظروف سياسية .. وكانت صداقتنا فوق السياسية وأقوى مما تفرضه السياسة

حتى ونحن متباعدون .. ودغم كل ذلك فقد بقيت في عهده محتفظا
باستقلال الفكرى ولم أتحوّل أنا الى تابع يعبر عنه وينطق باسمه ..
مسئوليّاته ليست مسئوليّتي .. اننا متفقون فى الرأى ولكننى كنت
أعبر عما لا يستطيع أنور السادات كمستول من تحقيقه .. ولكننى واثق
انه كان معى ، لأن ما لم يتحقق اليوم يجب أن نصر عليه حتى يتحقق
غدا ، ..

فالرئيس الراحل أنور السادات والأستاذ احسان عبد القدوس
كانا يسعيان لهدف واحد يجمعهما ، الا أنهما يختلفان فى مسئولية كل
منهما لتحقيق هذا الهدف .. الرئيس السادات مسئول مسئولية
تنفيذية .. أى القيام عملياً بكل ما يخطر على باله لتحقيق مطالب
الثورة .. والأستاذ احسان كائى كاتب تنحصر مسئوليّته فى نشر
الدعوى .. أى نشر الرأى .. والمسئول التنفيذى من الطبيعى أن يرتبط
بالواقع ويخطو خطواته داخل هذا الواقع سواء لهدمه أو لاستكمال
بنائه .. أما صاحب الرأى فقد يتجاهل الواقع ولا يحسب حسابه لأنه
ليس مسئولاً عن تنفيذ رأيه ، بل قد يكون رأياً يعبر به عن مجرد أحلام
تنطلق من المبادئ التى يؤمن بها .. وخير دليل على صحة كلامنا ما قاله
الرئيس السادات فى حديث له بمجلة الحوادث اللبنانية عقب توليه
الرئاسة « الانسان الوحيد الذى فكره السياسى يلتقى مع فكرى السياسى
هو احسان عبد القدوس » ..

ويختتم الأستاذ احسان عبد القدوس كلامه معى قائلا :

« اسمعى يا ابنتى .. اننى أشعر بعد موت أنور السادات وكان
آخر من تحمل مسئولية حكم مصر من بين جيلنا .. الجيل الذى مهد لثورة
٢٣ يوليو وقام واستمر بها حتى اليوم .. أحس كائى أنا أيضاً قد انتهت
مسئوليّتى ككاتب .. كل جيلنا قد انتهت مسئوليّته وتحملها عنه الجيل
التالى الذى كان السادات يسميه جيل أكتوبر .. جيلك يا فتاتى
.. فقد أن الأوان أن أستريح » ..

.. ولكن كيف يستريح والثورة ما زالت مستمرة ؟ .. ان دوره
لم ينته بعد .. والقلم الحى لا يستريح أبداً .. فهو فى ضراع دائم مع
لظمن ومع تقلبات الحياة التى لا تنتهى .. ومما لا شك فيه أن دور
أستاذنا احسان عبد القدوس مع جيل أكتوبر لا يقل أهمية عن دوره مع
جيل ثورة يوليو .. فهو كاتب متحرر من قيود التبعية .. وما أحوجنا

الى هذا الآن ٠٠ فهو يكتب ما يراه صوابا وما يؤمن به ٠٠ ونحن أشد ما نكون
حاجة لهذه الآراء ٠٠

فالقلم المعطاء الذى يغذى وجدان الناس ويعلم أعلام الشباب لا يمكن
أن ينتهى دوره أبدا ٠٠

والقلم المتوهج الذى فجر عشرات القضايا لا يمكن أن ينطفىء
أبدا ٠٠

والقلم الأبى الذى لا يخشى أحدا غير خالقه لا يمكن أن ينكسر
أبدا ٠٠

ولذلك فان قلم احسان عبد القدوس أقوى من أن تقصفه
السنون ٠٠

فهرس

- احسان عبد القدوس .. أستاذنا ٣
- احسان عبد القدوس .. الانسان ٩
- ١ - احسان .. والمتناقضات ١١
- ٢ - احسان في بيت نعمات هانم ١٦
- ٣ - احسان في بيت فاطمة اليوسف ١٩
- ٤ - لولا حبي الاول والآخر ٢٢
- ٥ - احسان والزواج الزائف ٢٦
- ٦ - احسان وتجارة الأرز ٢٩
- احسان عبد القدوس .. الأديب ٣٥
- ١ - احسان يقرأ القرآن ٣٦
- ٢ - احسان متهما في مجلس الأمة ٤٨
- ٣ - عبد الناصر يعترض على البنات والصيف ٥٤
- ٤ احسان .. والمرأة ٥٩
- احسان عبد القدوس .. السياسي ٦٣
- وقفة ٦٤
- ١ - احسان لرئيس الوزراء : أمي بنسلم على سعادتك
وبتقولك عاوزه شوية أخبار ٦٧
- ٢ - احسان في سجن الأجانب ٧٠

- ٣ - احسان ٠٠ والوصايا العشر ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٧٥
- ٤ - احسان والاخوان المسلمون ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٨٠
- ٥ - احسان الشيعى رقم ١ فى مصر ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٨٣
- ٦ - فى بيننا رجل ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٨٩
- ٧ - احسان ٠٠ والأسلحة الفاسدة ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٩٧
- ٨ - احسان امام النائب العام ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١٠٣
- ٩ - القدر ينقذ احسان من الاغتيال مرارا ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١٠٨
- ١٠ - احسان مخبر سرى ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١١٣
- ١١ - احسان يقول : كان هناك فساد ٠٠ وكانت هناك
أسلحة فاسدة ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١١٨
- ١٢ - احسان يجبر حيدر باشا على تقديم استقالته ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١٢٠
- ١٣ - احسان يؤيد ٠٠ ويهاجم النحاس باشا ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١٢٩
- ١٤ - احسان موردا للسلاح ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١٣٧
- ١٥ - على ماهر رئيسا لأول وزارة بعد الثورة ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١٤٢
- ١٦ - احسان ٠٠ والملك فاروق ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١٥٠
- ١٧ - احسان وتحديد الملكية الزراعية ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١٥٦
- ١٨ - احسان وعلان الجمهورية ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١٦٠
- ١٩ - احسان والأحكام العرفية ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١٦٥
- ٢٠ - احسان ٠٠ والعدوان على السنهورى ٠٠ ودفاعه
عن الديمقراطية النيابية ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١٧١
- ٢١ - احسان يكتب : الجمعية السرية التى تحكم مصر ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١٧٩
- ٢٢ - احسان فى السجن الحربى ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١٨٤
- ٢٣ - احسان فى الزنزانة رقم ١٩ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١٨٨

- ٢٤ - فاطمة اليوسف تقول لعبد الناصر : الحرية هي
الرثة الوحيدة التي يتنفس بها الشعب .. انك
في حاجة الى الحلاف تماما .. كحاجتك الى الاتحاد ١٩٣
- ٢٥ - فاطمة اليوسف لقادة الثورة : لن اكتب حرفا
واحدا عنكم .. حتى لو اعدتمم ولدى . . . ١٩٨
- ٢٦ - عبد الناصر .. واحسان .. وجهها لوجه . . . ٢٠٢
- ٢٧ - مرة أخرى في السجن الحربي ٢٠٩
- ٢٨ - احسان صاحب فكرة تأميم الصحافة ٢١٦
- ٢٩ - مراكز القوى تصدر قرارا باعدام احسان ٢٢٠
- ٣٠ - احسان يرفض شعار (ازالة آثار العدوان) ٢٢٥
- ٣١ - احسان .. والسادات ٢٣٣
- ٣٢ - احسان .. والسلام ٢٤٢
- ٣٣ - احسان مفكرا مستقلا ٢٥٣



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
المنظمة العامة لأكاديمية الإسكندرية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
رقم الايداع بدار الكتب ١٤٠١٤/٣٠٨٢١٩٨٢
ISBN ١٧٧ - ١ - ٢٨ - ٤